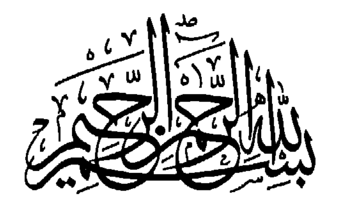



قصص المثنوي





محمد المحمدي الاشتهاردي

الجزء الأول

دار الرسول الأكرم (ص)   دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ-١٩٩٨م



دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت - لبنان ص. ب ١٤/٥٤٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

ألف : نظرةُ على حياة مولوي :

العارف والشّاعر الكبير في القرن السّابع ، جلال الدين محمد ؛ المشهور بـ«مولانا» ، وهو من العلماء والعرفاء الكبار في العالم الاسلامي ، الذي كان يذكر اسمه كعارف بارز على مدىٰ القرون .

ولد المولوي في اليوم السّادس من ربيع الأوّل سنة ٦٠٤ هجري قمري في منطقة « بلخ » وتوفي في اليوم الخامس من جمادى الآخر عن عمرٍ يناهز ٦٨ سنة في منطقة « قونية » (وهي احدىٰ المناطق الجنوبيّة لتركيا في الوقت الحاضر) .

مدينة بلخ ؛ وهي الآن احدىٰ المناطق البعيدة في

افغانستان وقد كانت في زمن مولانا ، من المراكز الثقافيّة والأدبية والعقائدية الايرانية وكانت تحتسب من توابع خراسان آنذاك .

اسم مولانا ؛ جلال الدين محمد ووالده بهاء الدين ولد ؛ محمد بن حسين الخطيبي ، والذي كان يكنّىٰ بـ«سلطان العلماء» ، وهكذا كان مولانا يمتلك القابليّة على الامتناع وترويض نفسه وهو ابن الخامسة من عمره .

هاجر بهاء الدين ولد ، مكرهاً من مدينة بلخ على أثر المعارضة التي حصلت بينه وبين الأهالي وكذلك الاختلاف مع الخوارزمشاه .

فصحب ابنه جلال الدين مولانا وكان عمره ثلاثة عشر سنة آنذاك ، خرج من بلخ قاصداً المشاركة في مراسم الحج ، وفي طريقهم وصلوا إلىٰ نيشابور وعندما اتّجهوا لزيارة الشّيخ فريد الدين العطار ، وقد اهدىٰ جلال الدين كتاباً (رسالة الأسرار) بعد أن احتضنه ودعا له ، وصل مولانا إلى «ملاطية» بعد أن مرّ ببغداد وحجّ بيت الله الحرام ، أقام في هذه المنطقة أربع سنوات وبعدما سكن في لارندة سبع سنين.

اهتمّ فخر الدين بهرامشاه ؛ ملك « ارزنجان » (وهي منطقة الأرامنة في تركيا) وابنه علاء الدين داوُد شاه بوالد مولانا اهتماماً كبيراً .

بعد ذلك طلب علاء الدين كيقباد ملك السلاجقة الرّومي (آسيا الصغرىٰ) من والد مولانا المجيء إلىٰ مدينة «قونية» فاستجاب هو وابنه لطلبهم .

وبناءاً على ما روي انّ جلال الدين محمد قد تزوّج من كوهر خاتون بنت خواجه لالاى سمرقندي في لارندة باقتراح من والده فصار عنده ثلاثة أولاد وبنت .

كان أبوه ناصحاً للناس وقد وافاه الأجل في سنة ٦٢٨ هـ ق .

وقد سار مولانا نهج أبيه وهو شابٌ له من العمر أربع وعشرون سنة .

وقد غادر مولانا قونية متوجهاً إلىٰ «حلب» ماكثاً فيها اكثر من أربع سنوات حيث التقىٰ فيها بالعارف المشهور آنذاك « محي الدين العربي » .

بعدها ذهب إلىٰ دمشق واشتغل فيها بتحصيل العلم ثمّ

رجع إلىٰ قونية ، قام بتدريس العلوم الدينيّة بعد وفاة المحقق الترمذي قرابة خمس سنوات من سنة ٦٣٨ إلىٰ سنة ٦٤٢ هـق ، وكما كتبوا كان يحضر درسه أربعمائة طالباً .

كان يرتدي العمامة حسب طريقة علماء الدين حيث يُرخي لها ذوائبة ويلفّها على رقبته ، وكان يلبس الرداء ذو الجلباب الواسع .

قد اشتهر مولانا بامام الدين الأحمدي آنذاك وأدّىٰ لقاء مولانا مع « شمس الدين محمدي علي » المعروف بـ«شمس تبريزي» إلىٰ صفحة جديدة مملوءة بالهيجان في حياته ولهذا شرحٌ مفصّل .

وأخيراً عند غروب يوم الأحد الخامس من جمادى الآخر سنة ٦٧٢ هـق توفي على أثر مرض غير متوقّع .

وقد شيّعه الصغير والكبير من أهالي قونية ، وكذلك جلس في عزائه المسيحيون واليهود ودفن جسده في أرض قونية واشادَ بعض الأغنياء والمريدين له علىٰ قبره بناءاً سُمّي (بالقبة الخضراء) ، ودُفن في ذلك المكان اكثر أقربائه ومنهم والده .

ب ـ الآثار العلمية لمولانا :

من الآثار العلميّة لمولانا :

١ ـ « **مثنوي معنوي** » : يحتوي هذا الكتاب على ستة أقسام بالاضافة إلىٰ ٢٦ ألف بيت ، أنشد على بحر الرمل وقد عرض مطالبُه على طريق وسنة التمثيل يشبه إلىٰ حدّ الكتب المقدسة وبتعبير آخر يمكن أخذ الحقائق المعنوية والنتائج الدينيّة العرفانية منها .

وكان هدفه من هذه القصص والحكايات أن يوضح أفكاره الحكيمة والعرفانيّة بشكل أوضح .

٢ ـ **ديوان غزليّات شمس الدين التبريزي** : ويحتوي هذا الديوان على ٥٠ ألف بيت وهي مجموعة شعريّة ذات درجة عالية والتي أنشدها في شدّة شوقه بلقاء العارف شمس تبريزي .

٣ ـ **الرباعيّات** : وقد طبعت مع غزليّات شمس بواسطة بديع الزمان فروزانفر (الجلد الثامن ط جامعة) .

٤ ـ **فيه وما فيه** : مجموعة نثريّة ثقافيّة تحتوي على رسائل

مولانا والتي أوصلها إلىٰ الطباعة ابنه بهاء الدين محمد بياري أحد المريدين لمولانا .

٥ ـ **الرسائل لمولانا :** والتي تحتوي على رسائل شاملة لمولوي .

٦ ـ **المجالس السّبعة :** وهي المحاضرات التي كان يلقيها مولانا على المنبر .

ومن الجدير بالذكر انّ مولانا جلال الدين محمد كان يلقّب في بعض الأحيان بـ«مولوي» و «ملاي روم» احياناً أُخرىٰ .

ج ـ شخصيّتُهُ :

لقد اختلفوا بالقول حول شخصيّة مولانا فبعضهم أعلىٰ مقامه والبعض الآخر اتّهمه بالتصوّف والزندقة والكفر ، ولأجل كتابه المعروف بالنثر المعنوي أدّىٰ هذا الحكم عليه ، لماذا ؟ لأن هذا الكتاب يحتوي على مسائل تعليميّة كثيرة وكذلك يحتوي أمور لا أساس لها ... وعلى الرغم من امتلاكه القوّة الروحية والذهنيّة الواسعة ولكنّه في بعض

الأحيان تبقىٰ أرجلهُ في الوحل .

وأحياناً يقول :

أن فتح شفاهي كساحل البحر فاذا قلتُ لا كان مراد الله فيها

وفي وقت آخر يقول :

أنا المشتعل فمن ذا الذي يريد أن يأخذ منّي ناراً ليحرق التافه

وبعض الأحيان يقيد نفسه بمعاني الألفاظ والعجز عن ما يضمره فيبقىٰ حيراناً .

كان له باعاً في الرياضة الروميّة واحياء الليالي ولم يقتصر على الكلام وانشاد الشعر بل كان أول من ينفذ ما يقوله .

لم يقتصر تفكيره على الحياة الدّنيا بل كان يحلق في عالم الأبد والأزل .

د ـ هدفهُ من كتاب مثنوي :

من مجموع ما جاء في هذا الكتاب نحصل على أن هدف مولانا من تأليف (الذي يحتوي على ٢٦ ألف بيت في ستّة أجزاء) هو عرض الانسان الكامل والوجدان الطاهر

وتقوية شخصيّة الانسان الالهيّة ، واساس كلّ هذا التزكية والتهذيب .

ويلفت أنظار النّاس بأنّ الحياة الحقيقيّة بالتهذيب والتكامل الروحي لا بالأكل والشرب والغضب والشهوة .

أخرجوا الأشواك من يد لقمان .

يعني « اخرجوا أشواك الغرائز الحيوانيّة من الروح الانسانيّة » .

ويوضح لنا مولانا العرفان على نحوين:

١ ـ العرفان الايجابي ٢ ـ العرفان السلبي

١ ـ العرفان الايجابي :

أن يجعل من الانسان بطلّ في ميادين التزكية والتكامل في كلّ أبعادها الانسانيّة الاسلاميّة .

٢ ـ العرفان السلبي :

أن يجعل الانسان خارجاً عن الحياة الواقعية ويقوده نحو العزلة والانزواء والتيه .

ومن الجدير بالذكر أن مولانا يرىٰ بأن الفلسفة الجوفاء والخالية من العرفان والعشق الالهي لا معنىٰ لها ، ودائماً

يحثّ على العرفان العملي .

على كلّ حال انّ هذا الكتاب يحتوي على العشرات من الآيـات والروايـات الاسـلاميّة التـي بيّنت بـها الحـقائق الملموسة في الحياة ويتكأ مولانا في شعره بجذب الحقائق والسعي والعمل في اشباع ما يحتاج اليه الروح والجسم .

هـ ـ الانتباه إلىٰ إحدىٰ الحقائق :

في نظر الكاتب : لو فرضنا انّ مولانا لا يمتلك الخبرة الواضحة والمورد الصحيح في الثقافة الاسلاميّة لما استطاع أن يثبت في كتابه الأمور الحكيمة ذات الباع الطويل ، وعلى حدّ قول العالم الكبير الشّيخ البهائي « بعضهُ يهدي وبعضه يضلّ » وعلى كلّ حال يـذكر بـعض الروايـات عـن الائـمة الأطهار (عليهم السلام) بأنّ : « الحكمة ضالّة المؤمن »[١] .

ويقول أمير المؤمنين(ع) : « خذ الحكمة أنّىٰ كانت فانّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج فـي صـدره حـتى تخرج فتسكن إلىٰ صواحبها »[٢] ويقول في حـديث آخـر :

(١) نهج البلاغة : الحكم ٧٩ ـ ١٩٧ .

(٢) نفس المصدر .

وهنا الفاظٌ لها نظرة عميقة وبعيدة جاءت في هـذا الكـتاب أمثال : الشرب ، الطرب ، الخمر ... ولها معاني عرفانيّة باطنة وليس المقصود منها المعاني الظّاهريّة .

ومختصر الكلام :

هو انّه لا يوجد في هذه الدّنيا انساناً قد ارتقا أعلىٰ سلّم الرقي في المعرفة أن يصل إلىٰ حدّ الكمال المطلق ـ ما عدا الرسول (ص) وأهـل بـيته المـعصومين (عـليهم السـلام) ـ ولذلك يحصل الخطأ الفضيع عند غيرهم .

* * *

١ ـ « السلطان والجـارية الحسناء » :

يُـــروىٰ فـــي قـــديم الزمان انّ سلطاناً خرج إلىٰ البادية للصيد ، فوقع بصره عـــلىٰ جـــارية حســـناء ، فملأت قـلبه بـحبها حـتىٰ عشقها ـ خرج السلطان للاصطياد الّا ان تلك الجارية الشابة اصطادت قلبه ولبّه ـ وبما ان السلطان كان يتمتع بثروة ومكانة عظيمتين ، فقد بذل الكثير من الذهب والفـضة لبـلوغ مـراده هذا ، فاشترىٰ تلك الجارية الشابة وجـلبها إلىٰ قـصره ، ولم يمض وقت طويل حتى مرضت الجارية ، وبدت عليها آثار الضعف والاصفرار ، بدرجة انعكست علىٰ السلطان فضعف ونحل لحزنه وغمه عليها .

فجاء بالعديد من الأطباء المهرة الذين يعرفهم لغرض علاجها ، الّا انّ محاولاتهم لم تسفر عن أي نتيجة تذكر ـ نعم عليك أن لا تغفل حينما تغرق في النعم واعلم انها ستزول في يوم ما ، لأن كل حال يتبدل ولا تستبعد ان يحل سقمك محل صحتك ـ وبعد أن يأس السلطان من علاج الأطباء وتأكد من عدم جدوىٰ مساعيهم ، توجه بسرعة إلىٰ محراب العبادة ، وشرع بالاقرار بما يكنه في ذاته امام الله تعالىٰ ، فذرف دموعاً كثيرة وتضرّع إلىٰ الله تعالىٰ بالدعاء من أجل شفاء الجارية ، فغلبه النوم وهو علىٰ هذا الحال ، فرأىٰ في منامه رجلاً مسناً يبشّره ، ويقول له : « لقد استجيب دعاؤك ، وسيتوجه اليك عما قريب حكيم وطبيب ماهر ، وسيعالج جاريتك » .

فلما أفاق من النوم ، كانت الغبطة والسرور تملأ قلبه ، فمكث ينتظر قدوم مثل هذا الطبيب الحكيم .

ولم يمض زمان طويل حتىٰ لمح عن بُعد الطبيب الحكيم ، فهب بنفسه لاستقباله بدلاً من أن يرسل حرّاسه وحجابه لهذا الغرض .

أجل ، فقد أدرك السلطان ، أن التوجه لله تعالىٰ وبنية خالصة هو الضمان للتغلّب علىٰ المعضلات ، فشكر الله جل شأنه واثنىٰ عليه كثيراً ـ وبدأ يشرح للحكيم قصة مرض الجارية ، وكيف ان الأطباء عجزوا عن مداواتها ، ثم اخذه إلىٰ غرفة الجارية لأجل علاجها ، وبعد اجراء الفحوصات الأولية استنتج الطبيب ان مرضها ليس جسدياً عارضاً علىٰ الجسم ، بل هو مرض نفسي ، وأنّ داءها هو داء العشق .

سأل الطبيب الحكيم الجارية عدة اسئلة علىٰ انفراد ، وكان خلال الاسئلة والأجوبة يراقب دقات قلبها من خلال جسّه لها بيده فكان يسألها عن ديارها وأقاربها وأصدقائها ، والجارية تجيب بدورها علىٰ جميع هذه الأسئلة ، حتىٰ تحدث الطبيب صدفة عن مدينة سمرقند ، فانتبه إلىٰ انّ الجارية قد تغير نبضها الطبيعي فجأة وبدت عليها آثار الشحوب والاصفرار ، فسألها الطبيب عن شوارع وأزقة سمرقند وحينما دار الحديث عن زقاق « غاتفى » وساكنيه ازدادت سرعة ضربات قلبها كثيراً ، فاستنتج الطبيب من ذلك بأنها تحب صائغاً سمرقندياً يسكن زقاق « غاتفى » وتمكن

من تشخيص داء الجارية ، وقص الحكاية علىٰ السلطان ، وعالجها بنفس الطريقة هذه .

انهيار العشق المجازي :

شرح الطبيب السرّ الذي يكمن وراء داء الجارية ونحولها للسلطان فاستفسر السلطان بدوره عن العلاج ، فأجابه الطبيب قائلاً :

« عليك ببذل هذه الثروة والأموال التي بحوزتك لغرض استقدام الصائغ السمرقندي إلىٰ هنا ، كي أتدبّر الأمر وأُعالجه » .

فبذل السلطان أموالاً طائلة لجلب الصائغ السمرقندي ، فانخدع هذا بأبهة السلطان وفخامته ، فمثل بين يديه ، حتىٰ أصبح صائغهُ الخاص ونال الكثير من الاحترام والاجلال في حضرة السلطان ، حتىٰ قال الطبيب للسلطان : « هب الجارية للصائغ وزوّجه إياها ! » فنفذ السلطان هذا الأمر ، ووصلت الجارية إلىٰ معشوقها ، فاستعادت كامل صحتها وعافيتها بعد ستة أشهر .

خلال هذه الفترة كان الطبيب يـخطط لحـيلة خـبيثة ، فقام بصنع شراب مميت وسقاه للصائغ السمرقندي ، حتىٰ تسمم واصفر لونه وضعف كثيراً ، لدرجة انشغل قلبه بمرضه عن حبّ الجارية ، وكانت الجارية قد ملّت منه أيـضاً شـيئاً فشيئاً .

لقد تحررت الجارية من عشقها الظاهري فـاستعادت صحتها وعافيتها ، كما زال همّ السلطان وغمّه عندما اطمأن عليها ، أما الصـائغ فـقد دفـع ثـمن انـخداعـه بـبريق الدنـيا وزبرجها .

٢ ـ « القياس المضحك للببغاء » :

كان أحد البقالين يمتلك في دكانه ببغاءاً جميلاً ذا صوت حسن وكان ذلك الببغاء يقوم بحراسة الدكان ويجلب أنظار المارّة إليه بألحانه الجذّابة ويقوم أيضاً بالمحافظة علىٰ حركة السوق فيها .

وفي أحد الأيام حينما كان البقال ذاهباً إلىٰ بيته ، صادف أن كانت قطة في الدكان تطارد فأراً ، فارتعد الببغاء من هذا المنظر وخاف وطار مضطرباً يميناً وشمالاً علىٰ أمل تخليص نفسه من مخالب القطة ، فارتطمت أجنحته بزجاجات مليئة بزيت اللوز فسقطت وتكسّرت وسال الزيت علىٰ الأرض .

وعندما جاء البقال إلىٰ الدكان وشاهد الموقف عن كثب امتلأ غيظاً فأمسك الببغاء وضربه بالعصا علىٰ رأسه ضرباً مبرحاً حتىٰ سقط ريش رأسه وأصبح أصلعاً ، فسكت

الببغاء منذ تلك اللحظة ولم يتفوّه بعدها بكلمة أبداً ، وأحاط به الهم والحزن طوال الوقت ، وكثيراً ما سعىٰ البقال إلىٰ تسليته وتطييب خاطره علىٰ أمل حمله علىٰ الكلام ليجلب بالنتيجة أنظار الناس إلىٰ الدكان بكلامه الساحر كالسابق الّا انّ الببغاء لم يحرّك ساكناً وبقي صامتاً .

احتار البقال كثيراً واغتم ، بل انه تصدّق لوجه الله تعالىٰ علىٰ أمل ان يتكلّم الببغاء ودعا الله تعالىٰ أن يعينه علىٰ ذلك ، لكن هيهات فقد ذهبت جميع مساعيه أدراج الرياح .

وتوالت الأيام وجوّ الدكان يسوده الهم والحزن ،إلىٰ أن مرّ من هناك في أحد الأيام رجل حائك ، كان قد سقط شعر رأسه لقساوة الدهر ، وما أن وقع نظر الببغاء علىٰ رأس ذلك الرجل الأصلع حتىٰ فتح منقاره وصاح فجأة قائلاً : أيها الأصلع ! هل سكبت أنت أيضاً الزيت فضربك سيدك وأصبحت أصلعاً ؟!

فغرق الناس في الضحك من قياسه هذا .

نظراً إلىٰ انّ الببغاء طائر ناطق لا يتمتع بالعقل والدراية ، فقد أتىٰ بمقارنة بين الظاهر والباطن ، وبقياس جيد حسب

الظاهر ولكنه لا أساس له من الصحّة .

وعلىٰ هذا يؤكد المولوي شاعرنا علىٰ ان قياس الظاهر بالباطن خطأ . فمثلاً ان النحل العادي يشابه نحل العسل بحسب الظاهر ، حيث يأكلان ويشربان من نبات واحد وماء واحد في حين ان انتاج الأول اللدغ والسم وانتاج الثاني العسل ، أو مثلاً الغزال الذي ليست له فأر المسك والغزال الحاوي علىٰ فأر المسك وكلاهما من صنف واحد ، فهما يشربان من ماء النهر ، لكن محصول الأول هو الفضلات ومحصول الثاني هو عطر المسك الأصلي . كما ان هناك نوعان من القصب في الحقول ، وكلاهما يسقيان بماءٍ واحد الّا ان أحدهما يكون أجوفاً في حين ان باطن الآخر مليء بالسكّر « وهو الذي يطلق عليه اسم قصب السكر » .

احدىٰ العبر التي يستقيها المولوي من هذه القصة هي : ضرورة اجتناب رفاق السوء ومجالستهم ومصادقتهم ، وعدم الانخداع بظاهرهم الجذّاب وتوهّم طيب باطنهم ، فهذا أيضاً قياسٌ بالظاهر ـ اذاً مادام ابليس بيننا فلا ينبغي أن نثق بالكل دون تمحيص ـ .

٣ ـ « السلطان الأحول » :

كان في قديم الزمـان سلطاناً جائراً يعتنق الديانة اليـــهوديّة ويـقوم بـقتل المسيحيين تـعصباً لديـنه . ومع ان كلاً من مـوسى (ع) نبي اليهود وعيسى (ع) نبي النصارىٰ يرميان لهدف مقدّس واحد ، الّا ان ذلك السلطان كان شخصاً أحولاً (في الواقع لا الظاهر) وكان يعتقد بأن النتيجة هي اختلاف عيسى وموسى في الهدف .

ان مثل هذا السلطان كمثل ذلك التلميذ الأحول الذي قال له استاذه ذات مرّة : اذهب وأتني بتلك الزجاجة (وكانت هناك زجاجة واحدة فقط) ونـظراً إلىٰ ان ذلك التـلميذ كـان أحولاً فقد استفسر قائلاً : « أي الزجاجتين تريد ؟ » وحاول استاذه اقناعه اكثر من مرّة ، بعدم وجـود اكـثر مـن زجـاجة واحدة ، لكن هيهات فقد اصرّ علىٰ وجود زجاجتين ظنّاً منه بأن استاذه يطعن فيه ويستهزيء به ، وأخيراً قال له استاذه : «إذن اذهب واكسر احدىٰ الزجاجتين واجلب الأخـرىٰ ! »

فذهب وكسر زجاجة واحدة كما أمره استاذه ، ثم التفت إلىٰ عدم وجود زجاجة أُخرىٰ غيرها .

احذر أيها الانسان ! من أن يجعل الغضب والشهوة منك شخصاً أحولاً فيسلبك القدرة علىٰ التمييز ، كما لو ان قاضياً أخذ رشوة ، ترىٰ كيف سيتمكّن من التمييز بين الظالم والمظلوم ؟

أجل ، فالمصلحة تطغىٰ علىٰ الحق وتسدل بمئات الحجب علىٰ القلب ، وتهيمن الشهوة والغضب علىٰ الانسان فلا يرىٰ الحق وبالنتيجة وتنحرف روحه عن الصّراط السوي .

٤ ـ « الوزير الماكر وزرع الخلاف » : كان للسلطان اليهودي الذي يقتل المسيحيين علىٰ قدم وساق، وزير مخادع جداً ، فاقترح ذات مرّة علىٰ السلطان ، وقال : ان النصارىٰ لا يعلنون عن دينهم وبالتالي يتمكّنون من

الخلاص من سطوة سيفك ، ولذلك سأتظاهر بالمسيحية وأتغلغل بين صفوفهم ، لأصبح شيئاً فشيئاً قدوة لهم ، وبالتالي أتعرّف عليهم واحداً واحداً ثمّ ابث الخلاف بينهم ليدور الصراع بينهم فيضعفوا من الداخل ، وعندما تهجم عليهم وهم علىٰ هذه الحال ، ستمزقهم ارباً بسرعة خاطفة بكل تأكيد ، ولكن بشرط أن تبتر أصابعي وانفي واذاني وتعلّقني علىٰ المشنقة ، ليتصوّر المسيحيون انّي لاقيت كلّ هذا العذاب لا لذنب سوىٰ كوني مسيحياً ، ثم اطردني من مدينتك و...

فوافق السلطان علىٰ اقتراح وزيره هذا وطبّقه حرفياً ، فذهب إلىٰ المسيحيين متلبّساً بهذه الخدعة فتلقّاه المسيحيّون بحرارة باعتباره مجاهداً صابراً ، لاقىٰ من صنوف العذاب فداءاً للمسيح (ع) ، فاجتمعوا حوله وتوجّهوا نحوه من كلّ حدب وصوب ، فمكث بينهم علىٰ هذه الصوَرة مدّة ست سنوات ، حتىٰ بلغ خلال هذه الفترة مرتبة عظيمة جداً ، فاستغل نفوذه وقدرته هذه والمكر الذي يتميّز به بزرع الخلاف في قلوبهم بالتدريج ، فقسّمهم إلىٰ

مجاميع متعدّدة وعين لكل مجموعة أميراً ، ثمّ وعد كل أمير من هؤلاء سرّاً ، أن يصبح من بعده خليفة ، فوضعهم بهذه الطريقة في خندق يواجه فيه بعضهم بعضاً .

أجل ، فهذه هي نتيجة الخلاف وشقّ وحدة الكلمة ، فقد تمكّن ذلك السلطان من تمزيق المسيحيين شر ممزق مستعيناً بالفرقة عليهم ، ولهذا يؤكد المولوي علىٰ ضرورة اخفاء الخلافات ويشبهها بالسيف الخشبي في قرابة الانيق ، فمادام في قرابه فله قيمة وتأثير في النّفوس ، فاذا جُرّد عن حسامه صار لا يصلح الّا وقوداً للنار .

٥ ـ « صنم النفس » : كان في قديم الزمان سلطان ضالٌّ يعتنق الديانة اليهودية[١] ، ويقتل المسيحيين بعد أن يعذّبهم بأشد أنواع العذاب تعصباً لدينه ودفاعاً عنه ، وذات مرّة أمر باضرام نار عظيمة وبوضع

(١) هذه القصة وردت في الأحاديث الشريفة في شرح أحوال أصحاب الأخدود الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم .

صنم كبير بالقرب منها ، وأعلن انه سيخلي سبيل كل من يسجد لذلك الصنم من المؤمنين ، والّا فمصيره الالقاء في النار حتماً ، لقد أصبح هوىٰ النفس لذلك السلطان صنماً يعبده وغدىٰ حيواناً مفترساً لاتّباعه لهوىٰ النّفس .

٦ ـ « النداء الملكوتي » :

وقد بلغ ظلم هذا السلطان حداً دفعه ذات مرّة حينما جيء إليه بامرأة مع طفلها ، ان أمر تلك المرأة بالسجود للصنم ، وعندما رفضت المرأة ولم تنفذ أمره ، لأنها مؤمنة وعفيفة ، أمر بالقاء طفلها في النار أمام نظرها ففزعت من هذا المنظر المرعب فرقّ قلبها لابنها ، حتىٰ انها صممت علىٰ التظاهر بالسجود أمام السلطان ، لكنّها سمعت فجأة النداء الملكوتي لطفلها ينبعث من نفسه ويقول : « أنا لم أمت يا أمّاه ! فالحياة هنا جميلة ومليئة بالنشاط » لقد أثار هذا النداء الملكوتي للطفل في نفوس أتباع الحق ، الشوق والهيجان بحيث دفعهم

إلىٰ الاتجاه نحو تلك النار جماعات جماعات والقاء أنفسهم فيها بدلاً من السجود لذلك الصنم .

لقد افتضح السّلطان الظالم وندم علىٰ فعله ...

نعم ، وكيف لا يخجل ذلك السلطان ويندم ؟ وهو يعلم في قرارة نفسه بعجزه عن محاربة عشّاق الحياة الأبديّة .

٧ ـ « الترحّم علىٰ المذنب » : كان هناك شخص في عصر صدر الاسلام يستهزيء بالنبي الأكرم (ص) ويسيء معه الأدب ، حتىٰ انتهىٰ به عمله المشين هذا إلىٰ اعوجاج فمه ، فخجل كثيراً ، وعندما شعر بالندامة بقرارة نفسه هرع إلىٰ مجلس النبي (ص) وهو يبكي متألّماً طالباً منه العفو .

وكعادته عفا النبي (ص) عنه ، إذ من طبعه (ص) الاحسان والتجاوز عن المسيء .

وحين استعاد هذا الشخص صحّته ووضعه الطبيعي

امتلأ فرحاً وتحوّل بكاؤه ضحكاً وابتسامةً .

أجل ، فنهاية كلّ بكاء ضحك وابتسام ، ولذا فالرجل العاقل لابدّ أن ينظر الى عاقبة الأمور ، فكلّما سالت الدموع نزلت الرّحمة وكلّما وُجد الماء نبت الزّرع ..

لقد طلب هذا الرجل الرحمة والعفو بعد توبته ، ولذلك عفا عنه النّبي (ص) ، فكذلك اذا أردتُ من الله الرّحمة فارحم الضعفاء والمساكين -إرحم تُرحم -.

٨ ـ « دائرة الأمان » :

انّ هوداً (ع) هو أحد الأنبياء الذين كانوا قد دعوا قومهم إلىٰ الايمان بالله تعالىٰ لفترة طويلة ، الّا ان قومه خالفوه وعصوا أمره ، فاستحقوا العذاب الالهي في خاتمة المطاف ، إذ سلط الله تعالىٰ عليهم (سبع ليالٍ وثمانية أيام) ريحاً صرصراً عاتية .

كان هود (ع) قد رسم حول الأفراد الذين آمنوا دائرة ، وقال لهم : امكثوا داخل هذه الدائرة ثمانية أيام وانظروا إلىٰ

الأعضاء المتلاشية للمفسدين خارج الدائرة ، ولم تلحق تلك العاصفة الشديدة أي سوء بالمتواجدين داخل تلك الدائرة ، بل علىٰ العكس ، كانت لهم بمثابة النسيم الذي يهب الروح (نسيم الحياة) أما أجساد الكافرين فقد كانت ترتطم بالصخور في بعض الأحيان ، بينما كان الريح العاصف تضرب أبدانهم بعضها بالبعض الآخر ، بشكل يؤدي إلىٰ تساقط عظامهم علىٰ الأرض كحب الخشخاش الناعم .

وهكذا كان « شيبان » الراعي أيضاً ، فعندما كان ينوي الذهاب يوم الجمعة من البادية إلىٰ المدينة لأداء صلاة الجمعة ، كان يرسم دائرة حول قطيع أغنامه ، وكانت هذه الدائرة تحول دون خروج الأغنام خارجها وتسلل الذئاب إلىٰ داخلها ، « مع ان ذلك الراعي العارف لم يكن نبياً ، الّا ان امتلاكه لكرامة تشبه معجزة هود (ع) كانت نتيجة تصفية النفس وتهذيبها » .

حرص الذئب (علىٰ افتراس الشاة) وحرص الشياه (علىٰ الرعي في البادية) يشابه تلك العاصفة التي نزلت بقوم هود (ع) ، وتلك الدائرة بمثابة الحدود التي يتحرّك المؤمنون

٩ ـ « الهرب من مخالب الموت » :

كان هناك رجل بسيط في فترة حكومة النبي سليمان (ع) ، قد لفّه الرعب والقلق ، فاصفرّ وجهه وازرقّت شفتاه من الخوف ، فاتّجه نحو قصر سليمان (ع) ، وعندما بلغه قال وهو يبكي مضطرباً : « يا سليمان ! (ارحمني) ، فقال سليمان (ع) ـ الذي يعدّ ملاذ المحرومين والمستضعفين وملجأهم ـ وقد تأثر لحاله كثيراً : ماذا حدث لك وما هي حاجتك ؟ فقال الرجل : « لقد نظر اليّ اليوم عزرائيل بعين الغضب ، وقد هالني الرعب من ذلك ، وها أنا قد لجأت اليك ، ماثلاً بين يديك راجياً منك أن تأمر الريح لتنقلني من هنا (فلسطين) إلىٰ الهند لأنجو من قبضة عزرائيل » ، فلبّىٰ سليمان (ع) طلبه .

وفي اليوم التالي ، وبينما كان سليمان (ع) يلتقي شخصيّات المملكة ، شاهد عزرائيل فسأله : « لماذا نظرت إلىٰ ذلك المسكين بعين الغضب ، حتىٰ انه اضطرب علىٰ أثر ذلك فابتعد عن وطنه وأصبح مشرداً بلا مأوىٰ ؟ » فأجاب

عزرائيل : « لقد أمرني الله تعالى أن أقبض روحه في الهند الّا انّي شاهدته بالأمس هنا ، فتحيّرت كثيراً ، لأنـه حـتىٰ لـ امتلك مائة جناح لعجز مع ذلك عن ايصال نفسه إلىٰ الهند وقد ذهبت إلىٰ الهند لقبض روحه هناك امتثالاً لأمره تعالىٰ فوجدته وقبضت روحه ».

وبناءاً علىٰ هذا ، فليس بـمقدور أحـد التـخلّص مـ الموت ، وقد قال تعالىٰ : « كُلّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْت » فلو كا الأمر كـذلك ـ وهـو كـذلك ـ لوجب عـلىٰ الجـميع اللـجو والتوجّه إلىٰ الله تعالىٰ والتوكّل عليه لرفع الهموم والأحزان

١٠ ـ « القضاء والقدر » :

كان جـيش سـليما (ع) ـ ومن جملته الطـيور قد أقام حفلاً رائعاً في أحـ الأيـام ، تكـريماً لسـليما (ع) ، وقد حـضر الحـفل الجميع بكمال الأدب يجمعهم الاتـحاد ووحـدة الكـلمة فعرض كل نوع من الطيور فنّه وعلمه علىٰ سليمان (ع) ، حتىٰ وصل الدور إلىٰ الهدهد ، فخاطب سليمان (ع) قائلاً :

« اني اتمتّع بفن، وهو متواضع جـداً الّا انـي سأبـيّنه باختصار ، لأن كثرة الكلام توجب الملل ، فسـمح سـليمان للهدهد بالتكلّم ، فشرع الهدهد قائلاً :

« عندما أكون في أعالي السـماء ارىٰ المـاء بـبصري الحاد في باطن الأرض ، أين هو وكيف هو ؟ وهل ينبع مـن الرمل أو من بين الصخر ؟ وبناءاً علىٰ هذا فمن المناسب أن تمنحني منصباً في جيشك ، لأشخّص لك مصدر الماء في الصحراء كلّما دعت لذلك ضرورة » .

فوافق سليمان (ع) علىٰ اقتراحه هذا وأمـره أن يـعين جيشه إذا مرّ في الصحاري القاحلة الخالية من الماء ، ومنذ ذلك الحين أصبح الهدهد مسؤولاً عن تعيين مكان الماء في جيش سليمان (ع) .

وعـندما عـلم الغـراب بـمنصب الهـدهد هـذا أخـذه الحسد فذهب إلىٰ سليمان (ع) وقال له : « ان الهدهد قد أساء الأدب في مجلسكم فقد ادّعىٰ دعوىٰ كاذبة ، ولو كان صادقاً فـي ادّعـائه بـرؤيته لـلماء تـحت الأرض ، فكـيف لا يـرىٰ المصيدة (الفخ) التي هي تحت شبر واحد من الأرض ، بل انه

يقع فيها ويحبس في القفص ؟ » فقال سليمان (ع) للهدهد : «لماذا كذبت عليّ ، وتحدّثت معي بغرور وتكبّر ؟ » فقال الهدهد : « لا تصغ لكلام العدو (الغراب) المبني علىٰ الانكار والعناد في أمري هذا ، ولو لم يكن ادّعائي صادقاً ، واقتنعت بأني كاذب فاقطع رأسي ، انّي أشخّص المصيدة ببصري الثاقب من أقاصى الفضاء ، الّا ان نزول القضاء والقدر يحول بين نظري القوي وبين الفخ ولا رادّ لقضاء الله » .

١١ ـ « التاجر والببغاء » :

كان في احدىٰ المدن تاجر يمتلك ببغاءاً جميلاً حسن الصوت ، وقد وضعه في قفص جميل ، وكان قد آنس به كثيراً ، وفي أحد الأيام عزم التاجر علىٰ السفر إلىٰ بلاد الهند ، فجمع اقاربه وأصدقائه وسألهم : « ما الهدايا التي ترغبون ان آتيكم لدىٰ عودتي من هذا السفر ؟ » فذكر كل واحد منهم ما يريد ، ثم ذهب إلىٰ ببغائه ذي اللسان العذب وقال : « وأنت ماذا تريد

أن أجلب لك ؟ » فقال الببغاء : « إذا وصلت إلىٰ الهند ورأيت الببغاوات تنتقل في الغابات والمروج بحريّة تامة ، اذكر لهم بعض حرماني ومحنتي هذه ، واخبرهم عن لساني : انتم تمرحون بهذه الحرية وأنا مثقل وراء قضبان القفص ، أسألكم بالله تعالىٰ ان تذكروني عند الصباح الباكر وسط السهول الخضراء ، ولا تنسوا الوفاء والمحبّة » .

ذهب التاجر إلىٰ الهند وحينما شاهد الببغاوات الحرّة في قلب الطبيعة الخلابة أبلغها رسالة ببغائه ، وما ان أكمل حديثه حتى فوجئ بارتعاش أحد تلك الببغاوات وسقوطه علىٰ الأرض وانقطاع نفسه ، فتأثر التاجر كثيراً لموته وندم لتسببه في قتل هذا الببغاء الجميل ، وقال في نفسه : « لعلّ هذا الببغاء من أقرباء ببغائي ، ولذلك ارتعش لذكره ومات » .

وحينما عاد التاجر إلىٰ وطنه وزّع هداياه علىٰ أقاربه وأصدقائه وذهب إلىٰ ببغائه العزيز وقصّ عليه الحكاية بالتفصيل ، وفجأة سقط ببغاءه وسط القفص ولم يعد يتنفّس ! فتخيّل التاجر انه قد مات ، فاخرجه من القفص بكل أسف وحسرة ووضعه علىٰ الأرض ، ظناً منه بانه قد مات ، وفجأة

نهض الببغاء وطار بسرعة وحلّق عالياً وحط فوق غصن من أغصان الشجرة .

أدرك التاجر في تلك اللحظة أصل القضية ، واستغرب من مكر الببغاوات وكيف ان ببغاءه الجميل قد نجح في التخلّص من سجنه بهذه الخدعة ، لقد استنبط التاجر من هذه الحادثة موعظة قيّمة ، وهي ضرورة عدم البقاء اسيراً رهن البدن ووجوب التحرّر من وساوس النفس بشتىٰ الوسائل والالتفات إلىٰ خارج البدن ـ مثل الببغاء بالضبط ـ للتحليق في فضاء الانسانية الملكوتي الرحب .

١٢ ـ « أنين العمود الشاكي » : كان رسول الله (ص) يجلس كعادته في مسجد المدينة علىٰ قطعة من جذع نخلة ليعظ الناس ويخطب فيهم (وسمّي ذلك الجذع فيما بعد بالحنّانة) وحين صنع المسلمون منبراً للنبي (ص) جلس (ص) عليه ، فشرع ذلك الجذع بالأنين والنحيب بشدّة ، حتى سمعه كل المسلمين ، فدهشوا لذلك وتعجّبوا وذلك

لترك النبي (ص) له .

ثمّ انّ الجذع طلب من رسول الله (ص) الرحيل إلىٰ عالم البقاء والخلود ، وعندما بشّره النبي (ص) باستجابة طلبه ، سكن وهدأ لتلك البشرىٰ ، ثم قام النبي(ص) بدفن ذلك العمود في الأرض ليحشر يوم القيامة كالبشر نظراً لحبّه الشديد للنبي (ص) ويكون نخلة عالية في حديقة الجنة تدخل السرور علىٰ أهل الجنّة برطبها الجني .

فاسمع أيّها الغافل وايّاك أن تكون أقلّ شأناً من العمود الخشبي .

١٣ ـ « عناد أبي جهل » :

جاء أبو جهل إلىٰ النبي (ص) في أحد الأيام ، وكان قد اخفىٰ في يده عدداً من الحصىٰ ، وقال : «لو كنت صادقاً بانك رسول الله ، فاخبرني ماذا اخفي في يدي ؟ » فقال رسول الله (ص) : « سوف لن اقتصر علىٰ اخبارك بما في يدك فحسب ، بل سأقول لما في يدك أن يشهد علىٰ صدقي ! » ثم قال

الرسول (ص) : « يوجد في يدك ست حصوات صغيرة جدّاً ، واسمع الآن تسبيحها لله تعالىٰ وشهادتها » .

فعلم أبو جهل بشهادة كل واحدة منها علىٰ حدة بوحدانية الله تعالىٰ ونبوّة النبي (ص) لكنّه بدلاً من أن يؤمن، ضرب جميع الحصيات بالأرض من شدّة الغضب ، معتبراً النبي (ص) أعظم ساحر ، ثم توجّه إلىٰ منزله مبتعداً عن ذلك المكان تكبراً وعناداً .

١٤ ـ « هدية الأعرابي » :

يروىٰ في قديم الزمان ، انه كان رجل وامرأة يعيشان في بادية من بوادي الحجاز بفقر مدقع ، حتىٰ انهم يقضون أيامهم بصعوبة بالغة ، فيما كان أمير تلك المنطقة سخياً وكريماً .

وكانت المرأة تشكو علىٰ الدوام من الفقر والجوع ، بينما كان زوجها يذكّرها دائماً بالصبر والتحمّل والتوكّل ، لكن بدون جدوىٰ فلم تقتنع بحديث زوجها وتكرر الكلام عن الحرمان وعدم الرضا وعاد زوجها ثانية يدعوها للتحمّل

والقناعة قائلاً : « ان الفقر الذي ترافقه القناعة والرضا يؤدي إلىٰ التوجّه إلىٰ الله تعالىٰ بصورة أكثر وأفضل .... » وأخيراً استسلمت لنصائح زوجها وتأثرت بها ، فتبدّلت حياتهما المرة إلىٰ حياة طيّبة وجوّ عائلي يسوده الدفء والمحبّة والود .

وفي أحد الأيام اقترحت تلك المرأة علىٰ زوجها وقالت : « كما تعلم فإن الأمير كثير العطاء ، انهض واذهب إليه بهدية ، لنضمن حياتنا بعطائه » ، فاستفسر الرجل وقال : « وهل لدينا شيء لأذهب به إلىٰ الأمير كهدية ؟! » فأجابت المرأة : « انهض واذهب بكوز ماء المطر الذي جمّعناه وقدمه بين يدي الأمير كهدية ! » .

ذهب الرجل بذلك الكوز إلىٰ الأمير وأهداه ايّاه وكان الأمير قد علم بقصّة صاحب الكوز عن طريق حرّاسه فأمر له الأمير بملء كوزه ذهباً ، والذهاب به إلىٰ بيته محفوفاً بالاجلال والاكرام ، والخلاصة ان أمر الأمير نُفّذ ، ونال الرجل مراده بهذه الطريقة .

نستخلص من هذه القصّة ان معرفتنا كالماء الذي في ذلك الكوز بالنسبة إلىٰ سعة علم وعظمة الله تعالىٰ ، اللذان

يشبهان ماء دجلة الذي لا يستقر علىٰ حال .

ولو علم الأعرابي ، ان ماء كوزه كان قليلاً جداً بالقياس إلىٰ ماء دجلة ، لضرب ذلك الكوز بالأرض وكسره ، علىٰ كل حال فقد ذهب بكل تواضع بهديّته الزهيدة إلىٰ الأمير ، وعاد وقد نال كل تلك السعادة .

١٥ ـ « الملاح الماهر والنحوي المغرور » :

كان أحد الأشخاص عارفاً بعلم النحو وقواعد العربيّة ، وصادف أن صعد يوماً علىٰ ظهر احدىٰ السفن ، ولشدّة اعجابه بنفسه دفعه غروره إلىٰ أن يسأل ملّاح السفينة قائلاً : « هل درست علم النحو ؟ » فأجاب الملاح : « كلّا » ، فقال النحوي : « لقد أضعت نصف عمرك » فاغتمّ الملاح لهذه الملامة وتأثر ، فأطبق ساكتاً ولم يتفوّه بكلمة قط .

واصلت السفينة سيرها ، حتىٰ ثارت زوبعة وهاج البحر وقاد الطوفان السفينة إلىٰ دوّامة عظيمة ، فأوشكت علىٰ الغرق فالتفت الملاح الذي كان يجيد السباحة في تلك

الأثناء إلىٰ النحوي وسأله : « هل تجيد السباحة ؟ » فأجاب النحوي : « لا ، أبداً » .

فقال الملاح : « لقد أضعت كل عمرك » ، عندها انتبه النحوي إلىٰ مدىٰ غروره الذي لا أساس له ، وأدرك فادح خطأه عندما قام بلوم الملّاح ، فانعكس الموقف هنا ، وتعرض بالنتيجة لملامة الملّاح في موقف محرج كهذا .

أجل ، لقد أدرك ضرورة أن يكون محوياً لا نحوياً ، أي انّ أشرف العلوم هو ما يمحو عن وجود الانسان تلك الخصال القبيحة ، لئلا يغرق في بحر التكبّر والغرور .

١٦ ـ « أسد بلا ذنب » :

ذهب رجل قزويني ، وكما هو معتاد عند أهل قزوين ، إلىٰ دلّاك مرقش يضرب الوشم علىٰ الجسم ، وقال له : « جئت اليك لتضرب علىٰ ظهري وبين كتفي صورة الأسد باللون الأزرق الداكن الجذّاب ، أما سبب اختياري لصورة الأسد فهو انّي

أريد أن أكون قوياً يرهبني اعدائي كما يخافون الأسد ، لأني أتمتّع بصفات الأسد ، لذلك أريد أن ترسم تلك الصورة علىٰ أعضائي » .

شرع الدلاك بالعمل ، وما أن بدأ يوخزُ بالأبرة بين منكبي القزويني ، حتىٰ صرخ متألماً وقال : « من أين بدأت يا استاذ ؟ » فأجاب الأستاذ : « لقد بدأت من ذنبه » ، فقال ذلك البطل القزويني : « انّي لا أطيق تحمل ألم هذه الأبرة ، أترك ذنب الأسد ! فالأسد بلا ذنب يطلق عليه لفظ أسد ايضاً » .

ترك الأستاذ ذنب الأسد وشرع بعضو آخر يرسمه علىٰ جسمه ، فارتفع أنين القزويني ثانية وقال : « ماذا تمثل هذه النقطة من الأسد ؟ » فأجاب الأستاذ : « اُذُن الأسد » ، فشكىٰ البطل ثانية فترك الدلّاك رسم الأذن وبدأ بنقطة اُخرىٰ لرسم الوشم ، فلم يتحمل الرجل القزويني ألم وخز الأبرة مرّة اُخرىٰ وصاح قائلاً : « ما هذه النقطة من الأسد ؟ » فأجاب الأستاذ : « بطن الأسد » فقال الرجل القزويني كعادته : « اترك هذه النقطة ايضاً فلا حاجة للبطن » تحيّر الأستاذ من جراء ذلك ورمىٰ بالأبرة على الأرض وقال : أصحيحٌ هذا ، لم ير أحداً مثل هذا الأسد ؟

نعم يا أخي ، اترك لفظة (أنا ، نحن) وتحمّل الألم والحرقة واصبر علىٰ وخز أبر النفس وغرورها حتىٰ تضعف وتموت وتصبح أسداً معنوياً بمعنىٰ الكلمة .

١٧ ـ « اكتساب الثعلب للتجربة » :

ذات مرّة أصبح كل من الأسد والذئب والثعلب أصدقاءاً ، فذهبوا سوية إلىٰ الجبال والوديان للصيد ، فتقدّمهم الأسد وتبعه الذئب ثم الثعلب حتىٰ توغّلوا في الغابة واصطادوا ثلاثة حيوانات ، كانت عبارة عن ثور وحشي وغزال وأرنب ، ثم جمعوا جثثهم في مكان واحد ، فهمس الذئب في اذن الثعلب من دون أن يأخذ بنظر الاعتبار انّ الأسد هو سلطان الحيوانات وان الانتخاب بيده ، وقال له : « لابدّ أن الأسد سيعطي كل ذي حق حقّه مثل السلاطين العدول » لكنّه غفل عن انّ النقاش أو الاعتراض والأخذ والرد في مجلس كهذا غير لائق ...

أحسّ الأسد بأوهامهم وأطماعهم ، الّا انه تظاهر بالسرور ، فلم يبد غضبه أمامهم ، ثم قال للذئب : « قسّم هذه الحيوانات التي اصطدناها فيما بيننا بالحق ، نيابة عنّي » فما كان من الذئب الّا ان تصدّىٰ للقسمة بوقاحة بدل التواضع أمام الأسد بأن يقول : ما شأني ؟ فالأمر أمرك . إذ قال بكل وقاحة : « ليكن الثور الوحشي من نصيبك لأنك أكبرنا ، والغزال التي هي أوسط الثلاثة من نصيبي لأني أوسطكم ، والأرنب للثعلب لأنهما صغيران » فغضب الأسد وقال : هل بلغت بك الجرأة إلىٰ القول (أنا وأنت) في حضوري ؟ ثم وثب علىٰ الذئب ومزّقه ارباً .

فلمّا رأىٰ الثعلب هذا الموقف اتّعظ واكتسب منه تجربة ، فحينما قال له الأسد : « الآن ، أنت قم بتقسيم هذه الحيوانات ! » فأجابه الثعلب بكل تواضع ومن باب السياسة والتفكّر : « سيدي ! ليكن الثور السمين فطوراً لك ، والغزال لغدائك والأرنب لعشائك ! » فسرّ الأسد بهذا الجواب وقال للثعلب : من أين تعلّمت هذه القسمة العادلة ؟ فقال : من مصير الذئب .

ثم ان الأسد وهب كل ذلك الصيد للثعلب قائلاً : حيث انّك تركت ذكر نفسك ، وصرت لنا بأجمعك ، فنحن لك كذلك . فشكره الثعلب بدوره شكراً جزيلاً .

فعلىٰ العاقل ان يتّعض بالأقوام الماضين من عاد والفراعنة كما اتّعض الثعلب من مصير الذئب . وهكذا كان تقييم الثعلب للموقف (ان لم نقل مكره) وعلىٰ أيّة حال ، فان اكتساب التجربة وتطبيقها يؤدي إلىٰ تذليل كبير للمشاكل وحل جوهري لها .

١٨ ـ « اتّحاد العاشق بالمعشوق » :

ذهب أحد العشّاق إلىٰ منزل معشوقه ، وطرق الباب ، فقال المعشوق من خلف الباب : « من أنت ؟ » فأجاب العاشق : « أنا ! » فقال المعشوق : « اذهب فلا فرصة للقاء الآن ، فإنك لا زلت تتحدّث عن نفسك وان الـ (أنا) لا زالت بين جوانحك ، فلا زلت غير ناضج ، ولن تنضج الّا بنار الفرقة » فذهب العاشق

وذاق ألم فراق معشوقه عاماً كاملاً ، نضج خلال هذه الفترة ، ثم عاد إلىٰ بيت معشوقه وطرق الباب .

سأل المعشوق من داخل الدار : « مَنْ ؟ » ، فأجاب العاشق : « أنت الذي يطرق الباب » فقال المعشوق : « الآن ادخل إلىٰ المنزل ، فلم نعد (أنا وأنت) بعد الآن ، ولن نكون شخصين ، بل نحن شخص واحد » .

والحقيقة اننا لو تحرّرنا من الـ(أنا) وعترنا علىٰ الطريق إلىٰ بيت الحبيب المطلق ، أي الله تعالىٰ ، لبلغنا كل شيء وكل مكان بالتأكيد .

بالضبط كما حذّر النبي نوح (ع) قومه العاصين من التعلّق بذواتهم وأنفسهم ، ودعاهم إلىٰ سلوك طريق الله تعالىٰ ، والاتحاد ليكونوا أمّة واحدة ، فالملك هو لله تعالىٰ ولا وجود للأنا والـ(نحن) في ساحة قدسه .

وبناءاً علىٰ هذا ينبغي أن يكون الانسان بالنسبة للآخرين « نصف الـ(أنا) » والّا لو تركب من الـ« أنا » بأكملها ولم يفكّر الّا بمصالحه الشخصية لما عثر علىٰ الطريق المؤدي إلىٰ الله تعالىٰ ، ومن هنا يجب على الجميع ان يدركوا انهم لا شيء بالنسبة إلىٰ الله تعالىٰ .

١٩ ـ « مرآة الحق » :

بعد انفصال يوسف (ع) عن أسرته وتعرّضه لمشاكل جمّة وبعد أن اصبح في خاتمة المطاف حاكم مصر وسيّدها ، عزم أحد أصدقاء طفولته الحميمين علىٰ السفر بقصد لقاء صديقه القديم يوسف (ع) .

وكانت قد جرت العادة ، أن يصطحب من يذهب لرؤية يوسف (ع) الهدايا معه ويقدّمها له . فأخذ هذا الصديق ايضاً هدية ليوسف معه ، وكانت عبارة عن قطعة من المرايا وعندما توفق ذلك الصديق في لقاء يوسف (ع) سأله عن أحواله وصحّته ، فشرح له يوسف (ع) بدوره قصّته وكل ما جرىٰ له معتبراً كل ذلك حكمة وبلاءاً الهياً ، وشكر الله تعالىٰ لاحتيازه تلك الاختبارات بالصبر والتحمّل مرفوع الرأس .

بعدها سأل يوسف (ع) صديقه هذا قائلاً : « عندما يذهب الأحبة والأصدقاء للقاء بعضهم البعض ، يجلبون

معهم بعض الهدايا ، اخبرني أنت ماذا جلبت لي ؟ » فأجابه صـديقه : « لم أفكـر فـي شـيء الّا - ووجـدته وضـيعاً ولا يناسبك ، فكل شيء متوفّر لديك ، واصـطحابي لهـدية لك انما هو كناقل التمر إلىٰ هجر كما يقول المثل ، ولهذا اقتنعت بوجود كل شيء عندك ، الّا جمالك الساحر والفريد ، فقلت في نفسي سأصطحب معي مرآة لك، لتعكس فيها صورتك الجميلة ، ولتبقى تذكرني عند مفارقتي اياك » .

أجل ، لا تغفل عن ان المرآة ، انـما تـعكس الجـميل والقبيح معاً ، ولو رأىٰ الانسان نفسه كاملاً لا نقصَ فيه لمـا خطا نحو الكمال ابداً ، فالنواقص مرآة لبيان الكمال ، كما ان التفات الانسان إلىٰ عيوبه يقوده إلىٰ الكمال . لذلك قـيل : « تعرف الأشياء بأضدادها » .

كما انّ ماء الجدول الصافي يبيّن تلك الأوساخ الراسبة في قعر الجدول ، ومن يطلب الماء الصافي عليه ان يـنظف الجدول حين يرىٰ تلك الأوساخ .

وعلىٰ حـد تـعبير الكـاتب : « فكـما ان أفـضل هـدية ليوسف (ع) هي ذلك الشيء الذي يعكس جـماله الفـاتن ،

ذلك الجمال الحاكي علىٰ كماله الحقيقي ، فان أفضل هدية يقدّمها العبد إلىٰ الله تعالىٰ هي أن يجعل قلبه مرآة له تعالىٰ ، وأن يرىٰ الله تعالىٰ من خلال مرآة قلبه فقط ولا سواه ، في ذلك الحين تنجلي الظلمة وتتبدّد » .

٢٠ ـ « جزاء الصحابي المغرور » :

كان أحد أصحاب النبي (ص) كاتباً للوحي ـ أي انه كان يكتب الآيات الالهية التي يتلقّاها النبي (ص) ويتلوها عليه ـ لذلك اطلقوا عليه اسم « كاتب الوحي » .

اشتغاله بكتابة الآيات الطاهرة ، جعل نوراً من مفاهيم الوحي المعنوية العالية يسطع في قلبه ، بحيث جعله يتمتّع بمكانة رفيعة من هذه الناحية .

لكن هذا الموضوع نفسه ، كان السبب وراء غروره من ناحية أُخرىٰ ، فقد تصوّر بأنه لو قلّد صوت البلبل لاطّلع علىٰ ما في نفس البلبل وما يعنيه لحنه . هذه الصفة المشينة المتجسّدة في الكبر والغرور وضعت علىٰ قلبه حجاباً بحيث

جعله يرىٰ نفسه نظيراً للنبي (ص) ، حتىٰ قال : « ان الوحي ينزل عليّ ايضاً فما الفرق بيني وبينه (ص) ؟ » ونفس هـذا التفكير النابع من الغرور جعله عرضة للغضب الالهي ، فأنزل علىٰ روحه ضربة جعلته وكأنه لم يكن قد تـعلّم ولا حـرفاً واحداً ، وبالرغم من انه ندم بعد ذلك ، الّا ان نعمة الاستعداد لاحتواء ذلك النور قد سُلبت منه ، ولم ينفعه الندم ، ولم يكن له علاج سوىٰ الموت .

فلا تغفل وحذار من الغرور عندما تتوفر النعمة ، لئلّا يسلبها الله منك ! فان الغرور كالطوق الذي يقيّد يدي الانسان وقدميه .

٢١ ـ « حـوار الأطـرش والمريض » :

قـال أحـد الخـيّرين لشخص أطـرش لا يسـمع غـير الأصـوات العـالية وبصعوبة بالغة : « ان جارك وصـديقك قـد مـرض وضعف ، فاذهب لزيارته » ، وكـان الرجـل الأطـرش يـعلم بضرورة عيادة هذا المريض ، فقال في نفسه : « أنا لا أسمع

بسهولة، وهو مريض ولا يمكنه التحدّث بصوت عالٍ لضعفه، وحينئذٍ يستحيل سماع صوته» لذلك قال في نفسه: «عندما أذهب إليه يجب أن أبدأ بالكلام، وهو سيجيبني بدوره وتتحرك شفتاه، ومن خلال قياس حركة شفتيه يمكنني تحديد ما يقول عندما يجيبني ؟!» ولو سألته: «كيف حالك ؟» سيجيبني: «أنا بخير» فأقول: «الحمد لله» ولو سألته: «ماذا تأكل ؟» سيجيبني: «العصير أو حساء الماش» فأقول: «هنيئاً» وأسأله: «من هو طبيبك ؟» فيقول: «الطبيب الفلاني» فأقول: «بارك الله فيه انه طبيب ماهر ويده يد خير» وعلىٰ هذا الأساس أرد عليه.

وانطلاقاً من هذا القياس جاء الرجل الأطرش إلىٰ المريض وجلس بالقرب من سريره وسأله: «كيف حالك ؟» فأجاب المريض: «انّي أموت ألماً» فقال الأطرش: «الحمد لله» ثم سأله: «ماذا تأكل ؟» فأجاب المريض بغضب: «سمّاً وزقّوماً» فقال الأطرش: «هنيئاً» ثم سأله: «من هو طبيبك ؟» فقال المريض: «عزرائيل» فقال الأطرش: «بارك الله فيه، اهنئك» فقال المريض في نفسه: «ان هذا الشخص عدو لي،

لأنه فرح بمرضي وضعفي ، بل وحتىٰ بموتي ، في حين أنّ زيارة المريض تكون عادةً للاطمئنان علىٰ المريض واراحته لا لإزعاجه » .

ثم خرج الأطرش من منزل المريض وهو يتصوّر بأنه قد ادّىٰ واجبه علىٰ أحسن وجه ، وانه راعىٰ آداب وحقوق الصداقة والجيرة اعتماداً علىٰ قياسه ذاك ، وفاته انه قد أبطل بقياسه هذا صداقة السنين العشر مع جاره المريض وانه قد قام بالمعصية بدل الطاعة . بل انّ قياسه كان السبب في ضلالته ، فضلاً عن منعه من بلوغ الحقيقة ، فمن الضروري ترك قياس الأمور علىٰ ظواهرها .

٢٢ ـ « المباراة بين فنّاني الروم والصين » :

في قديم الزمان كان أهالي الصين والروم يتمتّعون بشهرة كبيرة في فن الرسم والنحت والتصوير ، وكان كلّ منهما يدعي الأفضلية لفنّانيه .

وفي أحد الأيام جمع الأمير الفريقين وقال لهما :

«أريد أن اختبركما لأرىٰ أيّكما أكثر مهارة في فن الرسم والتصوير» فوافق كلا الفريقين علىٰ اقتراح الأمير، فأشار الأمير إلىٰ قصرين متقابلين، فدخل الفريق الصيني إلىٰ أحدهما، ودخل الرومي في القصر الآخر وأغلق الباب عليهم ليعرض في نهاية المطاف فن كل فريق من خلال عملهم داخل القصر بعيداً عن أنظار الفريق الآخر.

وكان الأمير قد أمر من ناحيته بتوفير احتياجاتهما، فكان الفنانون الصينيون يطلبون في كل يوم اللوازم والاحتياجات الضرورية والألوان المختلفة من الأمير، لكن فناني الروم لم يطلبوا شيئاً من الأصباغ واللوازم.

فرسم فنانوا الصين بكل تلك الوسائل والألوان المتعددة رسوماً وصوراً عديدة وجذّابة علىٰ جدران القصر، وبذلوا قصارىٰ جهودهم لاظهار تلك الصور بأروع ما يكون. أما فنانوا الروم فقد انكبوا من الصباح وحتىٰ المساء علىٰ صقل وتلميع وتنظيف أحجار جدران القصر فقط، بشكل بدا فيه كل القصر كأنه مرآة، يعكس كل ما يقع علىٰ جدرانه.

جعل الصينيون من القصر معرضاً للصور والرسوم والنحوت ، فيما اضفىٰ الروميون علىٰ قصرهم شكل المرآة وصفائها .

وجاء اليوم الموعود ، فاتّجه الأمير والخبراء المرافقون له نحو القصرين لرؤية الأعمال الفنيّة لكلا الفريقين ، فدخلوا أولاً قصر الصينيين ، حيث أخذتهم الدهشة من الرسوم والصور الملوّنة الرائعة للفنّانين الصينيين ، فاستحسنوها كثيراً واثنوا علىٰ جهودهم ومهارتهم .

ثم دخلوا قصر الروميين ، وكانت أبواب كلا القصرين مفتوحة علىٰ مصراعيها وقد رفعت الستائر جانباً ، ففوجيء الأمير ومرافقوه في انّ كل الأشكال والرسوم التي في القصر الأول ـ قصر الصينيين ـ تبدو هنا أكثر روعة وجاذبيّة من أصلها ، بواسطة الأحجار المصقولة كالمرايا في قصر الروميين ، أي انه فضلاً عن انّ داخل القصر تم صقله كلّه فأصبح كالمرآة فانّ كل صور القصر الآخر منعكسة فيه . فتعجّبوا من روعة الفن والجمال للفنانين الروم .

لقد فاز الفنانون الرومان في مباراة حدة الذكاء هذه ،

لأنهم جسّدوا جمال فنّهم مجرداً عن التلوين والتزيين والتكلّف ، وعكسوا فيه كل الابداعات الأخرى في الوقت نفسه .

فلا تغفل يا أخي عن صفاء القلب ! القلب الذي يصقل من تراكمات الذنوب والمعاصي ، يصبح كالمرآة ، تنعكس فيه الحقيقة الواقعية وجميع الكمالات بدون حجاب يحجبُ رؤية المعشوق .

٢٣ ـ « حديث النبي (ص) مع زيد » :

سأل النبي (ص) في صبيحة أحد الأيام ، أحد أصحابه وكان اسمه زيداً : «كيف أصبحت ؟ » (فيما تنسب بعض المصادر التاريخية هذا الحوار إلىٰ حارثة بن مراقة) فأجاب زيد : « أصبحت موقناً يا رسول الله » فقال النبي (ص) : « لو كان قلبك متفتحاً للايمان كالحديقة الخضرء ، فأرنا الدليل علىٰ ذلك ؟ » فأجاب زيد : « أقضي النهار عطشاناً صائماً والليل

حدود الزمان والليل والنهار ، وها أنا قد تجاوزت حدّ الزمان كتجاوز رأس السنان ، ووضعت قدمي في ذلك الجانب من الحياة ، أرىٰ العرش مع أهله ، وأرىٰ الجنّة بأبوابها الثمانية والجحيم بأبواها السبعة ، اني أشخص كل الناس واعلم أيهم من أصحاب الجنة وأيهم من أصحاب السعير ، ووضوح هذين الفريقين بالنسبة لي كوضوح الحية والسمكة ... ورؤيتي للناس بشكل يبدو وكأن القيامة قد قامت الآن ، وأنّ باطن الناس قد ظهر ...

وخلال هذا الحديث الطويل طلب زيد من النبي (ص) أن يسمح له بكشف النقاب عن أسرار باطنه ، الناتجة من طريق الايمان واليقين . لكن النبي (ص) دعاه للصمت والسكوت قائلاً : « ان اظهار الحقائق الغيبية لا ينال رضىٰ الله تعالىٰ في كل حين » فخجل زيد من حديث النبي (ص) هذا وسكت .

وزبدة قول النبي (ص) لزيد هي : ان العبادة في ظلّ الايمان بالغيب ، أفضل بكثير منها علىٰ رؤوس الاشهاد .

لو قال لك الطبيب وكنت مريضاً : « لا تأكل العسل ! »

فبادرته أنت مستفسراً : « ولماذا تأكل أنت العسل ؟! » فان قياسك هذا باطل من الأساس .

وبناءاً علىٰ هذا ، فلا تكشف المزيد من حجب الغيب ، فانّ ذلك أصلح لك ولسائر الناس ، فتلقىٰ زيد تنبيهات النبي (ص) هذه وصمت إلىٰ الأبد .

٢٤ ـ « كشف السّر » :

كان لقمان الحكيم في فترة ما عبداً عند مولىً يملك ثروة وأموالاً طائلة وبساتين وعدداً من الغلمان ايضاً ، وكان لقمان يتميّز عنهم ببشرة سوداء داكنة ، لكنّه بالمقابل يتقدّم عليهم بحسن السيرة والمعرفة .

ولأن مولاه كان يحكم حسب الظاهر ، فقد رجح بقيّة غلمانه علىٰ لقمان ، فكان يرسلهم مثلاً إلىٰ البستان لجني الثمار وجلبها اليه ، بينما كان يوكل للقمان الأعمال الوضيعة كتنظيف المنزل وأمثال ذلك ، حتىٰ أدّىٰ تصرّفه هذا إلىٰ انّ بقيّة الغلمان أخذوا ينظرون إلىٰ لقمان بعين الإحتقار

والاستصغار ، بل وحتىٰ تجرّأوا علىٰ ايذائه أحياناً .

وفي احدىٰ المرّات أرسلهم سيّدهم إلىٰ البستان لجني الفاكهة ، فذهبوا واقتطفوا فاكهة متنوعة وجاءوا بها إلىٰ البيت الّا انهم أكلوها لغياب سيّدهم .

وعندما جاء سيّدهم إلىٰ البيت وأمرهم باحضار فاكهة طازجة ، ادّعوا زوراً وبهتاناً بأن لقمان قد أكلها ، فنظر شزراً إلىٰ لقمان وأساء التصرّف معه .

عرف لقمان بالفراسة ، السرّ الكامن وراء اشمئزاز سيّده منه ، فذهب إليه واقترح عليه قائلاً : « اختبرنا يا مولاي ! بأن تعطي كل واحد منّا كميّة كبيرة من الماء الحار لنشربها ، ثم امتط صهوة جوادك وانطلق بسرعة نحو البادية ، وأمرنا بالعدو خلفك بسرعة ، لتكشف الحقيقة بهذه الطريقة » .

وافق السيد علىٰ هذا الاقتراح وطبّقه . فركض الغلمان جميعهم وراء الحصان ، فتغيّر الوضع الصحي لأولئك الغلمان الذين اكلوا الفاكهة بسبب الجري السريع ، فتقيئوا تلك الفاكهة ، في حين لم يخرج من فم لقمان سوىٰ الماء الصافي .

وانكشفت الحقيقة بهذه الطريقة ، وتبيّن للسيد ان بقيّة الغلمان أكلوا الفاكهة ، الّا لقمان ، فندم الغلمان وخجلوا بينما كان لقمان فيهم مرفوع الرأس .

فاذا كانت حكمة لقمان تتمكن من كشف السر ، فكيف بحكمة الباري تعالىٰ ؟

فلا نغفل عن يوم القيامة الذي يتميّز به الأصفياء عن الخونة ، وان الأسرار ستنكشف بالرغم من عدم رغبة الأشرار في كشفها .

٢٥ ـ « الشاب وصيّاد السمك » :

جلس شاب علىٰ ضفة النهر ، فشاهد شخصاً يصطاد سمكاً من ذلك النهر ، فتصوّره النبي سليمان (ع) . وقال في نفسه : « لو كان هذا الشخص هو سليمان ، فكيف جاء وحده اذن ليصطاد السمك بالرغم من كل تلك العظمة والمنعة ، والّا لماذا تبدو عليه ملامح سليمان وهيبته ؟ » وبينما كان ذلك الشاب غارقاً في

خياله ، متصوّراً سليمان وهو جالس علىٰ عرشه وكيف ان ذلك العفريت الذي كان يتردّد علىٰ بلاط سليمان قد هرب وقتل بسيف سليمان ، ثم جعله سليمان خاتماً في يده ، فوجئ بتجمّع الناس لرؤية سليمان ومن جملتهم نفس ذلك الصياد الذي تبدو عليه ملامح سليمان . وبرؤية ذلك الشاب للخاتم في يد سليمان ، زال تصوّره بكون ذلك الصياد هو سليمان ، لأنه عندما يرى سليمان نفسهُ جالساً علىٰ العرش ، فسيزول تصوّره عن كون صياد السمك هو سليمان تلقائياً .

فحينما تزول الحجب ويقف الانسان علىٰ الوجودين الخارجي والحقيقي للشخص المعيّن ، لا يبقىٰ هناك مجال للتحليق في عالم الخيال ، لكن الغيب والحجب ولياقة الانسان لبلوغ الروح الملكوتية والاتصال بعالم الغيب ، أفضل وأنسب لارتقاء ايمان الانسان وطاعته .

فمدح السلطان في حضرته يختلف كثيراً عن اظهار التعظيم في غيابه ، ومنزلة حرس الحدود الأوفياء الذين تفصلهم فراسخ عديدة عن السلطان ، أفضل منزلةً من الحراس المحيطين به .

وبناءاً علىٰ هذا ، فان الحراسة في مكان ناء سراً وحتىٰ اذا لم تتجاوز مدّة الحراسة اللحظات فهي أفضلُ ممّا في حضرة السلطان بمرّات عديدة .

٢٦ ـ « اخلاص الامام علي(ع)» :

صرع الامام عليّ (ع) في احدىٰ المعارك الاسلامية (غزوة الأحزاب) أحد المقاتلين الكفار (عمرو بن عبدود العامري) فجلس علىٰ صدره ليحتزّ رأسه ، وفي تلك الأثناء بصق ذلك الكافر بوجه علي (ع) ، بوجه ذلك العظيم الذي يفتخر به الأنبياء والأولياء ، ذلك الذي سجد له القمر في السماء ، فانصرف الامام (ع) في تلك اللحظة عن قتله ، واغمد سيفه في قرابِهِ .

استغرب العدو من هذا التصرّف ، معتقداً ان الامام (ع) قد عفا عنه ، بالرغم من عدم استحقاقه للعفو ، ولهذا سأل علياً (ع) قائلاً : لقد رفعت عليّ سيفك البتّار ، لكنّك وضعته جنباً وتركتني ! لماذا ؟ يا علي ! اخبرني لم رأفت بي ! بالرغم

من انها ساحة القتال ! والعفو عن العدو صفة من يا ترىٰ ؟ فأجاب الإمام علي (ع) : « عندما بصقت بوجهي غضبت كثيراً ، فاعتقدت انّي لو قتلتك في تلك اللحظة ، لكان قتلك تهدئة لغضبي ، لا لوجه الله تعالىٰ ، لهذا صبرت كي يزول غضبي ، لأقتلك لوجه الله فقط .

من هنا نجد ان الامام علياً (ع) كان يراقب اخلاصه باستمرار لئلاً يجد الشيطان منفذاً له في وجوده المبارك ، انّه رجل الاخلاص ، المجانب للنفاق ، انه رجل التوحيد والصفاء ولا سبيل للشرك والتلوّن في وجوده أبداً .

٢٧ ـ « الضرر في استجابة الدعاء » :

وضع أحد اللصوص كميناً لصياد أفاعي ، بعد أن سرق احدىٰ أفاعيه وأخذها معه . فكان الصيّاد يدعو الله تعالىٰ أن يعينه علىٰ العثور علىٰ حيّته بعد اختفائها ، ثم ان الأفعىٰ لدغت ذلك اللص وقتلته في حين نجا الصياد من لدغة الأفعىٰ .

لقد تجاوز القضاء ذلك الصياد ، ووقع علىٰ اللص

فسقط علىٰ الأرض ومات ، وعندما شاهده الصيّاد أدرك بأن الحيّة قد قتلته ، فشكر الله تعالىٰ ، لأن عدوّه كان سبباً في اسداء الخير له ، وبعد تلك الحادثة قال : « لك الشكر يا رب ، لأنك لم تستجب دعائي ! » .

ولهذا لا يستجيب الله تعالىٰ الدعاء احياناً لشدّة لطفه ، فقد يكون الدعاء وبالاً علىٰ الداعي .

٢٨ ـ « عيسىٰ (ع) والرفيق الأبله » :

رافق رجل ابله عيسىٰ (ع) في احدىٰ سفراته ، فمرّا في طريقهما بوادٍ عميق مليء بعظام الموتىٰ النخرة ، فالحّ الأبلهُ علىٰ عيسى (ع) فسأله قائلاً : « أأنت الذي يجري في عروقك الدم العيسوي النقي ، وأنت من يحيي الموتىٰ ، فاستعن بالاسم الأعظم وبمقام النبوّة الذي تتمتّع به واحيي هذا الميّت المتهريء (مشيراً إلىٰ أحد الموتىٰ) أو أعِرني ذلك الاسم الأعظم لأقرأه علىٰ هؤلاء الموتىٰ فأحييهم ! » .

فقال عيسىٰ (ع) : « اسكت فانّك لا تليق لحمل مثل هذا الاسم ، لأن الاخلاص والايمان والعمل وصفاء النبوّة التي تفتقر اليها هي التي تجعلك مؤهّلاً لاقتناء هذا الاسم » .

لكن الرجل الأبله لم يقتنع ، وبقيَ مصرّاً علىٰ طلبه ، حتىٰ دعا عيسى (ع) الله تعالىٰ قائلاً : « الهي ماذا يقصد هذا الشخص من اصراره هذا ؟ » فقال الله سبحانه : « انه رجل غبي ولئيم ، ولا يبغي هدفاً الهياً » .

واضطر عيسى (ع) تحت الحاح الرجل ، أن يقرأ الاسم الأعظم علىٰ بعض العظام ، فتجمّعت وعادت اليها الحياة بإذن الله تعالى ، لكنّها ظهرت علىٰ شكل أسد (فتبيّن ان تلك العظام كانت تعود لأحد الأسود) ، فهجم الأسد علىٰ ذلك الرجل الأبله ومزّقه ارباً ، فأكل رأسه وسال مخّه علىٰ الأرض الّا انه لم يشرب من دمه ، فقال عيسى (ع) للأسد : « لمَ قتلته ؟ » فأجاب الأسد : « لأنّك غضبت عليه ! » قال عيسى (ع) : « لمَ لم تشرب دمه ؟ » فأجاب الأسد : « لم يكن من نصيبي » وأضاف قائلاً : « يا عيسى ! ان هذا الصيد لم يكن لغرض الأكل ، بل لاتّخاذ العبرة » .

لقد كان بامكان ذلك الرجل الأبله أن يستفيد من فرصة

رفقته لعيسىٰ (ع) ويسعىٰ لاكمال وجوده المعنوي ، لكنّه سعىٰ وراء العظام النخرة والجيفة ، فغفل عن روحه المريضة وغدا وراء ذلك .

فلا تغفل يا أخي عن السعي من أجل اكمال الروح واحيائها ، حينما تكون الفرصة مؤاتية ، فعندما نجد الماء الزلال لا تهرقه على التراب وتعكر صفوه ، فلا تتّبع هوىٰ النفس لئلا يفترسك وحش النفس كما افترس الأسد ذلك الرجل الأبله .

٢٩ ـ « الصوفي وخادم البيت »:

كان هناك رجل صوفي طيّب القلب ، يتجوّل علىٰ حماره حول العالم ، فحلّ في احدىٰ الليالي ضيفاً علىٰ الدراويش (الخانقاه) في بيتهم . فربط حماره في حظيرة الحيوانات (الاصطبل) ثم توجه إلىٰ أصدقائه ، فجلسوا مع بعضهم وفتحوا دفاتر قلوبهم وليرحلوا بأرواحهم خلال ذلك الجوّ المعنوي الى ما هو اسمىٰ من وجودهم المادي

وليـنقلب مـجلسهم إلىٰ حـلقة يُـناقَش خـلالها المـفهوم العرفاني ، بعد ذلك فرشوا الخِوان (مائدة الطعام) وبينما كان ذلك الصوفي مفكراً في حماره ، التفت إلىٰ الخادم وقال له : «اذهب وضع بعض التبن والشعير أمام حماري كي يشبع » ، فقال الخادم : « عجباً ! منذ سنوات طوال وهذه هي مهنتي ، واعلم جيداً بوجوب تقديم العلف للحيوان الذي يصل لتوه من سفر شاق » .

الصـوفي : « أيـها الخـادم ، نـظراً لأن حـماري مسـن وضعيف ، فمن المستحسن أن تضيف شيئاً من الماء إلىٰ تبنه وشعيره » .

الخادم : « عجباً ! هذا ما يتعلّمه الآخرون منّي ، أفتأتي أنت لتعلّمني اياه ؟! » .

الصـوفي : « أيـها الخـادم فك سـرجـه وداوي جـرح ظهره » .

الخادم : « عجباً ! دع هذه الفلسفة ، فقد مرّ بي لحدّ الآن آلاف الضيوف وأنا أعرف واجبي بصورة جيّدة » .

الصوفي : « اسق حماري ماءً ايضاً ، وليكن دافئاً فـهو المفضّل عنده » .

الخادم : « عجيب ! انّي أخجل من كلامك هذا » .

الصوفي : « أيها الخادم ، اجعل نسبة التبن في الشعير قليلة » .

الخادم : « لا داعي للنصيحة » .

الصوفي : « نظّف مكان الدابة (الحمار) من الأحجار والفضلات ، وافرش عليه بعض التراب الجاف ، ليجف لو كان رطباً » .

الخادم : « والدي العزيز ، لا تلح كثيراً ، ولا تهزء بي ، أنا المسكين » .

الصوفي : « حك ظهر الدابة بفرشاة قويّة » .

الخادم : « عجباً يا ضيفي العزيز ، اخجل قليلاً ، فأنا أعرف كل هذا ولا أقصّر في واجبي » .

الصوفي : « لا تجعل حبله طويلاً فيلتف حول أرجلِهِ ومن ثم يسقط علىٰ الأرض » .

الخادم : « عجباً ! لا تطل الكلام كثيراً ، فانّي اكثر منك خبرة ، وهل يوجد عظم في الحليب يا ترىٰ (مثل ايراني وهو يضرب كناية عن الثقة والاعجاب بالنفس اكثر من اللازم) وهكذا كلّما تحدّث الصوفي أجابه الخادم الماكر ذو الكلام

المعسول قائلاً: «أنا أعرف أحسن منك، ولاداعي للتوصية» لكنّه في الواقع لم ينفّذ ولا طلباً واحداً للصوفي، بل انصرف إلىٰ عمله، متبعاً هواه.

وبات الصوفي عنده تلك الليلة، فرأىٰ خلالها احلاماً مزعجة، وكأن حماره قد وقع فريسة بين مخالب الذئاب، وهو نحيل وخائف و...

وعند الصباح اتّجه الخادم إلىٰ الحظيرة، فوضع سرج الحمار علىٰ ظهره، بعد أن ضربه ضرباً مبرحاً ووخزه وخزاً شديداً، ليبدو عند خروجه من الحظيرة قوياً متهيئاً للسفر، وجاء الصوفي إلىٰ حماره وربط امتعته فوق ظهره وركب الحمار متوجهاً الى مقصده.

الّا ان الحمار المسكين الذي كان يعاني من الجوع والعطش لم يتمكّن من مواصلة المسير فسقط في الطريق، فساعده المارة على النهوض ومواصلة المسير، فقال الصوفي الذي وقف علىٰ السر وراء عجز حماره وضعفه للحاضرين: «ان دابّتي المسكينة هذه ذهبت ضحيّة الخادم الماكر، فهي لم تحصل علىٰ الماء والتبن والشعير للتمكّن من المسير، حيث انّ الخادم وعد بأن يعلفها ولم يَفِ».

اذاً ، اعتمد علىٰ نفسك يا أخي وسر بها نحو الكمال دون الاعتماد علىٰ الناس المتلوّنين والمخادعين، فان الناس المسيئين، مثل ذلك الخادم العذب اللسان (كالحيّة ناعم ملمسها ، قاتل سمّها) أجانب لا ينبغي الاعتماد عليهم ، وكذلك هوىٰ النفس فانّه أجنبي أيضاً فلا تثق به ، لأنه يقودك إلىٰ وادي الغم والحزن والندامة .

ولا تنس أبداً ان انسانيّتك انما هي لأجل فكرك وعقلك ، لا لأجل بدنك الترابي ، لكن يجب الّا تتلوّن عين الفكر الصافية بأهواء البدن الطيني ، لكي لا تنقلب زهرة الفكر شوكةً .

٣٠ ـ « لماذا ... طائر الملكوت في الغم ؟ » :

كان في قصر أحد السلاطين بازٌ جميلٌ متنعمٌ بكل النعم والخيرات ، وذات مرّة ترك القصر واتّجه نحو منزل امرأة عجوز ، فوقع بصرها عليه ، واعجبت بجماله ، فأمسكت به وقصت أجنحته وقلّمت مخالبه ، ووضعت أمامه مقداراً من

التبن حتىٰ يأكله (بدلاً من تلك الأغذية المنوّعة التي كان يتناولها في قصر السلطان).

وبقي ذلك السلطان صاحب الباز يبحث عنه طيلة الفترة التي خرج فيها من القصر، حتىٰ عثر عليه أخيراً في منزل المرأة العجوز الحقير، وإذا بالغبار ودخان ذلك البيت قد غطىٰ الباز الجميل وكساه بلون قاتم حزين، فتأثر قلب السلطان وتألم كثيراً وقال له: «لماذا هربت من الجنة إلىٰ الجحيم؟ ألم تعلم ان أهل الجنّة وأهل النار لا يستوون؟» هذا هو جزاء الهروب من السلطان والذهاب إلىٰ بيت العجوز الحقير.

فلا تغفل أيها الانسان! فأنت نفس ذلك الباز الجميل الرفيع السيرة، وأنت طائر الجنة الملكوتي ولست من عالم التراب، فاحذر من ان تخدعك الدّنيا بزخارفها فتقع بفخها بعد أن تنجذب اليها لتبتلعك! أو أن يحرمك التعلّق بأصلك الترابي من العالم الملكوتي.

شرع الباز الذي ندم كثيراً بالاعتذار من السلطان وطلب منه العفو والمغفرة قائلاً: «مع ان هذه العجوز (الدنيا) قد

قصّت أجنحتي وكبلتني لكن لو أعنتني لاقتلعت الشمس ، ولو دافعت عنّي فاني سأجعل الدنيا في قبضتي ، ولو أفضت عليّ بالطاقة والقدرة ، لانتزعت الجبل من مكانه ، ولو منحتني عَلَماً لطويت كل الرايات . فأنا والحال هذه لست بأقل من البعوضة التي هزّت عرش نمرود ، ولا أقل من طيور الأبابيل التي دمّرت فيلة العدو » .

وفي النهاية قبل السلطان توبة الباز ، فأعاد ـ الباز ـ المياه إلىٰ مجاريها بتوبته تلك ، وذلك البكاء .

والمقصود بالسلطان : « الله جلّ شأنه » .

٣١ ـ « الطفل بائع الحلوىٰ » : يروىٰ انه كان في قديم الزمان رجل صالح يدعىٰ « الشيخ أحمد خضرويه » ذو نظرة بعيدة وكان يسعىٰ جاهداً من أجل خدمة الناس وقضاء حوائجهم . ولمقامه الرفيع الذي كان يتمتّع به في المجتمع ، فقد كان يقترض من الناس ويقرض المحتاجين ، وكان الله تعالىٰ يعينه علىٰ أداء ديونه

بطرق شتىٰ .

وفي احدىٰ المرّات وصل المبلغ الذي اقترضه إلىٰ أربعمائة دينار وأحس بالضعف وظهور علامات الموت عليه ، وحينما سمع دائنو الشيخ خبر احتضاره ، اجتمعوا عنده وطالبوا بديونهم . فقال لهم الشيخ : « ساعدوا المحتاجين ولا تيأسوا من كرم الله تعالىٰ ... » الّا ان موقفهم لم يتغيّر وبقوا مصرّين علىٰ استيفاء ديونهم .

قال لهم الشيخ : « من اليسير علىٰ الله سبحانه أن يهبني أربعمائة دينار لإيفاء الدين الذي بذمّتي » قال هذا في الوقت الذي لم يكن يمتلك فيه شيئاً يقدمه للضيوف ، وفي تلك الأثناء سمع الشيخ طفلاً ينادي ببيع الحلوىٰ في الزقاق ، فأمر الشيخ غلامه بشراء حلوىٰ الطفل كلّها وتقديمها للضيوف ، فذهب واشتراها بنصف دينار وقدّمها للضيوف فتناولوها . بعدها جاء الطفل الى الشيخ وطالبه بنصف الدينار وفي يده طبق الحلوىٰ الفارغ فقال له الشيخ : « لا يوجد لديّ نقودٌ الآن ، وأنا مدين لك وكما ترىٰ فانّي مشرف علىٰ الموت فأمهلني » .

فضرب الطفل الطبق على الأرض غاضباً وارتفع بكاؤه وعويله ، فاختلط بكاء الطفل مع استياء وشكوى بقيّة الدائنين، وطالبوا جميعهم بدفع ديونهم فقال لهم الشيخ : « اصبروا سيؤدي عنّي الله تعالى ديوني بلطفه وكرمه » . فقال الطفل وهو يبكي : « لو عدت إلى معلّمي خالي اليدين فسيعاقبني » ولشدة ثقة الشيخ بلطف الله تعالى وكرمه ، كرر عليهم بكل اطمئنان بأن الله تعالى سيؤدي عنه ديونه .

وفجأة دخل الخادم إلى المنزل وفي يده هدية ملفوفة بورق ، فوضعها بين يدي الشيخ . (فقد سمع رجل سخي ، بأن دائني الشيخ قد ضايقوه وطالبوه باسترجاع ديونهم ، فلان قلبه بلطف الله تعالى ، وقام بارسال مبلغ من المال إلى الشيخ على شكل هدية ملفوفة بورق) فتح الشيخ الورق فاذا بداخله أربعمائة دينار ونصف الدينار ، فوزّعها على دائنيهِ ووفى ديونه بتلك الهدية .

خرج الدائنون خجلين من الشيخ طالبين منه العفو والاعتذار ، فعفى عنهم ، وقال : « لقد طلبت من الله تعالى تسديد ديوني ، فوفاها كما رأيتم ، وسأترك الآن هذه الدنيا

راحلاً إلىٰ الآخرة مرتاح البال ».

أجل، فلم يَثُرْ بركان عطاء الله سبحانه قبل أن يذرف الطفل بائع الحلوىٰ دموعاً ساخنة، فلا تغفل من أن المراد بالطفل هو حدقة عينك، ولو أردت أن تحل جميع مشاكلك فوظّف هذه العين للبكاء في سبيل الله تعالىٰ.

٣٢ ـ « الفارس المنقذ الذي لا نظير له »:

يروىٰ ان رجلاً كان نائماً تحت ظل احدىٰ الأشجار، وقد فتح فاه فاذا بأفعىٰ متّجهة نحوه حتىٰ وصلته وادخلت رأسها في فمه لتدخل إلىٰ بطنه، وفي تلك الأثناء صادف أن مرّ من هناك رجل صالح ممتطياً فرسه، فشاهد الموقف عن قرب، فاتّجه نحوه ـ النائم ـ مسرعاً ليمنع دخول الحيّة إلىٰ فَمِهِ، لكن محاولته لم تفلح فقد دخلت الحيّة في فم النائم واستقرّت في بطنه.

لم يجد الفارس بداً من ضرب النائم، فانهال عليه

يضربه بعصاً كانت في يده ، علىٰ ظهره وجميع جسمه حتىٰ أوجعه ، فاستيقظ النائم وإذا به بين يدي فارس مغوار يحمل بيده عصا ، فانتبه إلىٰ نفسه وإذا بالدم ينزف من أعضائه ، فهرع مسرعاً لشدّة الخوف وهرب من ذلك الفارس ، لكنّه تبعه حتىٰ توجّه نحو شجرة فسقط تحتها من شدّة الخوف ، وقف الفارس علىٰ رأسهِ وأمره بتناول تفاح تلك الشجرة التي كان قد سقط منذ فترة طويلة وتعفّن، فأكله الرجل خوفاً منه .

بعدها عاد الفارس يضربه بالعصا وهو يركض في البادية هرباً منه ويصيح : « اتركني ، لم تضربني ؟ ما هو ذنبي ؟ » .

لكن الفارس ظلّ يضربه ويقول له : « يجب أن تركض في الصحراء » ولم يهتم لشكواه ، وبما ان ذلك الرجل العاجز كان غافلاً عن وجود الحيّة في بطنه ، وان ذلك الفارس المخلص يريد نجاته بهذه الطريقة ، فقد أخذ يصيح : « أيّها الجبان ! لم تضربني ؟ لمَ تظلمني : لينتقم منك الله تعالىٰ و... » واستمرّ بالركض والفارس خلفه ، حتىٰ تقيأ كل ما في بطنه من شدّة التّعب ومن جملته تلك الحيّة ، وعندما شاهد تلك الحيّة

والسائل الأصفر قد خرجا من فمه ، أدرك في تلك اللحظة رأفة وشهامة ذلك الفارس الصنديد .

فوقف أمامه بكلّ احترام وتواضع واعتذر منه وشكره على لطفه هذا وسمّاه بـ « جبريل الرحمة » لأنه أنقذ حياته . كما أنّه عندما شاهد تلك الحيّة نسى كل ذلك الضرب المبرح والألم والأنين وقال للفارس : « أيها الفارس الرحيم ! انّ تعاملك معي كتعامل صاحب الحمار مع حماره ، إذ كان يطارده في البادية ليخلّصه من مخالب الذئاب ، لكن الحمار لم يدرك شفقة صاحبه فأخذ يفر من بين يديه ، أيها الفارس الشجاع ! اعذرني لتطاولي عليك . لكنّي أريد أن أسألك سؤالاً : « لماذا لم تخبرني من البداية بأن هناك حيّة في بطني وانّك تضربني وتطاردني لتخرج الحيّة وتنقذ حياتي » .

أجاب الفارس الحكيم : لو أخبرتك بذلك السرّ لَزَهَقَتْ روحك (لانفجار كيس الصفراء) ، بل لو وصفت لك الحيّة لأحاط بك الخوف القاتل .

علينا إذن الّا نعتبر تعليمات الأنبياء والأولياء مشقّة وعذاباً ، بل إذا أمْعَنّا النظر إلى جوهرها سنجد انّها جاءت لصالحنا ، علينا تقبّل نصائح العقلاء بكل ارتياح ، لأن

معاداتهم الظاهرية لك هي الباعث على بهجة نفسك وروحك كما انّ مصادقة الحمقى تبعث على الندم والحسرة .

٣٣ـ « رفقة الأبله » : وقع دبٌ في أسر ثعبان كبير ، فارتفع صراخه وعويله من الخوف والألم ، فسمع رجل شهم كان قريباً منهما ، فاتّجه نحو الدب بسرعة وهجم على الثعبان هجمة بطل غيور ، وخلّص الدب من الهلاك .

وبالرغم من ان الثعبان أقوى من ذلك الرجل الشجاع ، الّا ان تدبير الانسان وحيلته يجعلانه متفوّقاً على الحيوان . ويجب الّا يغتر الانسان بنفسه لأن هناك يداً فوق يده دائماً . مثلما ان هناك فوق كل ذي علم عليم .

منذ تلك اللحظة والدب يلازم ذلك الرجل كظلّه و لا يفارقه أبداً ، كما يقوم بحراسته ، ككلب أصحاب الكهف ، اعترافاً منه بالجميل الذي صنعه لهُ .

وفي إحدى المرّات تعب ذلك الرجل فاضطجع على

الأرض وسط البادية لينام وليستريح قليلاً ، فيما كان الدب يحرسه ، وصادف أن مرّ من هناك رجل ، فشاهد ان دباً مفترساً يحرس ذلك الرجل النائم ، فتعجّب وقال لصاحب الدب : « ما قصّتك مع هذا الدب ؟ » فقص عليه الحكاية وكيف انّه خلّص هذا الدب من بطش الثعبان ، فقال له العابر : « مع ذلك لا تثق بالدب ، وتجنّب من رفقة الأبله » ، لكن الرجل لم يهتم لكلام العابر ، وقال في نفسه : « انّه يتحدّث هكذا من باب الحسد لأن هذا الحيوان المفترس يقوم بحراستي بكل شفقة واخلاص » ، ثم قال للعابر : « لا يأخذك الحسد ، فأنا لم أر من هذا الدب أي مكروه لأبعده عنّي » ، فأجاب العابر : « أردت أن أخدمك خدمة ، لكنّها لم تكن من نصيبك ، وعلىٰ أي حال أكرر ثانية : لا تكن جليساً للدب » ، لكن الرجل صاحب الدب لم يتّعظ بنصيحة العابر .

ذهب العابر في سبيله ، وعاد الرجل الشجاع لينام ثانية من شدّة التعب ، فيما قام الدب بحراسته وبطرد الذباب الذي يحط عليه بيده ، حتىٰ نفذ صبره وغضب من ذهاب وإياب الذباب المتكرر ، فذهب إلىٰ أعلىٰ الجبل وجاء بصخرة عظيمة ووقف بالقرب من الرجل الشجاع يحرسه ، فوجد

نفس الذبابة قد حطت علىٰ وجهه فرفع تلك الصخرة وضربها بقوّة ليقتل تلك الذبابة ، لكنّه قتل الرجل وفلق رأسه ومات .

هذه هي قصّة الرفيق الأحمق ، والتي ذهبت في الفارسيّة مضرباً للمثل باسم « رفقة الخالة الدبة » .

فاستعن يا أخي بالمربين الحقيقيين واجلب عطفهم بالبكاء والعويل لتخرج من فم أفاعي الحيوانيّة وتتحرّر منها . فأنت لست أدنىٰ من الدب ! فلا تكن أدنىٰ منه من هذه الناحية ، لكن من ناحية أُخرىٰ كن حذراً ، لأن مجالسة رفاق السوء تعد بمثابة شوكة في طريق التربية والكمال ، فايّاك ومخالطتهم .

٣٤ ـ « الرجل الأعمىٰ ذو الصوت القبيح » :

وقف رجل أعمىٰ بين الناس وصاح وهو يبكي : « أيها الناس ! انّي فاقدٌ البصرين ، ولذا استحق رحمتين ، ارحموني ، ساعدوني » ، فسأله الناس باستغراب : « ماذا تعني بفقد البصرين ؟ أما انّ عيناك لا تبصران فهذا ما نراه ، لكن كيف هو

عدم بصرك الثاني ؟ » .

فأجابهم الأعمىٰ : « ان عدم بصري الثاني هو صوتي القبيح ، بحيث انّه يجعل الناس يفرّون منّي لخشونته » .

لقد قال هذا الأعمىٰ الذي يبصر الواقع ، الحقيقة ، وأقرّ بنفسه ، فخرج من قلبه لحن جميل اضفىٰ علىٰ صوته الخشن رقّة وعذوبة ، فاهتم به الناس كثيراً .

فعندما يرىٰ أهل العفو الالهيّين أحداً يعترف بعيوبه يغضوا الطرف عنها ويجعلوا منه واحداً من الأتقياء .

وحينما يصفو القلب ، ويتصاعد منه اللحن فانه يجعل لحن اللسان القبيح جميلاً ، ولكن اذا كان القلب مظلماً ، فسيتعرّض صاحبه لثلاثة انواع من العمىٰ الأبدي .

فالاعتراف بالعيوب يستلزم الجمال والكمال ، كما يستلزم التباهي بالفضائل الغرور والقبح .

إذن فلنتدارك النجاة قبل فوات الأوان ولنتجنّب السقوط والانهيار ، لنلقي كل ما ابتلعناه من غرور ، ولِنُزِلِ الأوساخ بماء التوبة الصافي ، ولنكن مستقيمين، غير متلبسين بالمكر الذي يأتي به الذئب والثعلب ، ليشملنا المدد الالهي .

٣٥ ـ « الاجتناب عن رفيق السوء »:

قال جالينوس الحكيم لأصدقائه ذات مرّة: « خذوني إلىٰ الطبيب الفلاني ليصف لي كذا دواء كي أشفىٰ » ، فقال له أصدقاؤه: « أنت استاذ وحكيم وتعلم جيداً بأن ذلك الدواء الذي تطلبه خاص بالمجانين، وأنت لست مجنوناً !! » فأجابهم جالينوس: « لقد نظر اليوم اليّ أحد المجانين وغمزني بعينه ، كما انّه سحب ردائي بقوّة حتىٰ تمزّق ، تعبيراً عن الصداقة الحميمة التي بيننا بنظره ، وهذا دليل علىٰ وجود نقطة اشتراك بيني وبينه ، ومن هنا أشعر بضرورة التداوي لأن الطيور على أشكالها تقع » .

قال أحد الحكماء: « رأيت غراباً يطير مع لقلق ، ثم حطّا علىٰ الأرض ، فتعجّبت من كيفية حصول الرفقة بينهما ، فاقتربت منهما فاذا بهما يعرجان ، عندها أدركت انهما يلتقيان معاً بالعرج » .

ذهبتُ إلىٰ الحديقة فسمعت زهرة جميلة تتحدّث

بلسان حالها مع حشرة كبيرة ـ تعيش بين القاذورات ـ وتقول لها : « رائحتك النتنة هي السبب في ابتعادك عن الحديقة ، إذ لا علاقة بين العطر والنتانة » .

فابتعد يا أخي اذن عن رفيق السوء ، وانتخب لنفسك الأصدقاء الجيّدين . ولو لاحظت رفيقاً سيئاً قد كسب ودك وصحبتك ، فاعلم بوجود نقص فيك ، فينبغي أن تكمل ذلك النقص وتصلح العيب ليبتعد عنك ذلك الصديق ، وتيقّن ان ابتعاد رفاق السوء عنك دليل علىٰ حسن سيرتك ، بالضبط كما كان جمال الوردة ورائحتها الزكيّة هما السبب وراء ابتعاد الحشرة النتنة عنها .

٣٦ ـ « موعظة الزاهد » :

بكى أحد الزهاد كثيراً ، فقال له صاحبه : لا تكثر من البكاء لئلا تؤذي عينيك وتفقد بصرك . فأجاب الزاهد : إذا لم ترَ عيناي جمال الحق ، فعماي أفضل .

ولو كانت روح المسيح مستقرّة في ذات الانسان ،

فسوف لن يبكي للعمىٰ الظاهري ، لتمتّعه بعيني القلب الذي يرىٰ الحقائق .

وعلىٰ هذا ، لو كنت أيها الانسان تملك هذه الروح السامية وتلك القابليّة ، فقم بتهذيبها وتربيتها لترىٰ حقائق الوجود .. أمّا لو دنّستها بالشهوات ، كما فعل فرعون مع موسىٰ (ع) ، فلا فائدة في العينين الظاهرتين والحالة هذه .

٣٧ ـ « أسد في الظلام » : ربط رجل قروي بقرته في الحظيرة ، ثم خرج منها ، فدخل أسد إلىٰ تلك الحظيرة وافترس البقرة ومزّقها ووقف مكانها .

ثم دخل القروي المغفل الحظيرة في الظلام الدامس واقترب من بقرته للاطمئنان عليها ، وفي الظلام وكالعادة مسح بيده على ظهرها ورأسها وكل بدنها ظناً منه بأنها بقرته؛ لكنه في الواقع مسح بيده علىٰ بدن الأسد المفترس .

قال الأسد مع نفسه : لو كان المكان مضيئاً وعلم هذا الرجل من أي الحيوانات قد اقترب ، لمات من شدّة الخوف .

فالحق، أيها المغرور الأعمىٰ أن لا تسخر من الله تعالىٰ خالق الموجودات، بل اجعل سعيك حثيثاً للسير الى الحق لتذوق طعم الحقيقة وتلمسها في عالم النّور لا في عالم الأهواء والظّلام.

ألم يكن ذكر اسم الله تعالىٰ سبباً وراء تحطيم موسى (ع) لجبل طور، ولاحياء عيسى (ع) الميّت المتهرىء.

فتأمّل أيها الانسان واعلم لو انّك خطوت نحو طلب الحقيقة لتجاوزت الأمور الطبيعية وصرتَ من الباحثين عن وجودك الحقيقي، كما ورد: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

٣٨ ـ «الجمّال الطمّاع والرجل المفلس»:

أفلس أحد الأشخاص ودخل السجن لتصرّفاته الخاطئة، لكنّه لم يترك تلك التصرّفات حتىٰ في السجن، فكان يسرق خبز المساجين وطعامهم داخل السجن. حتىٰ اشتكىٰ المساجين عليه عند السجان فأخرجه من السجن وبعد احضاره إلىٰ

المحكمة حكم عليه القاضي بالافلاس ، أي عجزه عن ايفاء الديون المترتّبة عليه لعدم امتلاكه أيّة ثروة وقدرة علىٰ الوفاء ، ثم أمر القاضي أحد الجمّالين من أهل البادية بأن يضع ذلك السجين المفلس علىٰ ظهر البعير ويدور به في الأزقّة والأسواق والميادين ويعلن افلاسه للجميع ، فنفذ الجمّال أمر القاضي وجال به في كل مكان معلناً عن افلاسه .

حتىٰ انتهت الجولة في المساء فأنزله الجمّال من علىٰ ظهر بعيره وقال له : لقد كنت علىٰ ظهر بعيري منذ الصباح ، فاعطني أجري ، أو علىٰ الأقل ثمن التبن لبعيري .

فقال له المفلس : يا لك من رجل أحمق ، منذ الصباح ولحدّ الآن كان يعلن صوت الطبل عن افلاسي وأنت تكرر معه ، وقد أصم دويّه الأفلاك ومع ذلك لم تفهم هذا الصوت فتطالبني بالأجر أنا المفلس ؟!

من جملة الصفات القبيحة الطمع ، الذي يصمّ اذان الانسان ويعمي عينيه وهذا ما يمنع الروح عن بلوغ الكمال .

لو تعلّق قلبك بالماديات ، لانفصلت عنك صفاتك الانسانية الرفيعة بنفس مقدار ذلك التعلّق . إذ لا شيء وراء

الحجب سوىٰ التعلّقات المادية والضلال ، في حين انّ لطف الباري‌ء جلّت قدرته قد أحاط بالسمع والبصر .

٣٩ ـ « بعيداً عن الحياة الخيالية » :

كان هناك شخص غريب يبحث عن بيت ليسكن فيه ، فأخذه صاحبه إلىٰ بيت مهدّم وقال له : لو كان لهذا البيت سقف وغرفة اُخرىٰ وكان واسعاً بعض الشي‌ء ، لسكنت فيه أنت وعائلتك ولأصبحنا جارين ولكان هناك مكان لاستقبال الضيوف ايضاً .

فقال له الغريب : ان العمل لا يكمل ويتم بـ(لو) . نعم ، السكن بجوار الصديق يبعث علىٰ الفرح والسرور ، لكن الانسان لن يحصل علىٰ البيت بتكراره لألفاظ من قبيل (لو ـ يا ليت ـ ربما) وما شاكلها .

أي لو أردت حياةً سعيدة ، فاخرج من وادي الخيال والتصوّر والتردّد ونظّم حياتك طبقاً لادراكك للواقعيّات ،

لأنك لن تحصل من الوهم والخيال والتأسف والحسرة و... سوىٰ الحرمان ، ولو شع النور الالهي في قلبك ، فلا تكدره بالتصوّر والشك والتردّد .

٤٠ ـ « السلطان والغلامان » : اشترىٰ أحد السلاطين غلامين ، كان أحدهما مليح الوجه ذكياً والآخر قبيح الوجه بليداً ذا أسنان سوداء داكنة .

وحينما دعا الأول علىٰ انفراد وتحدّث معه وجده جميلاً ماهراً عذب اللسان ، في حين وجد هناك رائحة كريهة تنبعث من فم الثاني لسوء حظّه فضلاً عن قبح منظره .

وبما انّ السلطان كان رجلاً ذا اطّلاع وتجربة ، فلم يطرد الثاني ، بل اختبر كل واحد منهما علىٰ انفراد ليتعرّف عليهما بشكل أدق . (كما انّه أطلق اسم كمال علىٰ أحدهما وعلىٰ الآخر اسم جمال) .

بعد ذلك أرسل السلطان جمالاً (الغلام الحسن الوجه)

للاستحمام وتحدّث في غيابه مع كمال ، فسأله : كيف ترىٰ رفيقك جمال الذاهب للاستحمام ؟

قال كمال : انّه انسان طيّب ، رؤوف ، وفيّ ، حسن السيرة .

قال السّلطان : كيف تمدح جمالاً ولكنّه في غيابك دائماً يذكرك بسوء .

قال كمال : كما قلتُ لك انّ جمالاً رجلٌ طيب .

بعد ذلك أرسل السّلطان كمالاً (القبيح المنظر) للاستحمام وشرع بالتحدّث مع جمال ! فقضىٰ جمال كلّ الوقت بالانتقاص من كمال .

استنتج السّلطان من هذا الاختبار انّ كمالاً وبالرغم من قبح منظره حسن السيرة ، علىٰ العكس من جمال الحسن الصورة مع قبح السيرة ، ثمّ قال لجمال :

لقد أدركت الآن انّ لكمال روحاً نضرة بالرغم من كراهة ريح فمه ، أما روحك فنتنة غير ناصعة ، ولهذا يجب عليك الابتعاد عنّي مع الانصياع لما يأمرك به كمال .

وبهذا فقد أصبح كمالاً من رجال البلاط المقرّبين نظراً

لحسن سيرته ، في حين طُرد جمال من مجلس السّلطان لاعجابه وغروره بجماله الظّاهري .

(أجل فالّذي يرىٰ عيوب نفسه يسعىٰ لاصلاح ذاته أو كما قال النّبي الأكرم (ص) : « طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب النّاس ») .

٤١ ـ « الظمآن فوق الجدار المرتفع » :

كان هناك شخص عطشان جالساً فوق جدار مرتفع يشرف علىٰ النهر ، فبلغ به العطش درجة يبست معها شفتاه . لكن علو الجدار حال بينهُ وبين الماء ، فاعتبر نفسه كالسمكة التي تقلّب علىٰ ضفة النهر ولا تصل إليه وعيناها تحملقان في الماء .

صمّم ذلك العطشان علىٰ ازالة المانع (الجدار) للوصول إلىٰ الماء ، من خلال ازالة الطابوق الذي يتكوّن منه الجدار بالتدريج والقائه في النهر ، نظراً لوجود ثمرتين في هذا العمل :

الثمرة الأولى : هي ان صوت الماء العذب المنبعث من جراء اصطدام الطابوق بالماء سيجعله يحس بنشوة للحن الماء ، بالضبط مثلما ان صوت اسرافيل هو السبب وراء احياء الموتىٰ .

الثمرة الثانية : انّه سيقترب شيئاً فشيئاً من الماء بازالته التدريجيّة للطابوق باعتبار انّ ازاحة الطابوق تعد بنفسها سجدات تدريجيّة لمقام الماء الرفيع .

أجل أيّها الانسان ! ايّاك والغفلة ! بل أزل الطّابوق الذي يتكوّن منه جدار الماديّة الشاهق واسجد على التّراب لتنال القرب الالهي ، لأن افتخار السجود والتقرّب الى العرش الالهي رهن بازالة ذلك الجدار .

لو أردت نيل « ماء الحياة الأبديّة » فاترك جدار الطّين الشاهق (أي البدن التّرابي) فكلّ من يحسّ بظمأ أشد فوق الجدار سيسعىٰ اكثر في ازالة ذلك الطّابوق ، والعشاق الولهون سيرفعون طابوقاً اكبر حجماً .

إذن أيها الشّاب اغتنم شبابك لازالة ذلك الحجر والمدر قبل هرمك إذ تقيّد رقبتك حينها بحبل من مسد .

٤٢ـ «شوكة النفس الأمارة»:

زرع رجل ضخم الجثّة عــذب اللســان ، شــوكة بجذورها في طريق المارة ، فقام الناس بملامته وطلبوا منه رفعها من هناك ، لكنّه لم يَعبأ بشكواهم تلك ، فكانت تلك الشوكة تقوىٰ وتشتد يوماً بعد يـوم فـي حـين كـان ذلك الرجـل يـقترب مـن الضـعف والشيخوخة شيئاً فشيئاً .

ونتيجةً لكثرة شكاوىٰ المارّة عليه فقد أحضره القاضي إلىٰ المحكمة وأمره باقتلاع تلك الشوكة من الطريق ، لكـنّه كان يتنصّل ويـتشبّث بـالحجج والأعـذار يـوماً بـعد آخـر ويطلب مزيداً من الوقت .

فقال له الحاكم : إنّ هذا التنصّل والمماطلة كانا السبب في ان تقوىٰ تلك الشوكة اكثر وأن تضعف أنت بـالمقابل ، أسرع والّا ستفوت عليك فرصة اقتلاعها لضعفك ، لكنّه مع كل ذلك كان يكل الأمر للمستقبل .

لا تـغفل يـا أخـي ! فـان كـل خـصلة سـيئة يـحتويها

وجودك، تعد بمثابة شوكة في طريق تكاملك، فكلما أبطأتَ في اقتلاع هذه الأشواك من صفحة روحك اللطيفة، كلما اشتدّت تلك الأشواك من جهة واقتربت أنت نحو الضعف والخمول أكثر من جهة أخرىٰ.

وبناءً علىٰ هذا، فما دمت الآن شاباً قوياً وتلك الأشواك نحيلة ضعيفة، فاعزم علىٰ اقتلاعها، ولا تكن مثل عمر وأبي بكر (في معركة خيبر) تطرق هذا الباب وذاك، بل كن مثل علي (ع)، ادخل ساحة المعركة واقلع باب خيبر، وإلّا ستفوت الفرصة عليك.

أنت النور والماء وتلك الشوكة هي النار، فانصر نورك وماءك علىٰ النار ولا تقل غداً فالأيّام تمرّ من حيث لا تشعر.

٤٣ ـ « العظمة في لحظة العبوديّة »:

أرسل أحد السلاطين كتاباً إلىٰ رجل متدّين (عارف مؤمن) قال فيه: اطلب ما شئت لأهبه لك.

فأجاب العارف: أيها السلطان! ألا تخجل من ارسالك لي كتاباً كهذا؟! عندي

عبدان مطيعان ، وهما أميران وحاكمان ومتسلّطان عليك بالكامل ، والآن تريدني أن آخذ عطاياك .

قال السلطان : ومن هما هذان العبدان .

قال العارف : أحدهما « الغضب » والآخر « الشهوة » ، وعليه ، فالذي يكون أسيراً للغضب والشهوة ، ليس بسلطان ؛ باعتبار ان السلطان الحقيقي يكون متمتّعاً بالنور المعنوي بدرجة يكون فيها مستغنياً عن نور الشمس والقمر .

كلقمان الذي كان عبداً في الظاهر لكن سيّده كان يحبّه أكثر من أبنائه ، لأن لقمان كان متحرّراً من أسر الهوىٰ ، وهذا الأمر جعله سيداً وهو في حالة الرق .

إذن ، كان لقمان عبداً لسيّده بحسب الظاهر ، الّا انّه كان سيداً لمالكه في الواقع ، كما انّ الدنيا مليئة ايضاً بمثل هذه الحوادث المعكوسة .

فطلّاب الحقيقة يميّزون جيداً بين الحجر والذهب لأن الذهب المادي تكون قيمته ادنىٰ من قيمة التبن في نظرهم ، إذ انّهم انما يسعون وراء الذهب المعنوي .

٤٤ ـ « مــرارة البـطيخة وحكمة لقمان » :

مــنذ ان انـتبه السـيّد الذي كان لقمان عبداً عنده إلىٰ عـظمة مـنزلة لقـمان المعنويّة قام بتقديمه علىٰ بقيّة غلمانه وأحـبّه بشكـل دفعه إلى تناول فضلته (فتاة مائدته) من بين الأطعمة ولم يكن تناول الطعام ما لم يمسّه لقمان ، بل كان يطرحه بعيداً وحتىٰ لو تناوله فقد كان بلا شهية في حين كان يأكل ما بقي من طعام لقمان بكل شهية ولذّة .

وفي أحد الأيام جاؤوه ببطيخة كهديّة ، فقسّمها عدّة قطع صغيرة وبدأ بتقديمها إلىٰ لقمان الواحدة تلو الأخـرىٰ ولقمان بدوره يأكلها بكل رغبة ولذّة وكأنّها لذيذة للغاية إلىٰ أن تناول سبعة عشر قطعة وبقيت قـطعة واحـدة فـقط كـان السيد قد احتفظ بها لنفسه فلمّا تناولها السيّد وجد طعمها أمرَّ من الحنظل بحيث احترق لسانه وحـنجرته واضـطرب كثيراً .

وبعد ساعة التفت السيد إلىٰ لقمان وقال له : يا عزيزي ،

كيف تناولت هذا ؟

قال لقمان : لقد تناولت المئات من نعمك وكانت كلّها حلوة لذيذة فخجلت أن أقول بأن هذه النّعمة مرّة ، لقد أحسست بهذه المرارة أمام كلّ تلك الحلاواة شهداً .

انّني أرىٰ هذه المرارة حلاوة لأنّها خارجة من يدك المتفضلة بالنعم ، تلك اليد والمحبّة تجعلان المر حلواً والنّحاس ذهباً والأسقام شفاءاً .

إذن يا أخي كن مثل لقمان الحكيم الذي كان شاكراً لأنعم سيّده معترفاً بها لدرجة انّه اعتبر لدغه عسلاً وسمّه حلاوة .

فلو عانينا من الغمّ والحزن بعض الشيء لوجب أن نصبر ونتحمّل ونكون من الشّاكرين أمام نعم الله تعالىٰ العظيمة التي لا تعد ولا تحصىٰ وأن نحس بتلك الآلام وكأنّها حلاوة وأن نتمعّن جنّة الفردوس بالنور المعنوي كابراهيم الخليل وسط نار نمرود .

يجب أن نجتاز المراحل الواحدة تلو الأخرىٰ لنبلغ الفرقدين لا أن ندور في حوامة التعلّقات المادية ، ولا تنس

أيّها الانسان مضمون شعر سعدي الشّيرازي الذي نظمه حول وفاء الكلب :

لن ينس الكلب لقمة أخذها من يدك حتى لو ضربته بألف حجارة

ولو انّك احسنت لمن لا يعترف بالجميل لخاصمك علىٰ أحقر شيء

٤٥ ـ « جزاء المغرور الوقح » : بينما كان أحد قراء القرآن الكريم يقرأ الآية : « قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين » (سورة الملك / الآية ٣٠) سَمِعَهُ أحد محترفي الفلسفة والمنطق فقال مستهزءً وبكل وقاحة : « نأتي بالغرفة والمعول والفأس ثم نستخرج الماء » .

رأىٰ نفس هذا الفيلسوف في الحلم بأن رجلاً قوياً ذا ساعدين مفتولين قد لطمه بضربة علىٰ وجهه فَفَقأَ عينيه ، ثم قال له : أيها الأحمق الجاهل ، لو كنت صادقاً فيما تدّعي ، فاحضر الآن فأساً واستخرج نور عينيك الذي غار وذهب ! فاستيقظ في الصباح وإذا به قد فقد نور بصره .

لكن لو اعتبر ذلك الشخص المغرور في نفس الوقت

وندم وتاب إلىٰ الله تعالىٰ توبة نصوحة ، لأعاد المياه إلىٰ مجاريها ، لكن التوفيق للتوبة الحقيقية لا يناله الجميع ، فالغرور والتكبّر والاصرار علىٰ الذنب هي كالحجب العظيمة التي تقيّد التوبة ، بل كيف يتمكّن ماء التوبة من اختراق القلب الذي أصبح كالحجارة أو أشد قسوة ، ليسقي مزرعته .

٤٦ ـ « موسىٰ (ع) والراعي » : مرّ النّبي موسىٰ (ع) الذي هو من الأنبياء العظيمي الشأن في الصحراء براع يناجي ربّه بهذه الصّورة :

الهي ! أين أنت لأخدمك وأخيط لك جواربك وأمشّط شعرك ، انظّف رداءك وأرتّبه ، أجلب لك الحليب ولو مرضت أراقبك واغتمّ لغمّك ، أقبّل يديك وأفرك قدميك ، أرتّب سريرك عند النّوم ولا أفارقك ولو لحظة واحدة وأتناول الوجبات اليوميّة الثّلاث معك و...

أيّها الإله الذي تدور كلّ أناشيدي حوله ، يا من أفديه بكلّ خرافي .

وهكذا استمرّ ذلك الرّاعي بمناجاته علىٰ هذا المنوال .

ولما علم موسىٰ (ع) انّ هذا الرّاعي لم يعرف ربّه ويتصوّره كالانسان له حذاء وقبّعة وثياب وفم ، اقترب منه وقال : ما هذه التشبيهات التي تنبعث منها رائحة الكفر والضلال ؟ صُنْ لسانك ! وهل كان الله تعالىٰ عمّك أو خالك لتخاطبه بهذه الصّورة ؟!

لو واصلت هذا النحو من المناجاة ، فستحترق بنار القدرة الالهيّة .

وحينما تعرّض الراعي لمثل هذه الملامة والتوبيخ الحادين ، وأدرك ان موسىٰ (ع) هو نبي الله تعالىٰ ، تملّكهُ الرعب وانقطع عن الكلام ومزّق ردائه لشدّة الانفعال وانّ أنيناً حزيناً وغرق في بحرٍ متلاطم من الغم وترك كل شيء وساح لوحده في الصحاري والأودية والجبال حتىٰ غاب عن الأنظار .

بعد ذلك أُوحِيَ إلىٰ موسىٰ (ع) أنّه لِمَ طردت عبدنا من بابنا ؟ أنّه عاشق ولهان وعلىٰ اتصال بنا في عالم آخر (عالم العشق والصفاء فيما وراء العقل والدليل) .

فمنذ تلك اللحظة فتحت نافذة أُخرىٰ من عظمة العشق علىٰ روح موسىٰ (ع) العالية وأدرك بأن الطرق إلىٰ معرفة الله تعالىٰ هي بعدد أنفاس الخلائق ...

فانطلق موسىٰ (ع) في الصحاري باحثاً عن ذلك الراعي ليعتذر منه ، فوجده في سهل فسيح فاثنىٰ علىٰ عشقه وصدقه وصفائه وأعاد الهدوء والسّكينة الىٰ قلبه الناصع الذي تعرّض للغمّ وقال : لا حاجة لأيّة آداب وتعاليم للمناجاة بل أفصح عمّا يكنه قلبك .

فقال الرّاعي لموسىٰ (ع) : لم أعد ذلك الرّاعي ، فلقد بلغت سدرة المنتهىٰ بلباس الرّاعي وحلقت بأجنحة العشق والوله الالهي حتىٰ غلبت الملائكة .

علىٰ أيّة حال ، حينما تحسّ يا أخي بأن روحك تميل باتّجاه الملكوت الأعلىٰ فواصل ذلك المسير ، أمّا لو رغبت في التراب المظلم فستكون عاقبتك السقوط والانهيار والله تعالىٰ لا يرغب في مثل هؤلاء الأشخاص .

* * *

٤٧ ـ « البستاني واللصوص الثلاثة » :

ذهب بستاني الىٰ بستانه فوجد هناك ثلاثة أشخاص قد دخلوا البستان بدون اجازته ، فعزم علىٰ اخراجهم من البستان لكنّه وجد نفسه وحيداً أمامهم .

تأمّل فيهم جيّداً فالتفت الىٰ انّ أحدهم صوفي والآخر سيّد والثّالث ملا ، فقال مع نفسه : لأبثّ بينهم التفرقة أوّلاً ثمّ أطردهم من البستان واحداً بعد الآخر .

توجّه البستاني أوّلاً الىٰ الصّوفي وقال : الجلوس علىٰ الأرض لا يليق بشأنك اذهب هناك واجلب لك بساطاً لتجلس عليه .

ذهب الصّوفي لجلب البساط ، فقال البستاني للملّا حين ذهاب الصّوفي : أنت حاكم الشّرع وما من لقمة نتناولها الّا وأنت الذي تبين حلالها من حرامها ، فلك حقّ في ذممنا ، وكذا ذلك سيّد من ذريّة النّبي (ص) ، ما قيمة بستاني بالنسبة

اليكما ؛ روحي لكما الفداء ، لكن ليس من الصحيح أن تصاحبا ذلك الصّوفي مع جلال قدركما ، وهكذا استمرّ على هذه الوتيرة الى أن تغيّرت نظرتهما بالنسبة للصّوفي بدرجة بحيث أبدوا استعدادهما لإخراجه من البستان .

بعد ذلك توجّه البستاني الىٰ الصّوفي وقال له : أي صوفي أنت الذي تتسلل الىٰ بساتين النّاس خلسة ؟!

هل أمرك « الجنيد » أم « بايزيد » بمثل هذا العمل ؟ ثمّ شرع بضربه بالهراوة والحجارة حتىٰ أوجعه ضرباً وأجبره علىٰ ترك البستان ، فنادىٰ الصّوفي اصدقاءه عديمي الوفاء أثناء خروجه من البستان : ستنالان نفس مصيري لأنّ هذا هو جزاء كلّ دنيّ ، ستخرجان مثلي وستأكل هراوته من أبدانكما أيضاً ، فهذا العالم هو كالجبل الذي يصطدم به الصّوت ليعود دويّه الىٰ صاحبه .

ثمّ ذهب البستاني الىٰ الملّا والسّيد واستقبلهم استقبالاً حارّاً ثمّ قال للسيّد : لقد حان وقت الغداء ، الخبز حار ومائدة الطّعام جاهزة في غرفة البستان ، اذهب هناك وتناول طعامك فأنت سيّد واحترامك واجب علينا .

ذهب السّيد وبقي الملّا لوحده ، فقال البستاني للملّا : احترامك واجب علينا ، أنت الذي تبيّن الحلال والحرام من الأحكام ، ولهذا فالحقل تحت اختيارك ، لكن هذا السيّد الذي يعتبر نفسه من ذريّة النبي (ص) ، ما هو الدليل على كونه سيداً ؟ وكيف نقتنع بذلك ؟! وبقي يتحدّث بهذا الأسلوب إلى أن جعل الملّا يقتنع بالتخلّي عن السيد .

وحينذاك توجّه البستاني إلى السيد وقال له : من أجاز لك الدخول إلى هذا الحقل ؟ وهل ورّث النبي (ص) والعياذ بالله السرقة لذريّته ؟ أي شَبَهٍ بينك وبين النبي ؟ أنت كذّاب ولست بسيّد ! ثم ضربه ضرباً مبرحاً حتى أوجعه فخرج السيّد من الحقل هارباً وهو يستغيث برفيقه الملّا .

بعد ذلك توجه البستاني إلى الملّا وقال له : أي فقيه أنت ؟ هل أفتى أبو حنيفة أم الشافعي بدخولك إلى الحقل بدون اجازة مالك الحقل ؟ أم انك قرأت هذه الفتوى في كتاب (المحيط) الفقهي ؟

ثمّ هجم عليه وضربه باللّكمات والرفسات بكلّ ما أُوتي من قوّة ، وبينما كان ضمير الملّا يؤنّبه لعدم وفائه مع

أصدقائه ، قال للبستاني :

أضربني بكل قوّة لأني أستحق الضرب عقاباً على عدم وفائي .

خلاصة القول ، انّه ظل يضرب الملّا حتى أشرف على الهلاك ثم أخرجه من الحقل وأغلق الباب .

إذن يا أخي إيّاك والانعزال عن الآخرين ممّن عهدت لهم بالوفاء والّا لأصبحت أسوء حالاً من ذلك الملّا .

٤٨ ـ « المسألة الأصلية والنيّة الحسنة » :

قام أحد أقطاب العلم والعرفان ببناء دار جديدة له ، فزاره استاذه ليبارِك لهُ على داره الجديدة ، فوجد منفذاً صغيراً في جدار الغرفة يطل على الخارج .

فسأله : لأي شيء جعلت هذا المنفذ ؟!

أجاب العارف : ليدخل النور إلى الغرفة ويضيء أرجاءها .

قال الأستاذ : دخول النور إلى الغرفة يتم بنفسه بشكل

طبيعي ، وهذا شيء ثانوي ومسألة فرعيّة ، اجعل نيّتك في ترك ذلك المنفذ ، لسماع الأذان ومعرفة وقت الصلاة ، ليكن هدفك علىٰ هذا الأساس وبهذه النيّة ، فأنت الذي ينبغي عليك تشخيص الهدف ، إذن انتبه إلىٰ المسألة الأصليّة !

٤٩ ـ « حج بايزيد » : يقال انّ بايزيد البسطامي (أحد العرفاء المعروفين) توجّه الىٰ الحج، وكان خلال الطريق يسأل عن رجل الهي في كلّ حيّ ومدينة يمرّ بها ليقوم بزيارته . الىٰ أن عثر في احدىٰ المدن علىٰ شيخ ضرير وبعد حوار قصير معه استنتج انّه رجلٌ حقيقة نقي القلب ، فجلس معه وسأله عن أحواله .

فقال ذلك الشّيخ : أنا رجل فقير كثير العيال .

ثمّ سأل الشّيخ بدوره بايزيد : أين مقصودك ؟

بايزيد : حجّ بيت الله الحرام .

الشّيخ : ماذا معك ؟

بايزيد مائتا درهم قد أخفيتها في زاوية ردائي .

فقال الشيخ : تلك المائتي درهم اعطنيها لتأمين حياة عائلتي ، وطف بي بدل الكعبة ، (اهتمّ بي وارحمني) وفي

هذه الحالة تبلغ الهدف ، كما ان صاحب الكعبة (الله تعالى) سيجعل ثواب عملك هذا أكبر من ثواب الطواف حول الكعبة .

فوافق بايزيد على اقتراح الشيخ وأعطاه المال .

رأي الكاتب في قصة « حج بايزيد » :

ينبغي توجيه هذه القصّة من الناحية الفقهية بهذه الصورة :

١ ـ كان حج بايزيد حجاً مستحباً .

٢ ـ كان اعطاء المال لذلك الشيخ هو من باب الضرورة ، بحيث انّه لو لم يعطه ايّاه لتعرّض الشيخ أو أحد أفراد عائلته إلى الهلاك جوعاً . فهو والحالة هذه ملزم بدفع المال ، وعند الدفع تنخرم استطاعته .

وفي غير هذه الصورة لا يمكن اعتبار تصرّف بايزيد هذا اسلامياً مع الأخذ بعين الاعتبار انّ وجود أكثر من رواية تؤكّد انّ ثواب الرحمة ومساعدة المؤمن المحتاج اكثر من ثواب حجّ مستحب .

٥٠ ـ « المريض السعيد وتوصية النبي (ص) » :

حينما علم رسول الله (ص) بمرض أحد أصحابه وملازمته للفراش ذهب (ص) لزيارته وللاستفسار عن أحواله ، وما ان شاهد المريض ان النبي (ص) جالسٌ بالقرب منه ، حتىٰ كأن الشّفاء قد دبَّ في بدنه من جديد ، بحيث ان باله لم ينشغل بألم المرض لشدة الفرح ، بل انه افتخر بمرضه لأنه السبب في مجيء سيد الكائنات لزيارته وتحسن صحته ، فقال : « مرحباً بالمشقة التي يعقبها الغنىٰ ، مرحباً بالمرض الذي جاء بسيدي اليّ . لقد كانت علتي لطفاً من الله تعالىٰ ، ولأبقىٰ يقظاً طول الوقت لأجلس مع الحبيب شطراً من اللّيل . لا تحزن لتوالي الفصول فلابد ان يتخللها الربيع ، ولا تحزن للموت لأن الحياة الأبدية بعده . لاتطع هوىٰ النفس فتسقط في الهاوية » .

بعدها قال النبي (ص) للمريض : « هل دعوت دعاءاً في غير محله ؟ فانه مثل ما لو تناولت حساءاً خالطه السم » .

فأجاب المريض : « لا أدري ، لكن لو رحمتني ودعوت لي ، ربّما تذكّرت المنسيّات » . فأفاض وجود النبي (ص) المبارك نوراً في نفس المريض جعله يستدرك ماغاب عن ذهنه وشرع بالقول : « يارسول الله : تذكرت الآن ، فقد تدخلت فيما لايعنيني ، حتىٰ غصت في قعر الذنوب فجرتني إليها بعنف . بعد ذلك توسلت بكل شيء لانقاذ نفسي ، وكنت في تلك الفترة اسمع منك المزيد من الوعد والوعيد ، فانتابني الخوف والقلق ، ولم أجد بدا من التضرع إلىٰ الله تعالىٰ ، فدعوته ليلقيني بنار المرض والعلّة ، ويبتليني كما ابتلىٰ هاروت وماروت في البئر العميق في أرض بابل ، لأنال جزاء أعمالي في هذه الدنيا ولكي لايفلت مني زمام نفسي العاصية ، ولو لا أنّك تداركتني لفقدت نفسي بالمرّة » .

فحذّره النبي (ص) من مغبّة العودة إلىٰ مثل هذا الدعاء ، وقال (ص) : « انت لاتقوىٰ علىٰ حمل صخرة عظيمة أيها العاجز ! ليكلفك الله تعالىٰ بحملها » . فقال المريض : « لقد تبت ، ولن أتكلم جزافاً بعد الآن . يارسول الله (ص) ان مثلك مثل موسىٰ (ع) ، الذي أخذ بأيدي الحائرين والتائهين في البيداء ليوصلهم إلىٰ غايتهم. ونحن الضعفاء حينما نتأمل في

تلك السنين التي قضيناها نجد إننا لا نزال في نفس تلك النقطة التي انطلقنا منها لانحرافنا عن الصراط المستقيم . بعدها لقّنه النبي (ص) دعاءاً للتوبة ، وهو بهذه الصورة : « يامسهل المعضلات ! آتنا في هذه الدنيا حسنة ، وأجعل لنا في الآخرة حسن مآب ! اللّهم اجعل باب ربوبيتك غايتنا القصوىٰ! وسهّل لنا يارب الطريق لنيل رحمتك ولطفك » .

٥١ ـ « الجواب المحكم للمتظاهر بالجنون » :

كان أحد الأشخاص يبحث عن رجل ذكي فطن ، ليستشيره في أمره ويطلب منه حلاً للمشكلة التي يعاني منها . فقال له رجل آخر : « لايوجد في حيّنا سوىٰ رجل ذكي واحد ، متظاهر بالجنون اسمه (بهلول) ، وهو يمتطي قصبة ، ويقول للصبية ان هذا هو حصاني ، فيلهو ويلعب معهم . وذلك المتظاهر بالجنون رجل عالم ثاقب النظر يتمتع بروح عالية ، وقد غطىٰ ذكائه بغطاء الجنون (لئلا يُبتلىٰ بظلم الجهاز الحاكم لهارون الرشيد) ، وهذا الرجل يمكنه البلوغ بالانسان إلىٰ الكمال في

سلوكه المعنوي .

توجّه الباحث نحو بهلول (راكب القصبة) فخاطبه : « ياراكب القصبة ! اتجه بحصانك نحوي ، للحظات ! »، فساق بهلول حصانه باتجاهه وقال : « قل ماذا تريد بسرعة ؟! فلا أستطيع الوقوف كثيراً ، لأن حصاني (قصبتي) يرفس كثيراً . اسرع والا أصابتك رفسات حصاني ! » .

قال الباحث : « اريد ان اتزوج امرأة من هذا الحي ، فما هو رأيك ، وأي امرأة اختار ؟! »، أجابه بهلول : « ان النساء بشكل عام علىٰ ثلاثة اصناف : صنفان يبعثان علىٰ المشقة ، وصنف يبعث علىٰ السرور :

١ ـ المرأة التي تكون في اختيارك مطلقاً .

٢ ـ المرأة التي يكون نصفها في اختيارك ونصفها بعيد عنك .

٣ ـ المرأة التي تكون منفصلة عنك بالكامل وكأنها لاترتبط بك لا من قريب ولا من بعيد » .

ثم امتطىٰ بهلول صهوة جواده (قصبته) واتجه بسرعة نحو الصبية مبتعداً عن ذلك المكان وهو يهتف ويصيح . فبقي الرجل الباحث حائراً ، ولم يفهم السر في كلام بهلول ،

فانطلق نحوه مسرعاً وقال بصوت مرتفع: « يابهلول فسّر لي كلامك هذا » . فرجع إليه بهلول وقال:

١ ـ المرأة التي هي في كامل اختيارك ، هي البنت الباكر التي تسعدك دائماً .

٢ ـ المرأة التي يكون نصفها في اختيارك هي المرأة الثيب التي كان لها زوج قبلك .

٣ ـ المرأة التي تكون منفصلة عنك بالكامل هي المرأة الثيب التي لها طفل من زوجها السابق . فيذكرها طفلها به لأنه أبوه .

ثم هتف بهلول قائلاً : « ابتعد عني لئلاّ يرفسك فرسي » واتّجه نحو الصبية ليلتفوا حوله ويلعبوا معه . فتعجب الباحث من حدّة ذكاء بهلول وتدبيره فتبعه ، وعندما أدركه سأله : « ماذا تفعل مع الاطفال بقصبتك هذه ، وانت بهذا الذكاء ؟! » . فقال بهلول : « هؤلاء الوحوش (أعضاء حكومة هارون الظالمة) طلبوا مني ان أكون قاضياً للمدينة ، فرفضت طلبهم هذا ، وحينما اصرّوا عليّ لعدم عثورهم على أحد بعلمي وذكائي تظاهرت بالجنون لأتخلص من شرّهم . أجل ، فلو لم أتظاهر بالجنون امام هؤلاء الظلمة الذين يدعونني

لإعانتهم علىٰ جورهم وبغيهم ، فأنا مجنون واقعي . والذي يتأمل في هؤلاء الجلاّدين الظلمة ولا يتظاهر بالجنون ليخفي مافي نفسه فهو مجنون حقيقة . فالعلم هو الذي يذوب في الحقيقة ، لا ذلك الذي يُتخذ كحرفة لبلوغ الاطماع الحيوانية الجوفاء ، وعلمي هو من النوع الأول الذي هو طريق السعادة ، لا من النوع الثاني الذي هو سبيل التجارة ، لقد بعت انسانيتي لوجه الله تعالىٰ بكسب الحلال لا بكسب الشيطان » .

٥٢ ـ « الكلب الوقح » : بينما كان هناك متسوّل بصير يسير في الزّقاق هجم عليه كلب فجأةً كهجوم الأسد علىٰ فريسته ، فمزق ثيابه ، وأراد أن يأكله . فقال البصير للكلب : « انك سيد الصيادين، وينبغي ان تهجم علىٰ الفريسة في الصحراء ، لا علىٰ عاجز ضعيف مثلي . فأمثالك يهجمون علىٰ الحمار الوحشي في الصحراء ويصطادونه ، اما انت فتهجم عليّ انا الأعمىٰ! » ، « أجل فانت تصطاد الأعمىٰ بدل حمار الوحش لقلة تربيتك ،

في حين انّ كلاب الصيد لاتعبأ بمثلي ».

فيا أخي ! لا تغفل عن تربية كلب النّفس لتخطو في طريق الحلال ، لا أن يكون همها ازعاج ومضايقة الضعفاء والمكفوفين.

٥٣ ـ « فكر اللّص » :

وجد أحدالأشخاص لصاً في منزله ، فتبعه سعياً في القبض عليه . وما ان أشرف علىٰ ذلك ، حتىٰ صاح لص آخر وقال :

« تعال هنا لأُريك آثار أقدام اللص ! اسرع ، اسرع ! » ، وعندما سمع صاحب البيت هذا الصراخ ، قال في نفسه : « ما الفائدة في القبض علىٰ ذلك اللص الذي هرب يجب ان أسعىٰ لانقاذ أهلي واطفالي من شرّ هذا اللص الذي صرخ » . فتوجه إليه ليمسك به وقال له : « ما هذا الصراخ ؟ » أجاب اللص : « أُريد أن أريك آثار أقدام اللص، اُنظر هذه هي ـ مشيراً بيده إليها ـ » ، فقال صاحب المنزل : « كنت قد وجدت اللص نفسه ، وأنت تريني آثار اقدامه ؟! يالك من أحمق ! لابد انك لص آخر ،

تسبب في ان يفلت ذلك اللص من قبضة يدي. فما قيمة الآثار بالنسبة لي وقد بلغت الحقيقة ؟» بل ما جدوىٰ الصفات حين يفقد الانسان عين الذات ؟ فالطاعة العمياء للمقربين تعد معصية. لأنهم قد بلغوا عين الماء، اما غيرهم فيبحث عن لون الماء وحسب الرّواية المعروفة « حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين» ، فالذي يغوص الىٰ القاع لايلتفت إلىٰ لون الماء.

إذن كن حذراً يا أخي ولا تغفل، لكي لايذهب قطاع الطرق بفكرك وعقلك هنا وهناك (يمنة و يسرة) وحتىٰ لاتنشغل بالعلائم والاشارات التي تؤخرك بالنتيجة عن بلوغ الحقيقة.

٥٤ ـ « قصة مسجد ضرار » : اتفق جمع من المنافقين في المدينة المتظاهرين بالايمان علىٰ بناء مسجد آخر غير مسجد المسلمين لبث الفرقة بين المسلمين وتفريق كلمتهم. وبعد اكمال بنائه جاءوا إلىٰ النبي (ص) وقالوا له بكل تواضع : « يا رسول الله،

نحن نرجوا أن تأتي معنا لتفتتح المسجد الذي بنيناه ، بقصد انتفاع المسلمين به في الايام والليالي الممطرة ، ولجمع شمل المسلمين وتقوية شوكتهم بشكل أكبر ، وليكون للمسلمين في حيّنا مسجد قريب منهم . فتلطف علينا ولو لساعة واحدة للتبرك بنور وجهك الوضّاء » . وتكرر تمجيدهم وثناؤهم وتملقهم للنبي (ص) وكأنهم خدمته وعبيده ، بالرغم من حقدهم الدفين . ونتيجة لذلك عزم النبي (ص) علىٰ تلبية دعوتهم . فنزل عليه الوحي واطلعه (ص) علىٰ خطتهم الشيطانية ونهاه عن زيارتهم .

فقال لهم النبي (ص) : « نحن الآن بصدد التوجه إلىٰ غزوة تبوك ، وبعد رجوعنا سأقوم بزيارتكم » ، وهكذا تمكن من التخلص منهم .

فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه (ص) ان اعلن عن هذه القضية علىٰ رؤوس الأشهاد ، ولو دعت الضرورة إلىٰ سفك الدماء . فقال لهم النبي (ص) : « اغربوا عن وجهي ، فلن أزوركم أبداً ، لأنكم تبيتون هذه الخطة الخبيثة » ، فقالوا بصوت واحد : « معاذ الله ، لا قصد لنا ، ولا يوجد شيء من هذا القبيل أبداً » . ثم توجهوا إلىٰ قومهم وأخبروهم بالأمر ، وبعد ذلك رجعوا

إلىٰ النبي (ص) والمصاحف في أيديهم ، وهم يقسمون بالايمان بعد الايمان ، انهم بريئون من مثل هذه التهمة . فقال لهم النبي (ص) : « أيها المنافقون ! هل أقبل وحي الله تعالىٰ ، أم اصدّق ايمانكم ؟ » ، فعاد المنافقون إلىٰ الايمان والمصاحف في أيديهم ، بأنهم لم يقصدوا من بنائهم لهذا المسجد إلا ارتفاع نداء الله أكبر قربة إلىٰ الله تعالىٰ وانه لاتوجد أية خدعة .

فقال لهم النبي (ص) : « اني اسمع الوحي الالهي القدسي ، الذي تعجز قلوبكم المظلمة عن ادراكه ، اغربوا أيّها الكاذبون » .

لكنهم لم يقتنعوا بذلك وأصروا علىٰ تبرئة أنفسهم وأقسموا علىٰ ذلك بشتىٰ العبادات المخادعة . فصارحهم النبي (ص) قائلاً : « اذهبوا فانكم تكذبون » . وهنا ثار غضب أحد الصحابة وقال في نفسه : « لماذا يوبخ النبي (ص) هؤلاء الشيوخ الموقرين . واين اصبحت ضرورة ستر واخفاء العيوب التي يدعيها ؟! ألم يخف الانبياء العظام (ع) مئات الآلاف من العيوب ... » .

وبينما كان غارقاً في هذا الوهم المضل ، فاذا الاستغفار

يخطر على باله ويطلب العفو من الله تعالىٰ . إلا ان ماحدّث به نفسه ترك في قلبه الملكوتي نقطة سوداء ، ولاقت فكرة المنافقين عنده موضع قبول وأثرت عليه ، فندم كثيراً ، وفي نفس تلك الليلة رأىٰ في المنام ان قواعد ذلك المسجد ترتكز علىٰ جيفة نتنة ، وان أحجاره قد استقرت في مكان كثيف ، فانكشف له الباطن البشع لذلك المسجد واطّلع علىٰ علامة النفاق الوضيعة .

بعد ذلك أمر النبي (ص) بهدم المسجد ، وجعله محلاً لجمع النفايات والقاذورات ، فظهر للجميع بأن القائمين علىٰ بنائه كانوا مخادعين يبغون الفتنة .

أجل ، فان الصياد يُغري الطَير بنثر الحَبِّ والطعام له لا تكريماً له بل لكي يتمكّن من ايقاعه في الفخ بهذه الخديعة .

* * *

٥٥ ـ « الجمل الضائع » :

غـــاب بـعير أحــد الأشــخاص عــن أنـظاره ، فصارَ يبحث عنه في الأزقّة والطرقات ، ويقول لكل من يصادفه : « هل رأيت بـعيراً أوصافه كذا وكذا ؟! » . فبدأ كل من كان قد شاهد البعير يذكر أحد أوصافه لينال الجائزة . فقال أحدهم : « انه مقطوع الأذن » فيما قال آخر : « له سرج ملوّن » ، وأشار الثالث إلىٰ ان احدىٰ عينيه قد فقأت (عميت) ، اما الرابع فقد قال : « لا يوجد علىٰ بدنه وبر » . وفي هذه الأثناء ادعىٰ شخص آخر زوراً وبهتاناً ان بعيره قد ضاع ايضاً ، وهكذا بدأ يتتبع اثر المالك الحقيقي أيـنما ذهب ، ويـقلدّه فـيما يـقوله مـعتبراً نـفسه صـاحب المشكـلة ، كـالمالك الحـقيقي . وفـجأة وقـعت عـين هـذا المفتري علىٰ بعيره الذي يدّعيه ، في الصحراء ، فتوجه إليه ، وانفصل عن المـالك الحـقيقي وقـال له : « صـدقك دفـعني للسعي وسعيي أوصلني إلىٰ الصدق والحـقيقة » . بـالضبط مثل السارق الذي ذهب ليسطو علىٰ أحـد المـنازل ، لكـنه

عندما تأمل جيداً فيما حوله ، وجد نفسه في منزله .

إذن يا أخي لاتغفل ، واعلم ان السعي سيوصلك حتماً إلىٰ المراد ، وحتىٰ لو لم تكن بدايات سعيك بتلك الأهمية التي تذكر فالعاقبة محمودة . لاتثبت في مكان واحد ! اسع ، تحرك ، فالحركة تتبعها الثمرة ! وما أكثر ان يتيه الباحث الحقيقي بين القيل والقال ، في حين يصل الباحث الطفيلي إلىٰ الحقيقة .

٥٦ ـ « الباحث عن عيوب الناس ، الغافل عن عيوبه » :

توجه أربعة أشخاص إلىٰ المسجد ، وشرعوا بالصلاة . وفي هذه الأثناء دخل مؤذن المسجد ، فقال الأول للمؤذن : « هل حان وقت الأذان ؟! » فرّد الثاني علىٰ الأول : « صلاتك باطلة ، فقد تكلمت اثناء الصلاة » فقال الثالث للثاني : « لماذا تطعن في صديقك ؟ صلاتك أنت أيضاً باطلة » . فقال الرابع : « الحمد لله لأني لم أتكلم مثل هؤلاء الثلاثة ، فلم تبطل صلاتي (ولم أسقط في الهاوية) » .

وبهذا بطلت صلاتهم جميعاً . وهكذا الذين يبحثون عن عيوب الآخرين ويغفلون عن عيوبهم يحبط الله أعمالهم وتذهب جهودهم أدراج الرّياح .

٥٧ ـ « نعمة التاريخ » :

قامت مجموعة من قطّاع الطرق المعروفين بأسم « غَزْ » بالهجوم علىٰ إحدىٰ القرىٰ ، فقبضوا علىٰ رجلين من أعيانها ، وقرروا قتل أحدهما ليعتبر الآخر ويخاف (الذي كانت يداه مقيّدتين) مما حلّ بصاحبه ، فيدلهم علىٰ مخزن الذهب .

وعندما عزموا علىٰ قتله ، قال لهم : « لماذا تقتلوني انا العاجز الفقير ؟ » فأجابوه : « ليدخل الرعب في نفس صاحبك ، فيدلنا علىٰ مكان الذهب » فقال لهم : « لو تثقون بي ، اقتلوا صاحبي أولاً ، حتىٰ اعتبر وأدلكم علىٰ مرادكم » .

ان هذا المثال يدعونا للتأمل في لطف الله تعالىٰ ، وتحننه علينا حينما خلقنا في آخر الزمان . لنعتبر ونتعظ من حوادث ومصائب القرون الماضية ، كهلاك قوم نوح وهود ...

٥٨ ـ « الطبيب والشيخ المريض » :

ذهب شيخ مسنّ إلىٰ الطبيب ، يشكو داءه ، فقال للطبيب : « انفي يؤلمني » ، فقال الطبيب : « بسبب الشيخوخة » .

الشيخ : « بصري ضعيف » .
الطبيب : « بسبب الشيخوخة ايضاً » .
الشيخ : « لا ألتذ بالطعام والشراب » .
الطبيب : « بسبب الشيخوخة ايضاً » .
الشيخ : « أعاني من ضيق التنفس » .
الطبيب : « ذلك أيضاً بسبب الشيخوخة » .
الشيخ : « لقد انحنىٰ ظهري » .
الطبيب : « بسبب الشيخوخة » .
الشيخ : « هناك ألم في عيني » .
الطبيب : « بسبب الشيخوخة » .

وهنا غضب الشيخ وقال للطبيب : « أيها الأحمق الجاهل ! ألم تعلم من علم الطب سوىٰ هذه الجملة فقط » .

الطبيب : « هذا الغضب ونفاد الصبر بسبب الشيخوخة أيضاً » .

أجل يا أخي ، فالبعض يبدو عليهم الكبر ، في حين ان لهم روحاً شابة غارقة في الفيض الالهي ، في العالم المعنوي ، كالأنبياء والأولياء والصالحين... فلا تَتَعجَّلْ باصدار الأحكام المجحفة بحقّهم مستنداً علىٰ ظاهرهم ، وتغض البصر عن سيرتهم بسبب الصورة ، بل تعمق في جوف قلوبهم ، واستلهم من طراوة ونشاط أرواحِهِم المعنوية . اجعل صفاء قلوبهم مرآة لنفسك ، واستطلع سرائرهم تَعرِفْ قدرهم وشأنهم .

٥٩ ـ « حديث الطفل اليتيم بالقرب من جنازة أبيه » :

بينما كان المشيعون يشيّعون جنازة أحد الموتىٰ ، كان ابن المتوفى واقفاً علىٰ التابوت وهو يبكي ويقول : « أبي العزيز سيذهبون بك إلىٰ حفرة مظلمة عميقة ، لا بساط فيها ولا نور و... » . فسمعه طفل فقير كان واقفاً هناك مع أبيه ، فالتفت إلىٰ

أبيه وقال له : « انهم سيذهبون بهذا التابوت إلىٰ كوخنا يا أبت ! لأن هذه الأوصاف التي ذكرها هذا الطفل تنطبق علىٰ بيتنا، إذ لا يوجد في بيتنا بساط ولا نور أو طعام أو آنية أو ماء » .

يا لفضاعة القبر ، وأهواله وبشاعته ، حتىٰ انه أصبح حديثاً يدور علىٰ ألسنة الجميع ، حتىٰ الطفل اليتيم .

فلا تنسَ يا أخي ! ولا تجعل قلبك قبراً مظلماً خَرِباً . حرّر نفسك من حصار مثل هذا القلب ، بل أَلهِمهُ النور والحياة بتسبيح الله تعالىٰ ، لتنجو كما نجا يوسف (ع) من ظملة السجن ، ويونس (ع) من احشاء الحوت ، بالشكر والتسبيح .

٦٠ ـ « البدوي والحكيم » :

لقي أحد الحكماء رجلاً من أهل البادية كان قد وضع كيسين علىٰ ظهر البعير وهو جالس فوقهما ، فسأله عن محتويات الحمل (الكيسين) .

أجاب البدوي : « يوجد في احدهما قمح وفي الآخر

رمـل وحـصىٰ » . فـقال الحكـيم : « ولمـاذا حـملت الرمـل والحصىٰ » . أجـاب البـدوي : « ليـتعادل الحـمل » . فـقال الحكيم : « اجعل القمح نصفين ، وضع كل نصف في طرف ليخف حمل البعير وتتخلص انت ايضاً من مشقة ثقل الرمل والحصىٰ » . فـاستحسن البـدوي اقـتراح الحكـيم وطـبقه ، وطلب منه الصعود علىٰ ظهر البعير ، رأفةً بحاله واعترافاً منه بجميل نصيحته ، وفي الطريق سأل البدوي الحكيم قائلاً : « لابدّ وانك تمتلك الكثير من البساتين والأموال والغلمان و ... لحكمتك وعلمك هذا ، لكن أخبرني لماذا تـتجول راجـلاً حافياً مع كل هذه الحكمة والخبرة ؟ » . فأجـاب الحكـيم : « قسماً بالله تعالىٰ اني لا أمتلك حتىٰ عشاء يومي هذا . فأنا أذهب حيثما أجد لقمة العيش عارياً حافياً . ولم أجـد مـن حكمتي هذه سوىٰ الهم والمشاكل » .

وعندما عرف البدوي حال الحكيم ، صاح في وجهه : « اغرب عن وجهي لئلا يعديني شؤمك هذا » .

ان الحكمة التي تبعث علىٰ الجمود والركود وتنحصر في القول دون الفعل لاتعدّ حكمة بل هـي نـقمة . الحكـمة العملية ، تبعث علىٰ النشاط والابداع في الفكر ، بالضبط كما

يفعل الشلال الذي يحيي الأرض بعد موتها .

٦١ ـ « جـزاء المـذنب المغرور »:

قـال شـخص مـذنب في عهد النبي شعيب (ع) : « مع اني قـد أذنـبت كـثيراً لكن الله تعالىٰ لم يعاقبني ، بل أكرمني وانعم عـليّ » .

فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ شعيب (ع) ، ان قل لذلك الشـخص : « أيها الأحمق ! لم اعاقبك وانت غارق فـي الضـلال ؟ لقـد قيدتُك بسلسلة انتقامي ، ومسخ قلبك وأكله الصدأ ، وغطّته الحجب ، فلم يعد يدرك الأسـرار والحـقائق . فـهل يـاترىٰ يوجد هناك عقاب أشدّ من هذا ؟! » فابلغ شعيب (ع) ، ذلك المغرور بما قاله الله تعالىٰ . فقال لشعيب (ع) : « ما الدليـل علىٰ عقاب الله تعالىٰ لي ؟ » ، فطلب شعيب (ع) من الله تعالىٰ أن يظهر العلامة علىٰ معاقبة ذلك المغرور . فقال الله تعالىٰ لشـعيب (ع) : « انـي ستّار العـيوب ، ولا أفـضح عـثرات الآخرين، لكني سأبين عـلامة واحـدة له . قـل له ان عـلامة واحدة من عقابي لك هـي تـجرد كـل واحـد مـن عـباداتك

كالصوم والصلاة والزكاة والدعاء و ... من أدنىٰ لذة روحية تشعر بها . طاعتك أنيقة بحسب الظاهر ، لكنها خاسرة في ذاتها » أي بالضبط كالجوز الفاسد .

فلو وضعنا بذرة خالية من اللب تحت الأرض ، هل ستتحول إلىٰ شجرة مثمرة ياترىٰ ؟ كلا أبداً .

وحينما أبلغه شعيب (ع) بهذه الملاحظة الدقيقة ، انكمش علىٰ نفسه وولىٰ مدبراً ولم يعقّب .

٦٢ ـ « نصيحة الجمل للفأر المغرور » :

أخذ فأر بزمام بعير وسار في الطريق متبختراً . وسار الجمل بجثته العظيمة تلك خلف الفأر المعجب بنفسه . اتضح غرور الفأر هذا للجمل لكنه لم يظهر أي رد فعل بل قال في نفسه : « أيها الفأر الحقير ، ان الوقت ليس بوقت تكبر ووقاحة . اصبر كي أُريك بأم عينيك وضاعتك وقلّة شأنك » . استمر الفأر وهو يطوي الطريق ، آخذاً بزمام البعير حتىٰ وصل إلىٰ نهر صغير ، فتوقف هناك ، ولم يتمكن من مواصلة

السير .

فقال له البعير : « لِمَ توقفت ؟ تحرك ! » ، فأجابه الفأر : «ان هذا النهر واسع وعميق ، ولو نزلت فيه لغرقت » ، فقال البعير : « دعني أحدد عمق الماء أولاً ، ثم انزل انت فيه » . فبلغ عمقه إلىٰ ركبة البعير ، فالتفت إلىٰ الفأر وقال له : « أيها الفأر ، انه ليس بذلك الشيء ، فلم يتعد عمقه الركبة » ، فقال الفأر : « هناك ركبة عن ركبة ، فهو بالنسبة لك نملة ، اما بالنسبة لي فهو ثعبان ، بالنسبة لك إلىٰ الركبة ، لكنه يتجاوزني مئات الأذرع » . وهنا قال البعير للفأر : « كن حذراً واياك والوقاحة والتكبر ! أيها الضعيف لو احببت التظاهر ، ليكن مع الفئران . أين الفأر من البعير ؟! » . قال الفأر : « لقد تبت ولن أتكبر بعد الآن ، ارجوك ان تأخذني إلىٰ الجانب الآخر من النهر » . فرقّ قلب البعير علىٰ الفأر وقال له : « اصعد الآن واجلس فوق سنامي ، لآخذك إلىٰ الضفة الأخرىٰ . فاني أود اجتياز النهر ، ويمكنني ان آخذ معي آلافاً مؤلفة من أمثالك وأعبر بهم النهر » .

فان لم تكن أميراً فكن مواطناً عادياً ! وان لم تكن ملاحاً للسفينة فلا تتولَ قيادتها .

٦٣ ـ « التحليق اللامحدود في الفضاء الكوني » :

ذهب جمع من المريدين إلى قطبهم واشتكوا عنده من تصرفات أحد رفاقهم واسمه (عبد الباقي) ، وقالوا ان فيه ثلاث خصال قبيحة ، فهو كثير الكلام والمنام والطعام . فأمر زعيمهم باحضار عبد الباقي وعندما حضر قال له : « كن معتدلاً في الحالة التي انت عليها ، فقد جاء في الحديث « خير الأمور أوسطها » ، فكن معتدلاً على الدوام واياك والافراط والتفريط ! » .

فاعتذر عبد الباقي من عدم ارتياح زعيمه منه وقال له : « الحد الأوسط أمر نسبي ، فالجدول الصغير على سبيل المثال ، ليس بذلك الشيء الذي يذكر بالنسبة للجمل ، لكنه نهر عظيم بالنسبة للفأر ، كل من يرغب في تناول أربعة أرغفة من الخبز فحدّه الأوسط رغيفين اثنين أو ثلاثة ، ولو تجاوز حدّه الأوسط فسيذهب ضحية الجشع والطمع كالبط ، والذي يرغب في عشرة أرغفة فحدّه الأوسط ستة و ... »

وزبدة القول: «ان الحد الأوسط لكل شيء انما يقاس بالنسبة لذلك الشيء، واعلم ان تعيين الحد الأوسط المناسب ممكن في الأمور المادية (التي لها أول وآخر). أما بالنسبة لله تعالىٰ ولقائه الذي ليس له أول ولا آخر، فلا حد أوسط له كذلك، ولا يمكن لأحد تعيين ذاته تعالىٰ اللامتناهية وتحديدها وأما فيما يتعلق بكثرة نومي، فانت تنظر بعينك، لكن قلبك غارق في النوم، علىٰ العكس مني، فقد رقدت عيني الا ان قلبي فطن ومستيقظ، واما بالنسبة لكثرة اكلي فانَّ الاكثار من تناول الأطعمة اللذيذة والجيّدة يعدّ قليلاً مهما كثر».

إذن! لا يفوتك أخي المؤمن انّ التحليق في الفضاء الملكوتي لله تعالىٰ لايحده حد، ولا يذهب هذا التحليق عن بالك أبداً.

* * *

٦٤ ـ « الجاهل اللجوج » :

أعطىٰ أحد النحويين مثالاً « ضربَ زيدٌ عمراً » لغرض بيان حركة آخر الكلمة . (وكما هو معلوم فان كلمة زيدٌ تعدّ فاعلاً مرفوعاً ، ولفظة « عمراً » تعدّ مفعولاً به منصوباً في الاصطلاح اللغوي) .

فقال شخص أحمق لم يدرك الهدف من هذا المقال : « وبأي جرم ضرب زيد عمراً ؟! » ، فأجابه النحوي : « هذه الجملة هي مجرد مثال ، وقالب للمعنىٰ ، فخذ لب هذا المثال دون قشوره ! والاستشهاد بزيد وعمرو ، انما هو لغرض بيان أواخر الكلمات وما تلحقها من العلامات ، فتأمل في هذا الشيء ولا تبال بالمعنىٰ » . لكن ذلك الجاهل الذي لم يوفق لاستيعاب المطلب ، اصرّ قائلاً : « ماهو ذنب عمرو حتىٰ يضربه زيد ؟ » ، فاضطر النحوي ، وقال له من باب المزاح : « لأن عمرو كان قد سرق واواً ، فضربه زيد لأنه تجاوز حدّه ، ولهذا استحق العقاب والتأديب بالنتيجة » . فاقتنع الأحمق

بهذا الجواب الذي لا أساس له من الصحة .

فانتبه يا أخي ! وحذار ان يغطي حجاب سقم الفكر علىٰ بصيرتك فترىٰ الحق باطلاً والباطل حقاً ، ويبدو لك الظالم مصلحاً والمصلح الحقيقي ظالماً مخرباً .

٦٥ ـ « شجرة العلم » : أشار أحد الحكماء بين جمع من أصدقائه ، إلىٰ ان هناك شجرة في الهند ، لو تناول أحد من ثمارها فانه سيبقىٰ علىٰ شبابه ولن يموت . فسمع السلطان هذا الكلام وصدقه ، حتىٰ عشق تلك الشجرة واصبح كالولهان غارقاً في حبّها . فأرسل رسولاً إلىٰ الهند للبحث عنها .

توجّه ذلك الرسول إلىٰ الهند وشرع بالبحث عن تلك الشجرة في الجبال والوديان والصحاري لسنين متوالية ، وطلب من الناس ان يدلوه علىٰ محل تواجدها ، لكنه لم يوفّق في مهمته هذه ولم يعثر علىٰ أي أثر لها ، بل كان أكثر الناس يسخرون منه ويستهزؤن به ويقولون له : « انسان ماهر مثلك

لايبحث عمّا يخالف الواقع » .

واستمر رسول السلطان في البحث والتنقيب لكنه لم يعثر علىٰ مثل هذه الشجرة ، فصمّم علىٰ العودة إلىٰ بلده يائساً مكسور الخاطر ، وفي اثناء عودته وصل إلىٰ منطقة يوجد فيها رجل عارف عالم ، فتوجه إليه وعرض عليه مشكلته ، وطلب منه ان يطلعه علىٰ تلك الشجرة . فضحك ذلك العارف وقال له : « المراد بهذه الشجرة شجرة العلم العالية جداً ذات الظلال الوارفة ، وهي نفسها نهر الحياة ، الذي يستمد ماءه من المحيط الالهي اللامتناهي . لقد تصورت أيها المسكين بأنها شجرة عادية ، فتركت المعنىٰ وذهبت وراء الخيال والصورة فلِلْعِلم اسماء شتىٰ ، تارة يطلق عليه اسم الشجرة ، واُخرىٰ الشمس ، البحر ، السحاب و ... وله مئات الآلاف من الآثار والنتائج احدها العمر الخالد » .

إذن يجب ألّا نغفل عن شجرة العلم ، ولنتحصن بمعنوية العلم لتبقىٰ قلوبنا شابة فعّالة علىٰ الدوام،كما ان ذكر العلماء خالدٌ أبداً .

* * *

٦٦ ـ « الخبير ولغز العنب » : اجتمع أربعة أشخاص من مناطق مختلفة (عربي و رومي و تركي و فارسي) في محل واحد . فأعطاهم رجل عدة دراهم لينفقوها فيما بينهم . فوقع النزاع بينهم حول كيفية صرف تلك الدراهم . فقال الفارسي : « اني احب الـ (أنگور) أي العنب » . وقال العربي : « معاذ الله ، اني أُريد العنب » ، وقال التركي : « اني أُريد الـ (نو زوم) أي العنب » ، وقال الرومي : « اني أريد الـ (استافيل) أي العنب ايضاً » .

فقد أراد أربعتهم العنب ولكن بسبب عدم ادراكهم لمعاني هذه الأسماء التي تلفظوها ، فقد تصوروا بأن كل واحد منهم يريد شيئاً غير الذي يريده صاحبه .

وفي تلك الاثناء مرَّ بالقرب منهم عالم مطّلع علىٰ هذه اللغات الأربع ، فتوجّه نحوهم وعلم السر في نزاعهم هذا ، فقال لهم : « اعطوني تلك الدراهم ، لأحقق بها امانيكم انتم الأربعة » . فاشترىٰ بها عنباً واعطاهم اياه ، فبلغ كل واحد

منهم مراده ، واستبدل نزاعهم صلحاً واتّحاداً ! « لذا فقد أصبح تذوقهم للعنب حلواً ، وابتهجت نفوسهم بحلاوة الصلح والاتحاد » .

وهذا هو أُسلوب الانبياء (ع) ، حيث انهم يثبتون اركان الوحدة بين جميع البشر ، لاطلاعهم علىٰ مختلف اللغات والغايات .

مثل النّبي سليمان (ع) الذي خلق بين الحيوانات تلك الألفة والاتّحاد لمعرفته بلغاتهم حتىٰ انّ الغزال كان يسرح ويمرح الىٰ جانب النمر .

وهو ايضاً سبيل المؤمن العارف بالله تعالىٰ ، بالضبط كما صنع رسول الله (ص) ، حيث حقّقَ الوحدة والتآزر بين قبيلتي الأوس والخزرج .

* * *

٦٧ ـ « عاقبة عدم الاصغاء للعظماء » :

التقىٰ أحد الحكماء في الهند بمجموعة من المسافرين، فعلم ان زادهم قد نفد، وأصبح الجوع يهدّدهم، فقال لهم الحكيم رأفة بهم: « اصدقائي الاعزاء! أعلم ان الجوع قد أخذ منكم مأخذه، لكن لدي نصيحة أرجو قبولها! ستمرون خلال هذا الطريق بصحراء تكثر فيها صغار الفيلة الممتلئة والسمينة، وحذار ثم حذار من ان يدفع بكم الجوع إلىٰ قتل صغار الفيلة تلك وتناول لحومها، والا فستهجم عليكم امهاتها وتمزّقكم ارباً. اكرر ثانية، لاينبغي ان تلوّثوا أيديكم بدماء أي واحد من صغار الفيلة تلك. احذروا من ان يتغلب عليكم الجشع والطمع، « مثلما كان الانبياء (ع) ينصحون الناس بهذه النصحية قائلين لهم: كونوا يقظين، لاتسمحوا للغرائز الحيوانية ان تسيطر عليكم » ».

نعم لقد واصل المسافرون مسيرهم وكان الجوع قد أنهكهم جميعاً، وفجأة شاهدوا أحد صغار الفيلة،

فاصطادوه وأكلوه ، لكن أحدهم إلتزم بنصيحة الحكيم فلم يلوّث يديه بدم ذلك الفيل الصغير ، ولم يتناول شيئاً من لحمه أبداً .

ونتيجةً لإفراطهم في الأكل فقد غشيهُمُ النّعاس فاستلقوا علىٰ الأرض باستثناء الشخص الذي أبىٰ أن يأكل فقد بقي يقظاً يحرسهم وكانت رائحة لحم ذلك الفيل الصغير تنبعث من أفواههم خلال الزفير .

وفجأة لاح من بعيد فيل عظيم رهيب ، متوجهاً صوبهم ، وكان هذا الفيل ، اُم الفيل الصغير ، وعندما وصل اليهم إتجه أولاً نحو ذلك الحارس ، فأخذ يشم رائحة فيه ، فلم يشم رائحة لحم صغيره ، كرّر ذلك مرّات عديدة ، فلم يعثر على شيء، فتركه ولم يُلحق به أي أذىً ، ثم توجه هذا الفيل العظيم إلىٰ اولئك النائمين، وأخذ يشم رائحة أفواههم فاستنتج أنّ الرّائحة التي تفوح من أفواههم هي رائحة لحم صغيره وعندما تيقّن بأنهم هم الذين اهرقوا دم وليده ، أخذ يرفعهم الواحد تلو الآخر بخرطومه ، ويضربهم علىٰ الأرض، حتىٰ مزقهم شرّ ممزّق .

ولا يخفىٰ انَّ النبي (ص) كان يشم رائحة الفضيلة من

اليمن إلىٰ الشام وكان يحس أيضاً بعفونة من ماتت قلوبهم ولم تبلغ الحق .

٦٨ ـ « الاعتراض علىٰ أذان بلال الحبشي » :

كان لسان بلال الحبشي مؤذن النبي (ص) ، قاصراً عن تلفّظ بعض كلمات الاذان بصورة صحيحة . حيث كان يتلفّظ السّينَ شيناً ، والحاءَ هاءً مثلاً . وبالطبع لم يكن فعله هذا عمداً ، بل لجراحة كانت في لسانه . فاعترض البعض علىٰ أذان بلال ، وقالوا للنبي (ص) : « يا رسول الله ليس من الصواب ان يوجد مثل هذا النقص في المؤذن في فترة ولادة الحكومة الاسلامية الفتية .. اعزله ونصّب مكانه مؤذناً فصيح اللسان » .

فغضب النبي (ص) منهم علىٰ هذا الاعتراض ، وقال : « ان السيرة الحسنة والنية الصادقة ، أفضل عند الله تعالىٰ من القيل والقال » .

٦٩ ـ « الدعاء بالفم الطاهر » :

أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ (ع) : « ان ادعوني بفم طاهر لم تكن قد أذنبت به » . فقال موسىٰ (ع) : « لا أملك فماً كهذا ! » . فقال الله تعالىٰ : « أنت لم تذنب عن طريق أفواه الآخرين ، فادعوني بأفواههم » ، أي ليكن تعاملك مع الناس طيباً بدرجة تجعلهم يدعون لك ليل نهار ، أو قم بتطهير فمك كي تطهر روحك وقلبك ايضاً ، ثم ابدأ بالدعاء .

٧٠ ـ « حديث الخضر (ع) مع الداعي اليائس » :

يروىٰ انّ شخصاً كان يدعو اللهَ في ظلمة الليل بنيّة صادقة ، ويضفي صفاءاً وحلاوةً علىٰ لسانه بتكرار اسم لفظ الجلالة « الله ، الله ، ... » فلم يرق هذا الشيء للشيطان ، فجاء إلىٰ ذلك الداعي وقال له : « أيها اللجوج ، يا ترىٰ ان الله لا يستجيب لدعائك ،

فلماذا تلح كثيراً ؟! كفىٰ ، اترك هذا الدعاء واسعَ وراء عملك ».

فتألم ويئس بسبب وسوسة الشيطان هذه ، وترك الدعاء . فغلبه النعاس حتىٰ نام ، فرأىٰ في المنام الخضر (ع) في حديقة غنّاء ، فقال له : « ماذا حدث ؟ لماذا لاتكرر « الله ، الله » ؟ هل ندمت علىٰ دعائك وتضرعك وابتهالك ؟! » . فقال للخضر (ع) : « مهما قلت : (يا الله ، يا الله) فلا أسمع جواباً . وأخاف أن أكون قد طردتُ من فناء الرحمة الالهيّة ، ولهذا تملكني اليأس » ، فقال له الخضر (ع) : « أيها الداعي الضعيف ! لقد أوحىٰ الله تعالىٰ اليّ ان أقول لك ، هل تتوقع ان تسمع جواب الله تعالىٰ من وراء الجدران ؟ ان نفس تكرارك لكلمة « يا الله ، يا الله » يعني ان هناك قوة خفية من قبل الله تعالىٰ تجذبك نحوها ، وان هذا الموضوع والانجذاب نحو الحبيب هو جواب الله تعالىٰ لك ... أيها الداعي العزيز ! لقد وهب الله تعالىٰ المال والسلطان لفرعون وصانه من كل مكروه ، حتىٰ لايسمع اللهُ صوته النحس فلا تصغ لقول هذا وذاك ، واعلم ان نفس تضرعك ودعائك هذا ، دليل علىٰ مسيرك في طريق الله تعالىٰ وتقبل دعائك » .

٧١ ـ « جزاء الناكرين للمعروف » :

كان قوم سبأ يعيشون في بلاد اليمن، وقد أنعم الله تعالىٰ عليهم بمختلف النعم ، حتىٰ كأنهم في الجنة ، فهم يتمتعون بأنواع الفاكهة والمياه العذبة و ... لكنهم بدلاً من أن يشكروا الله تعالىٰ علىٰ نعمه تلك ، كفروا بها وقاموا باخراج الأولياء الصالحين من بينهم ، وغرقوا بالملذات والفسق والفجور. لقد كانوا أدنىٰ من الكلب في الاعتراف بالجميل ، لأن الكلب يقوم بحراسة صاحبه ليل نهار ، بل يعترف بحقه بمجرد أن يلقي صاحبه أمامه لقمة من الخبز .

لكن قوم سبأ المغرورين تجاوزوا الحد في جحود النعمة ، وقالوا من باب الاستهزاء والسخرية : « ان الأمراض المعدية خير لنا من نسيم الصبا » ولم يصغوا إلىٰ نصائح الناصحين، بل أراقوا دماءهم .

وجاء اليوم الموعود ، وحل وقت نزول العذاب الالهي فغرقوا جميعهم في الماء . فاذا بالماء الذي هو أساس

الحياة، أصبح السبب في هلاكهم، (وكما ورد ذلك في الآيات «١٨ و ١٩» من سورة سبأ).

٧٢ ـ « معنىٰ الشكر »: كان في صومعة عيسىٰ (ع) قطعة من القماش يجتمع حولها العباد، ويقصدها مختلف المرضىٰ (الأعمىٰ، المشلول، الأخرس، الاعرج، و ...) فكان عيسىٰ (ع) يقوم كل صباح بالمسح علىٰ رؤوسهم ويطلب من الله تعالىٰ ان يشفيهم، فتشملهم رحمة الله تعالىٰ، فيعودون كل إلىٰ منزله كاملي الصحة يحيط بهم الفرح والسرور.

ولو كان هؤلاء يعترفون بالجميل ويقدرونه حق قدره، لكان واجباً عليهم ملازمة عيسىٰ (ع) بكل صدق، لا ان يكونوا سبباً في ازعاجه.

فيا أخي المؤمن! ان الأنبياء والائمة (ع) مثل عيسىٰ (ع) بالنسبة لنا من الناحية المعنوية. فقد قاموا بتوفير كافة الأدوية التي تعالج أمراضنا الروحية والنفسية وأعادوا الينا الصحة.

فإيانا والبطر فتعتل صحتنا ثانية .

ولو شعرت بأدنىٰ زلل أو وسوسة والعياذ بالله ، فاسع بكل ماأوتيت من قوة ، لاعادة الارتباط بهم والتقرب والتحبب اليهم .

٧٣ ـ « الادّعاء الأجوف » : كان هناك رجل مغلوب علىٰ أمره ، يقوم كل صباح فيمسح شاربه بالقليل من السمن (الشحم) ثم يتوجه إلىٰ مجلس الحي ويقول : « لقد تناولت اليوم طعاماً دسماً » ويمسح بيده علىٰ شاربه وشفتيه ، ليشاهد الناس ذلك ويصدقونه . هذا وجه واحد من العملة .

أمّا الوجه الآخر للعملة ، فهو صوت أحشائه الذي لايكاد يهدأ ولو للحظة لشدة الجوع ، وكأنها تقول له : « أيها المرائي ، لو تركت هذا الرياء لكان من المحتمل ان يعطف علىٰ حالك أحد الكرماء ، أو المعارف ، فيعطيك بعض الطعام لتسدّ به رمق جوعي . آه لو كنتَ صادقاً لما واجهت

هذه المحنة ! أهلك الله شاربك . فقد أوصىٰ الله تعالىٰ بالتحلّي بفضيلة الصدق وترك طرق الضلال والخداع ، لأن وراء كل صعود نزول .

سيأتي ذلك اليوم الذي تسرق فيه القطة قطعة الشحم ، وهذا بحد ذاته يعدّ بمثابة الاختبار والتجربة لبيان الحقيقة مثل (بلعم بن باعورا وابليس) اللّذين فشلا في الاختبار الالهي » . وأخيراً تمت استجابة الدعاء الذي دعته احشاؤه عليه ، فافتضح امر ذلك المتظاهر . فقد جاءت القطة إلىٰ منزله وسرقت تلك القطعة من الشحم . فهرع ابن ذلك الرجل من شدة الخوف إلىٰ المجلس الذي يحضره والده وقال له : « يا أبت ! لقد سرقت القطة قطعة الشحم التي كنت تدهن بها شاربك كل صباح قبل خروجك من البيت » . فغرق الحضور الذين في المجلس بالضحك ، وخجل ذلك الرجل الوقح .

من جانب آخر ، رقّ قلب بعض أهل المجلس عليه بعد اكتشاف الحقيقة ، فواجهوه بالحقيقة وتبرعوا له بطعام لائق . وعندما ذاق طعم الصدق والصفاء ، التزمه وترك الخداع والتظاهر الذي لا أساس له .

٧٤ـ« ثعبان النفس » : يـــروىٰ ان أحـــد الأشخاص قـصد المـناطق الجـبلية الوعـرة ليـصطاد بسحره وفنه أحد الثـعابين ومن ثم يأخذه إلىٰ (بغداد) كي يتفرج عليه الناس ويعطوه بعض المـال . حـيث كـانت مهنته اصطياد الأفاعي والثعابين.

وحل فصل الشتاء ، وهو مايزال بـين الصـخور وقـلل الجبال إلىٰ أن عثر وبعد مشقة كبيرة علىٰ ثعبان عـظيم فـي أحد الجبال ، وكان عاجزاً عن الحركة لضعفه ولشـدة البـرد القارص ، ولكنه بـالرغم مـن ذلك كـان يـبدو ضـخم الجـثة كالعمود . فجاء به ذلك الصياد إلىٰ بغداد بعد عناء شـديد ، وصاح في وسط المدينة فتوجه الناس من كل حدب وصوب إلىٰ صفة نهر دجـلة (بـبغداد) واجـتمعوا هـناك حـتىٰ بـلغ عددهم مائة الف نفر ، وهم علىٰ أحر من الجمر لرؤية ذلك الثعبان الذي كان مطوياً في قطع مـن القـماش وقـد جـمده البرد.

استمر الناس جماعات جماعات وازداد عدد المجتمعين هناك ، وارتفعت أشعة الشمس شيئاً فشيئاً ، فيما بدأ الجو بالدفء ، وعندما سقطت أشعة الشمس علىٰ الثعبان أعادت إليه الحركة والنشاط . وفجأة شاهدوا ان الثعبان بدأ بالالتواء والحركة فامتلؤا رعباً ولاذوا بالفرار ، بشكل أودىٰ بحياة العديد منهم تحت أقدام الفارّين.

أما صياد الثعابين فقد شُلَّت أعضاؤه ولم يتحرك لشدة خوفه وبدا كالشاة الهزيلة امام الذئب . فهجم عليه الثعبان والتقمه ثم ابتلعه ، والتف بعد ذلك حول عمود غليظ حتىٰ تكسرت عظام الصياد في بطن الثعبان . وترك الناس المدينة لشدة خوفهم واتجهوا نحو الصحاري والأودية هرباً من الثعبان .

فلا تغفل يا أخي ، فان نفسك هي ذلك الثعبان الذي لو حصل علىٰ الدفء والقدرة لقلب حياتك رأساً علىٰ عقب .

فثعبان النفس هذا كالدودة والبعوضة امام المشاكل والصعاب . لكن هذه الدودة والبعوضة نفسها ، تتحول إلىٰ أفعىٰ وصقر بسبب التحليق في فضاء المال والسلطان .

فلا تظن أو تتوهم ان بامكانك السيطرة علىٰ جشع

النفس بالتي هي أحسن، وبدون ان تقاومها بكل قوة . وهل يتمكن الانسان الضعيف من السيطرة على النفس الحيوانية ؟

انّ الرجل الشجاع مثل موسى (ع) قادرٌ على أن يدمّر كل أفاعي فرعون النفسية بالعصا التي في يده (عصا التوحيد والايمان) . إذن كيف صمد موسى (ع) امام فرعون ؟ فأنت بامكانك أن تسلك سبيلَ موسى (ع) ، وتستلهم معنوياته ، عندما تقاوم ثعابين النفس .

٧٥ ـ « الفيل في الحظيرة المظلمة » :

قام عدة أفراد من بلاد الهند بنقل فيل إلى بلد آخر ليراه الناس . وبما انهم وصلوا ذلك البلد ليلاً ، فقد قاموا بربط الفيل في حظيرة يغطيها ظلام دامس . وقد دفع حب الاستطلاع بعض أهالي البلد لرؤية الفيل ، فهم لم يعرفوا هيئتَهُ ولم يشاهدوا فيلاً أبداً ، فتوجهوا نحو الحظيرة ودخلوها واحداً بعد الآخر ، وكل منهم يلمس الفيل ثم يخرج .

فقال الأول الذي لمس خرطوم الفيل : « ان الفيل يشبه

الميزاب ! » وقال الثاني الذي لمس أُذن الفيل : « الفيل يشبه المروحة الهوائية » وقال الثالث الذي لمس ساق الفيل : « ان الفيل يشبه العمود ! » وقال الرابع الذي لمس ظهر الفيل : « الفيل يشبه السرير ! » .

أجل ، فقد اختلفت آراء هؤلاء ، لأن حكمهم تم في الظلام .

ولو انهم جلبوا معهم مصباحاً ودخلوا الحظيرة لشاهدوا الفيل علىٰ حقيقته ، ولما اختلفوا في وصفه .

لتفتح قلبك يا أخي كي ترىٰ اعماق البحر ! فالبصر الخارجي لايشاهد سوىٰ سطح الماء ، فكن بعيد النظر ، واسعاً كالبحر ، لا ضيق الأفق كأصحاب الفيل هؤلاء .

* * *

٧٦ ـ « حديث نوح (ع) مع إبنه » :

عندما استحق قوم نوح (ع) العذاب الالهي بسبب ذنوبهم ومعاصيهم ، حل بهم العذاب على شكل طوفان شامل فغرقوا بأجمعهم . فيما ركب نوح (ع) ومن معه في السفينة . وحينما كان (ع) في السفينة شاهد ابنه « كنعان » عرضة للغرق لكثرة ذنوبه ، فناداه : « بني ! تعال واصعد إلى السفينة لتنجو ! » فقال كنعان : « لن أصعد معك ، فانا سبّاح ماهر ويمكنني انقاذ نفسي » ، قال نوح (ع) : « لا تخالفني فهذا الطوفان بلاء عام ، وسيشملك انت أيضاً ، لاتستهزء بالعذاب الالهي » . قال كنعان : « سآوي إلى جبل يعصمني من الماء » ، فصاح نوح (ع) : « لاتجادلني ، إذ لا عاصم اليوم من أمر الله ، حتى هذه الجبال الشاهقة ، ستبدو كقشّةٍ من تبن ، ولا ينجو إلا المؤمن الذي أحبّهُ الله تعالى » .

قال كنعان : « ومتى صغيت لكلامك ، حتى أصغي له الآن ، لا لن أصغي اليك ابداً » ، فقال نوح (ع) بشفقة : « ليس

الوقت وقت دلال وافتخار ، فالله تعالىٰ لاتربطه بأحد رابطة قرابة أو شراكة ، فتعال وانقذ نفسك » . أجاب كنعان : « لاتلح ياابتِ كثيراً ! واعلم باني لن أقبل نصيحتك ابداً » ، قال نوح (ع) : « عزيزي ! ماذا يحدث لو استمعت إلىٰ كلام أبيك ولو مرة واحدة ؟ » .

وهكذا استمر الحوار بينهما ، وكلما كان نوح (ع) يدعو ابنه كان يواجه جواباً سلبياً . وبينما هما يتحاوران ، فاذا بموج عظيم غطىٰ كنعان وأركسهُ ، فكان من الهالكين.

فقال نوح (ع) لله تعالىٰ : « ياالهي ، أيها الحليم ! لقد وعدتني بنجاة أفراد عائلتي . فلماذا غرق ابني إذن ؟ »

فقال الله تعالىٰ لنوح (ع) : « انه ليس من أهلك » فعندما يتسوس أحد اسنانك وينخره الدود ، ويستعصي علاجه ، لا يوجد حل سوىٰ قلعه ورميه جانباً ، لئلا تفسد الأعضاء والأسنان الأُخرىٰ ، وتفقد توازنها ، بالرغم من انّ ذلك السن يُعد من أعضاء بدنك ايضاً .

فانتبه نوح (ع) إلىٰ نفسه وتعلق بالله تعالىٰ وحده وتخلّىٰ عن كل ماسواه . فقال الله تعالىٰ لنوح (ع) : « لو شئت لأحييت جميع الهالكين ، ولأعدت اليك ابنك كنعان ، لئلا

تحزن » ، فقال نوح (ع) : « لا ، فكل كياني عاشق ويطلب رضاك . وحتىٰ لو اغرقتني لسررت لذلك أيضاً » .

٧٧ ـ « عدم اكتراث المتديّن بالأمور التافهة » :

ذهب رجل الىٰ الحلّاق وقد خالَطَ الشيبُ شعرَ لحيته وقال له : « بما اني عثرت علىٰ زوجة جديدة ، فأرجوك أن تزيلَ الشعر الأبيض الذي في لحيتي » . فقام الحلاق بحلق كل شعر لحيته ، دون ان يلتفت إلىٰ كلامه ، ووضعه امامه وقال له : « بالنظر لكثرة مشاغلي ، قم انت بفصل الشعر الأبيض عن الشعر الأسود ! » .

* * *

لطم شخص زيداً لطمة علىٰ قفاه ، فهجم عليه زيد لينتقم لنفسه ، فقال الرجل لزيد : « هلا أخبرتني عن الصوت الذي علا من وراء رقبتك ، هل كان صوت يدي أم صوت قفاك ؟! » ، فقال زيد وهو واضع يده علىٰ مكان الضربة من شدة الألم : « اني متأثر من ألم الضربة ، ولا مجال عندي في

التفكير بغير ذلك».

لذا فان الغفلة واللامبالاة، تأخذان بفكرك يا أخي إلىٰ هنا وهناك ولو كنت تتألم للدين لاختص فكرك بالحق تعالىٰ دون التفكير بالأمور التافهة.

٧٨ ـ «من جد وجد»:

يروىٰ انه كان هناك رجل فقير في زمن داود (ع)، يدعو الله تعالىٰ علىٰ الدوام أن يهبه في يوم ما ثروة، بدون مشقة، وكان يقول:

«يا الهي! بما انك خلقتني ضعيفاً كسولاً فارزقني من عندك، فانا مثل الدابة التي تشكو جرحاً في ظهرها، بحيث لا ينبغي وضع حمل عليها، وكالطفل الذي يحبو علىٰ الأرض وتطعمه والدته...».

وبقي سنين عديدة يدعو ولا يسعىٰ وراء أي عمل، وكان الناس يسخرون منه، لاستحالة امكانية الحصول علىٰ الثروة بدون مشقة وكانوا يقولون في أنفسهم: «يبدو ان هذا الرجل قد ذهب عقله وإلا لما كان يفكر هكذا...».

فداوُد (ع) بالرغم من كونه نبياً وقائداً وحاكماً قوياً وسلطاناً علىٰ كل الموجودات ، وبالاضافة إلىٰ معاجزه ، بالرغم من كل هذا كان يصنع الدروع بتعب ومشقة ليضمن قوته بيده . وكان الناس يقولون له احياناً : « هل يمكن ان يصعد أحد ما الىٰ السطح بدون سلّم ؟ » وكانوا يطعنون به احياناً قائلين: « افرش ثيابك ، فستمطر عليك السماء ذهباً » .

لكنه ومع كل هذا يدعو بهمة ونشاط علىٰ أمل ان يأتي يوم الراحة وبلا مشقة ، وبما انه قيل « من جد وجد » فقد استجيب دعاؤه لاجتهاده في الدعاء . ففي صباح أحد الأيام حينما كان منهمكاً بالدعاء والرجاء ، جاء ثور غاضب مسرعاً ، فضرب الباب برأسه حتىٰ اقتلعه من مكانه ودخل البيت ، فقام الرجل بسرعة وربط يدي الثور ورجليه وذبحه ، واسرع إلىٰ القصاب ليأتي به إلىٰ بيته كي يسلخ جلده .

مضت فترة علىٰ هذه الحادثة ، حتىٰ علم صاحب الثور الذي كان يبحث عنه ، ان ثوره كان قد دخل منزل ذلك الفقير المعروف وانه قد ذبحه وباع لحمه وتصرف بثمنه . فتوجه المالك إلىٰ ذلك الفقير وقال له : « أيها الأبله الظالم ، لقد قتلت ثوري ويجب ان تغرّم ثمنه وتعاقب » ، فقال الرجل الفقير :

لقد دعوت وتضرعت سنين عديدة إلىٰ الله تعالىٰ فاستجاب لدعائي وأرسل اليّ ذلك الثور ، فقد كان ذلك الثـور رزقـي ومن نصيبي . فغضب صاحب الثور من هذا الكلام الفارغ ، وأخذ بتلابيبهِ وضربه على وجهه ضربات عديدة ، وأخيراً جاء به إلىٰ داود (ع) ليقضي بينهما .

سمع داود (ع) قاتل الثور يقول : « لقد دعوت الله تعالىٰ طويلاً حتىٰ استجاب لي ، وبعد سبع سنين أرسل اليّ ذلك الثور » .

قال صاحب الثور : « أيها الرجـل المـخادع ، الدعـاء لايجيز أكل الحرام ، ولو كان الدعاء سـبباً فـي تـملك مـال الغير ، للزم أن يمتلك المتسولون والمكفوفون ثروات أكثر من الآخرين . أيها المحتال هات دليلاً شرعيّاً علىٰ أن ذلك الثور ثورك !! » .

ولكن الرجل الفقير بقي يكرر الحديث عن الدعاء ، بل شرع في تلك الأثناء بالدعاء أيضاً وقال : « الهي ! أنت الذي زرعت هذا الدعاء في قلبي ، وانت الذي استجبت دعائي وها أنـذا فـي معضلة الآن ، فـنجني يـا كـاتم الأسـرار ، اقـض حاجتي » .

حضر داود (ع) بين النـاس المـجتمعين هـناك ، فـيما كانت الصيحات تتعالىٰ من كل مكان ، فصاحب الثور يطالب بثوره ، وقاتل الثور (الرجل الفقير) يدعو ويتضرع ولا يترك الدعاء أبداً .

قال داوُد (ع) للفقير : « لاتماطل فـي الكـلام ، يـجب عليك الاتيان بدليل شرعي وقاطع » ، فقال الفقير : « ياداود! لقد دعوت سبع سنين ليلاً ونهاراً ، حتىٰ أصبح هذا الثور من نصيبي ، والكل يعلم ذلك » . فقال له داود (ع) : « هذا ليس بالدليل الشرعي ، هل تعتقد انه من اللائق ان اعتمد علىٰ هذا الهراء للقضاء . لماذا تدّعي الباطل ؟ هل اشتريت الثور ؟ أم ورثته ؟ أم انك حصلت عليه مـن ربـح مـحصول الزراعـة ؟ اذهب واقترض بعض المال وادفع ثمن الثور لصاحبه » .

فغضب قاتل الثور كثيراً وعاد ثانية إلىٰ الدعاء والتضرع إلىٰ الله تعالىٰ وهو يـبكي ويـطلب مـن الله تـعالىٰ ان يـقضي حاجته . فأثر تـضرعه وبكـاؤه فـي قـلب داود (ع) ، فـاتجه داود (ع) نحوه وقال : « اهدأ وامهلني اياماً معدودة لأدعـو ربي تعالىٰ علىٰ انفراد ليحل مشكلتك ... » .

ذهب داود (ع) إلىٰ البيت ولم يستقبل احداً ، بل تفرغ

للدعاء والتضرع طالباً منه تعالىٰ ان يحلّ هذه المشكلة . فاطلع الله سبحانه داود (ع) علىٰ كل اسرار القضية . وعاد داود (ع) إلىٰ المحكمة ، فوجد الناس مجتمعين ونفس الصيحات تتعالىٰ من قبل صاحب الثور وقاتله . فصاحب الثور يصيح : « ماهذا القضاء ؟ فمثل هذه المسامحة لا تليق بالنبي » . فقال داود (ع) لصاحب الثور : « اسكت ! فالأسرار مخفية وراء الحجب وقد غطاها الله تعالىٰ ستّار العُيوب ، ومن الأفضل ان تهدأ انت أيضاً » . فصاح صاحب الثور : « أيها الناس ! ماهذا القضاء ؟! لقد ضاع حقي بتصرف النبي بهذه الطريقة » فقال له داود : « سامح قاتل الثور ، وإلا اذا زالت الحجب ، فان امرك يصبح حرجاً » . ازداد صياح صاحب الثور، وقال : « ان داود يدافع عن الظالم لا عن صاحب الحق » . فأخذه داود علىٰ انفراد وقال له : « تسرعك ، وغفلتك ، وغرورك ، سيكون سبباً في اظهار جرائم مخفية شيئاً فشيئاً » .

انزعج صاحب الثور . وتجاسر علىٰ داود (ع) وأثار ضجة عظيمة . فدافع عنه الناس الذين كانوا يحكمون حسب الظاهر وطلبوا من داود (ع) بأن ينظر في مظلمة صاحب الثور ، لأن الجميع يعلمون ان ذلك الرجل الفقير قد قتل

ثوره.

فدعا داود (ع) كل الأهالي ليقضي بصورة قاطعة بينهما. وفعلاً فقد توجّه الناس رجالاً ونساءاً إلىٰ الصحراء وتجمعوا تحت شجرة معمّرة عظيمة، حسب أمر داود (ع).

قال داود (ع): «هذا المجرم (صاحب الثور) كان عبداً لوالد هذا الرجل الفقير، فقتله في أحد الأيام واستولىٰ علىٰ جميع ثروته، وكان هذا الرجل الفقير طفلاً صغيراً آنذاك ولا يعلم أي شيء. فغطىٰ الله تعالىٰ بحلمه وصبره هذه الجناية وأخفاها. كما ان هذا الرجل لم يقدم أيّة خدمة لأولياء القتيل. وهاهو الآن يثير كل هذه الضجة لأجل ثور (في حين انه هو وما يملكه ملكٌ لهذا الرجل الفقير ـ قاتل الثور ـ).

أجل فقد انكشف سر هذا المجرم. فهو لم يستغفر ولو مرة واحدة بل كان غوغائياً علىٰ الدوام، فافتضح امره بهذا الشكل.

وأمر داود (ع) بأن توثق يدا المدعي للثور، وأضاف انه سيبين حكمه الآن بحقه، وقال: «أيها المجرم! انت قتلت والد هذا الفقير الذي كان لك سيداً، وتظاهرت انك أنت السيد، فاستوليت علىٰ كل ثروته، فكل ثروتك الآن وحتىٰ

زوجتك وأطفالك ملك لوارث القتيل الذي هو قاتل الثور . ففي نفس هذا المكان طلب منك مولاك (أي المقتول) الأمان فلم تستجب له ، وبعد أن قتلته دفنت رأسه المقطوع تحت هذه الشجرة ، احفر الآن واستخرج الرأس المقطوع مع السكين » .

وحفر الناس الأرض واستخرجوا الرأس والسكين . وبهذا انكشف السر وزال ظن الناس بداود (ع) ، وبعدها علا صوت المجتمعين واعتذروا من داود (ع) .

استدعىٰ داود (ع) الفقير وقال له : « تقدم وانظر إلىٰ قصاصك ! » ثم قتل داود (ع) ذلك القاتل بنفس السكين .

فلا نغفل ياأخي ! عن عقاب الاعمال . ولنعلم انه لو طغت النفس لجلبت لصاحبها نتائج وخيمة . فلنتغلب علىٰ النفس ولنعلم انه من جد وجد .

* * *

٧٩ ـ « المريض النفسي » :

يـــروى ان مــعلماً ، افـتتح مـدرسة خـاصة فـي قديم الزمان . فحضر عنده كـثير مـن الأطـفال . وكـان حريصاً جـداً عـلىٰ الدرس لدرجة انه لم يسمح بالتعطيل أبداً ، بـل لم يـمنحهم حـتىٰ ساعة واحدة للاستراحـة ، فـنفذ صـبر الأطـفال وقـالوا : ان الأستاذ لا يمرض أبداً ، ولو لعدة ايام لنستريح مـنه بـعض الشيء . فتشاوروا فـيما بـينهم للـبحث عـن مـخرج . وكـان أحدهم أذكىٰ الجميع ، فقال لهم : تـعالوا لنـتفق جـميعاً ، وندخل علىٰ الاستاذ عند مجيئه ، واحداً بعد الآخر ونقول له : « رافقتك السلامة ، ماذا حدث كي يشحب لونك هكذا ، هل أصبت بالحمىٰ لاسمح الله تعالىٰ ؟ » . ولو قلنا له هكذا كلنا ، فان كلام كل واحد منّا سيؤثر عـليه بـعض الشـيء ، وسـيزداد قـلقاً بـذلك ، وعـندما سـيشعر بـالمرض تـتعطل المدرسة ، ونرتاح بعض الوقت . فوافق جميع الطلبة البـالغ عددهم ثلاثين طالباً علىٰ اقتراح هذا الطفل الذكي ، وتعهدوا

بعدم افشاء هذا السر لأي احدٍ أبداً .

وفي صباح اليوم التالي وقف الطلاب بشكل منتظم منتظرين الأستاذ ، وعندما جاء المعلم ، تقدم نحوه أحد الأطفال وقال له بعد اداء التحية والسلام : « رافقتك السلامة يا استاذ ! لماذا لون وجهك شاحب ؟ هل أنت مصاب بالحمىٰ ؟! ... » . فقال الاستاذ : « اذهب واجلس ، صحتي جيدة » لكنه تأثر في نفسه بعض الشيء .

ثم تقدم الطفل الثاني واستفسر عن صحة استاذه مثل الأول ، فازداد قلق الأستاذ بعض الشيء . ثم الطفل الثالث فالرابع فالخامس فـ.... كل يأتي ويتكلم مع الأستاذ كما تكلم الأول ويذكّره بشحوب الوجه والحمىٰ والمرض . فاضطرب الأستاذ وأخذ يفكر في صحته . لقد خلّفت كلمات الأطفال في الأستاذ حالةً نفسيةً عجيبةً واقلقته بشكل جعله يأمر بتعطيل المدرسة ، فقصد منزله واعصابه متوترة . وعندما فتَحَ الباب قال لزوجته معترضاً : « ماهذه اللامبالاة انتِ لم تستفسري عن أحوالي وصحتي أبداً ! » . فقالت له زوجته : « هذه حالة نفسية ، وإلا فانّ صحتك جيدة جداً » . قال الأستاذ : «مازلت تناقشينني ، ألا تشاهدين وجهي الشاحب ! ماهو

ذنبي عندما تكونين عمياء ، خرساء » . فقالت المرأة : « دعني آتيك بالمرآة لتنظر إلىٰ صورتك وتتيقن من صدقي » ، فقال الأستاذ : « كفىٰ ، فانّ رأسي يؤلمني ، افرشي لي الفراش كي استريح » . وقفت المرأة قليلاً فصاح : « اسرعي افرشي الفراش ياعدوتي » . فـفرشت لهُ الفراش . فاستلقىٰ مغطياً جسمه وهو يردّد باستمرار : (آه ، آه) .

بعد هذا ، أُجبر الأطفال علىٰ المجيء إلىٰ بيت الأستاذ المريض لقراءة الدرس هناك . وبعد مضي عدة أيام شعروا بعدم الارتياح ، ثم قالوا في أنفسهم : « لقد انقلب حالنا من السيء إلىٰ الأسوء لقد أصبحنا هنا في سجن! » .

فقال الطفل الذكي مرة أُخرىٰ : « ارفعوا اصواتكم عند قراءة الدرس ! » . وما ان رفع الأطفال أصواتهم حتىٰ قال ذلك الطفل الذكي : « اهدؤا ! فاصواتنا تزيد من مرض الأستاذ وصداعه » . فزاد هذا الكلام من تصورات الأستاذ النفسية ثمّ قال للأطفال : « لقد صدق هذا الطفل ، قوموا وغادروا هذا المكان لئلا يزداد صداعي » .

خرج الأطفال وانطلقوا مسرعين إلىٰ بيوتهم كالحمامات التي تتحرر من القفص .

وفي صباح اليوم التالي ، قامت امهات الأطفال بعيادة الأستاذ فاذا به ملتحفاً والعرق يتصبب من وجهه وجسمه وهو يئن . فبكين وقلن للاستاذ : « متىٰ مرضت ؟ ما كنّا نعلمُ بذلك أبداً ... » فقال الاستاذ : « أنا ايضاً لم أعلم ، فانشغالي بالدروس جعلني أغفل عمّا يجري في نفسي ، وقد نبهني الأطفال علىٰ مرضي هذا . مثل نساء مصر في مجلس يوسف (ع) . فقد انشغلن بالنظر إلىٰ وجه يوسف (ع) حتىٰ قطّعن أيديهن بدلاً من قطع الفاكهة وهن لايشعرن بذلك . أو كالأبطال في سوح القتال ، حيث فكرهم منصبٌ علىٰ مواجهة العدو ، حتىٰ ان أيديهم لو تقطّعت لرفعوها وحاربوا بها ، دون أن يلتفتوا إلىٰ الدماء الغزيرة التي تسيل منهم » .

انَّ بدن الانسان بالنسبة لروحه ، كالثياب التي تغطي جسمهُ ، لذا لاتتعلق كثيراً بالثياب! ولا تهتم حتىٰ لو تمزق بدنك بل اسع للتحليق بروحك عالياً ، ولا تخش من ان تخرج الروح من البدن .

خلاصة القصة :

١ ـ لا تستسلم للأوهام .

٢ ـ لاتحبس فكرك في قفص الماديات ، بل خصّص جلّ

افكارك للقضايا الأساسية المهمة .

٨٠ ـ « جزاء العابد الذي نقض عهده » :

توجّه شخص عابد نحو الجبال بعيداً عن ضوضاء المدينة ليتفرغ للعبادة ، فاستأنس بذكر الله تعالىٰ ليلاً ونهاراً ، وهو يدعو ويتضرع وكانت في ذلك الجبل عدّة أشجار مثمرة كالتفاح والرّمان والكمثرىٰ ، فضمن العابد غذاءه لمدة سنة من ثمار تلك الأشجار . وأخذ علىٰ نفسه عهداً أن لايمد يده إلىٰ الأشجار لجني الثمار ، بل سيكتفي بالفاكهة التي تسقطها الرياح علىٰ الأرض .

وقد حافظ علىٰ عهده ونذره هذا لأسابيع وأشهر ، لكنه واجه في أحد الايام امتحاناً صعباً ، إذ لم تهب الريح علىٰ تلك الأشجار لمدة خمسة أيام ، وهو لايزال علىٰ عهده مع انه يتضور جوعاً .

أخيراً نهض ووقف قرب شجرة ، فشاهد عدداً من الكمثرىٰ علىٰ أحد الاغصان ، وفي تلك الأثناء هبت ريح

شديدة جعلت ذلك الغصن يميل عليه ، وقريباً من متناول يده . فاثر الجوع فيه كثيراً وتغلب عليه الاستسلام ، فنقض العهد ، وقطف عدداً من الكمثرىٰ من ذلك الغصن فبطل نذره وانتقض عهده .

نعم ، ان طريق الكمال وعر ولا يخلو من الامتحان والبلاء ، كما ان الغرائز الحيوانية عندما تتغلب علىٰ الانسان تجعله مستعداً لنقض عهد الله تعالىٰ .

لقد غضب الله تعالىٰ علىٰ العابد واستحق العقاب .

كانت هناك مجموعة من اللصوص الذين يبلغ عددهم حوالي العشرين لصاً ، تقيم في نفس المنطقة الجبلية التي كان العابد يقيم فيها ، ويقيم هؤلاء في بيت بعيد عن الانظار حيث يجمعون فيه كل مسروقاتهم ثم يقسمونها فيما بينهم في الوقت المناسب .

وفي احدى المرات علم المسؤول عن أمن البلدة عن طريق جواسيسه بمحل اقامة اولئك اللصوص . ولم تمض فترة حتى القت شرطة المدينة القبض علىٰ اللصوص ومعهم ذلك العابد ، فربطت أيديهم وأرجلهم ، وأخذوا يقطعون أيديهم وأرجلهم من خلاف طبقاً للقانون وخلال تلك

الضجة وبينما هم يقطّعون أيدي اللصوص وأرجلهم قطعوا يد ذلك العابد الذي اقتادوه مع اللصوص أيضاً . وبعد ان قطعت يده التفت إليه أحد العاملين هناك فعرفه ثم صاح : « انّ هذا عابد وليس بلص ، فلماذا قطعتم يده ؟ ... » فابلغوا الرئيس بذلك فوراً ، فاسرع الرئيس إلىٰ العابد واعتذر منه وأقسم علىٰ عدم علمه بالأمر . فقال العابد : « أنا أعلم سبب هذا الحادث . فبالرغم من يقيني ان نقض العهد غير صحيح ، فقد قمت بنقض عهدي (أجل ، بنفس هذه اليد المقطوعة نقضت عهدي) ، لذلك انا استحق هذا العقاب » .

لم يبد العابد أي ردّ فعل سلبي ، بل كان شاكراً لله تعالىٰ علىٰ الدوام ، حتىٰ بعد أن قُطعت يده . فحباه الله سبحانه ثواب صبره وشكره ، وانزل عليه المزيد من النعم .

أجل ، فلو أغلق الله تعالىٰ باباً لحكمة ما ، فسيفتح باباً آخر للرحمة .

* * *

٨١ ـ« ثمرة تفكّر الصائغ »:

اتّجه شيخ ضعيف نحو الصائغ وقال له : « لطفاً أعطني ميزانك لأزن به قطعةً من الذهب! » ، فقال الصائغ : « معذرةً أيها الشّيخ ، لا يوجد عندي غربال » . قال الشيخ : « انّما أردت ميزاناً » ، فقال الصائغ : « عفواً ، لاتوجد عندي مكنسة » ، قال الشيخ : « أرجوك لاتستهزئ فانا أريد ميزاناً » ، قال الصائغ : «لقد سمعت كلامك ، ولست أطرشاً أو غبياً ، فقد تمعنت في حالك فوجدتك شيخاً هرماً ، بدنك يرتعش بأجمعه ، هذا من جهة . ومن جهة أُخرىٰ ، ان الذهب الذي بحوزتك ناعم ودقيق ، وعندما تريد أن تزنه سيتساقط علىٰ الأرض ، وعندها ستطلب مني مكنسة ومن ثم غربالاً . ونتيجة للتمعن في الأمر وعاقبته ، أرحت بالك وخلّصت نفسي منك » .

نعم ، فالذي يقتصر نظره علىٰ بداية الأمر فقط فهو أعمىٰ حقّاً . أما الذي يتأمل الأمر ومراحله من بدايته إلىٰ نهايته ، ويتمعن فيه بصورة جدية ، فلن يندم أبداً .

٨٢ ـ « بعد النظر » :

تحدث بغل مع بـعير
وقال له : « ياصديقي ! أنت
لم تـعثر أبـداً ولم تسـقط ،
لكنّي اعثر سواء كنت علىٰ
اليابسة أم الأرض الرطـبة ،

فأخبرني بالسبب لأعرف كيف ينبغي التـصرّف » ، فأجـاب البعير : « لأن بصري أقوىٰ من بصرك وأعلىٰ منه ، كما انـي أراقب الصعود والنزول اثناء سيري وأخطو إلىٰ امـام طـبقاً لهذه النظرة . لذلك لم أعثر أبداً . فانا أُبصر عشرات الأقدام أمامي ، في حين لا ترىٰ انت امامك أكثر من قدمين أو ثلاثة . انت تنظر موضع قدمك فقط دون الحفرة التـي تـبعد عـنك بضعة أقدام » .

* * *

٨٣ـ« صبر لقمان »:

توجه لقمان الحكيم لزيارة النبي داود (ع)، فوجده يقوم بصنع حلقات دائرية الشكل ويربط بعضها ببعض بشكل عجيب. فتعجب لقمان وأراد ان يسأل داود (ع) عمّا يصنعه ؟!

لكنه عاد وقال في نفسه: « من الأفضل أن أصبر، فبلوغ المراد في ظل السكوت أحسن من السؤال ».

بقي لقمان صابراً حتىٰ انتهىٰ داود (ع) من ربطِ تلك الحلقات وصنع منها درعاً ولبسه امام لقمان، ثم سأل لقمان: « أيها الشاب! هل يصلح هذا اللباس للحرب ودَرْءِ ضربات العدو ؟ ».

فقال لقمان: « أجل هو كذلك، لكن الصبر والاستقامة أيضاً خير معين وملجأ ».

* * *

٨٤ ـ « فرار عيسىٰ (ع) من الأحمق » :

أسرع عيسىٰ (ع) ذات مرة نحو الجبل وكأنه يفرّ من الأسد . فتبعه شخص وقال له : « إلىٰ أين تفرّ ؟ لايوجد أحدٌ وراءك » لكن عيسىٰ (ع) لم يجبه لانشغاله بالموضوع الذي أسرع من أجله .

بقي ذلك الشخص يقتفي أثرَ عيسىٰ (ع) لمسافة ، ثم صاح من أعماق قلبه : « ياعيسىٰ ! قف بالله عليك ولو لحظة واحدة . لماذا تهرب يانبي الله ، إذ لايوجد هناك من يتعقبك ، فلا أسد هنا ولا عدو ؟! » .

قال عيسىٰ (ع) : « اني أهرب من الانسان الأحمق كي أنقذ نفسي منه . ابتعد ولا تسد طريقي » . فقال الشخص : « ألم تكن انت المسيح الذي يشفي الأعمىٰ والأصم ؟ » . قال عيسىٰ (ع) : « أجل أنا هو المسيح » . قال الشخص : « ألم تكن المسيح الذي يخلق من الطين كهيأة الطير ثم ينفخ فيه فيطير ؟ » قال عيسىٰ (ع) : « نعم » . قال الشخص : « يا

روح الله ! أنت الذي تتمع بمثل هذه القدرة ... ماالمانع من ان تجعل هذا الأحمق عاقلاً ايضاً ؟ مع العلم بأنّ عملك هذا برهان الهي يجذب الجميع ويشوّقهم اليك » .

قال عيسىٰ (ع) : « أقسم بالله تعالىٰ اني قد قرأت الأسم الأعظم علىٰ الأعمىٰ والأصم فحالفهم الشفاء ، وقرأته علىٰ الجبل فانفلق وتلوته علىٰ البدن الميت فعاد حياً ، لكن هذا الأسم الأعظم نفسه قرأته علىٰ قلب الأحمق الآف المرات عطفاً عليه ، فلم أُوفق في ازالة حماقته ، بل عاد كالصخرة الصماء ولم يتخل عن حماقته » .

فسأل ذلك الشخص المشغوف بحب الاستطلاع : « ولِمَ ذاك ؟ » قال عيسىٰ (ع) : « ان داء الحماقة جرح ممتد إلىٰ القلب والروح وهو السبب في ان يختم الله تعالىٰ علىٰ ذلك القلب ولا علاج له ابداً ، فاياك ومجالسة الأحمق » .

إذن ففرار عيسىٰ (ع) من الأحمق يمكن ان يكون درساً مفيداً لنا ، لئلا نكون حمقىٰ ، ولكي لا نجالس الحمقىٰ فتنتقلَ الينا أخلاقهم وطبائعهم .

* * *

٨٥ ـ « صمود نوح (ع) أمام استهزاء القوم » :

كان نوح (ع) مشغولاً بـصنع السـفينة بأمـر الله تـعالىٰ، ليـركب فـيها مـع المـؤمنين حـين نـزول العـذاب، وكـان الكـفار يمرون عليه فيسخرون منهُ . فقال أحدهم : « لا ماء ولا بحر هنا ، كي يصنع هذا الرجل السفينة ، انه أحمق ؟! » . فيما قال الآخر : « ياشيخ اركب السفينة واذهب من هنا بسرعة » . وقال الثالث : « اصنع لها أجنحة ايضاً » . وقال الرابع : « مؤخرة السفينة التي تصنعها منحرفة » . وقال آخر : « هل فقدت صوابك » .

بينما كان نوح (ع) يواصل عمله ولا يعبأ بهم بل يقول لهم : « اني أصنع هذه السفينة في هذه البادية القاحلة بأمر من الله تعالىٰ ، واستهزاؤكم هذا لايقلل من عزمي وتصميمي علىٰ العمل » .

فاقدم يا أخي المؤمن! إذن علىٰ الاعمال الصالحة التي

أوصانا بها الله تعالىٰ ولا يأخذك الفتور ، ولا تتأثّر بطعن زيدٍ أو عمرو .

٨٦ ـ « طبل السارق » : في احدى الليالي كان أحد اللصوص يقوم بفتح منفذ علىٰ بيت شخص مريض . فسمع المريض صوت معوله عند منتصف الليل ، فصعد إلىٰ السطح وألقىٰ نظرة علىٰ الزقاق وخاطب السارق : « خيراً ! من أنت يارجل ؟ » ، فقال اللص : « اني أضرب على الطبل ياسيدي » ، فسأله المريض ثانية وهو علىٰ السطح : « ماذا تفعل ؟ » قال اللص : « اضرب الطبل » . فقال المريض : « إنّ الضرب علىٰ الطبل له صوت ، فأين صوته ؟! » ، قال السارق : « ستسمع صوته غداً » .

أجل ، لنفكر بالغد ياأخي من هذه اللحظة . نفكر اليوم بالقيامة نفكر الآن بعاقبة أعمالنا ، لنستبعد عنّا نزول العذاب وحلول موعده، إذ في ذلك اليوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه .

٨٧ـ « خداع الأرنب » : إدّعىٰ أحد الأرانب النبوة ، وقال : أنّ القمر هو الإله ، وهو الذي أرسله لهداية الحيوانات! . وكانت الفيلة قد استولت على منبع الماء ، فيما بقيت الحيوانات الباقية محرومة منه لخوفها من الفيلة . فجاء الأرنب إلىٰ الفيلة وقال : « يقول القمر ان منبع الماء ملكي ، فلا تقتربوا منه ابداً ، وإلا سأذهب ببصركم كلكم . واني مُرسَلٌ لأبلّغكم رسالة القمر . اتركوا النبع بسرعة وإلا غضب عليكم القمر انه في ليلة البدر (الليلة الرابعة عشر من كل شهر) وسيضطرب بشكل يصعد فيه وينزل » .

فجاء سلطان الفيلة إلىٰ النبع ليلة البدر ، وعندما وضع خرطومه في الماء تموج الماء علىٰ شكل دوائر ، وتحركت صورة القمر أيضاً فانعكست في الماء نتيجة حركة الماء . وما إنْ رأىٰ كبيرهم تلك الحالة حتىٰ صدّق كلام الأرنب ، فهرب مع بقيّة الفيلة وابتعدوا عن نبع الماء .

مع انّ مولوي ذكر هذه القصة في مورد آخر ، إلا أنّها

تعكس حالة خداع المخادعين المتظاهرين الذين ينبغي عدم الانخداع بهم . وكيف يعقل ان يكون الأرنب السارق هادياً للفيل الظالم !!

٨٨ ـ « شهادة الطفل الرضيع » :

توجهت امرأة مع طفلها الرضيع الذي لا يتجاوز عمره الشهرين فقط من احدى قرى الحجاز إلىٰ المدينة لزيارة النبي (ص) .

وما ان رأىٰ الطفل الرضيع النبي (ص) حتىٰ نطق بالشهادتين بكل طلاقة .

فسألته أُمه : « من لقّنك هذا الكلام ؟ » ، قال الطفل : « لقد علمنيه الله تعالىٰ وساعدني عليه جبرئيل (ع) » . فسألت الأم : « وأين جبريل ؟ » ، فقال الطفل : « انّه واقف فوق رؤوسنا ، حيث يرشدني » . فسألت الأم : « وهل تشاهد جبريل ؟ » ، فقال الطفل : « نعم ، انّه فوق رأسي ، وهو كالبدر الساطع » . فسأل النبي (ص) الطفل : « ما اسمك ؟ » ، فأجاب الطفل : « لقد سماني هؤلاء الجهلة بأسم (عبد العزىٰ) ، لكن

اسمي عبد الله تعالىٰ (عبد العزيز)، واقسم بالله الذي ارسلك بالنبوة انّه ليضيق صدري من (عبد العزىٰ) ».

في تلك اللحظة ملئت رائحة الجنة أنف الأم والطفل، وكانت زكية، لدرجة انهم فضّلوا الموت خشية انقطاعها عن أنوفهم.

٨٩ـ« خطف حذاء النبي (ص) »: في أحد الأيام أراد النبي (ص) ان يلبس حذاءه كي يتوضأ، فنزل فجأة صقر من السماء إلىٰ الأرض واختطف الحذاء وحلّق عالياً، ثم ألقاه من الفضاء، وحال نزول الحذاء باتجاه الأرض خرجت منه حية سوداء وسقطت علىٰ الأرض. أي ان العناية الربانية جعلت الصقر سبباً في انقاذ النبي (ص).

فقال الصقر للنبي (ص): « انَّ الضرورة اجبرتني علىٰ التجرؤ في خطف حذاءك والتحليق به عالياً، وإلا فلا ينبغي لي أنْ أتجاسر عليك ».

فشكره النبي (ص) وقال: « لقد شاهدت جفاءك

الظاهري هذا ، لكني علمت انّ جفاءك هو عين وفاءك ، فقد حزنت في الظاهر ، لكني نجوت من حزن أكبر كان في انتظاري ، وبالرغم من انَّ الله تعالىٰ قد اطلعني علىٰ الغيب ، لكن قلبي كان مشغولاً في تلك اللحظة » . قال الصقر : « أنت منزّه عن الغفلة وما رؤيتي للحية إلا بفضل نورك الذي أضاء بصري » . فانعكاس الحقيقة النورانية يضيء كل مكان ، وانعكاس الظلمة يعم كل مكان . كذلك صورة العبد المؤمن، كلها نور ، لكن صورة غيره ظلامٌ وضلالة .

لِنسع إذن ونجتهد في انتخاب الصديق كي نصبح قلباً واحداً . فإنْ كانت صورته نورانية نجالسهُ لأن الانعكاسات الروحية تتركُ أعظم الأثرِ في نفوسنا .

٩٠ ـ « لسان الحيوانات ورسول الموت » :

جاء شاب إلىٰ موسىٰ (ع) وقال له : « يارسول الله ! علمني لغة الحيوانات ، لأعتبر منها في تقوية ديني، لأن أصوات البشر كلها تدور حول الكسب والخبز والماء فقط . ولعل أصوات

الحيوانات توقظني وتأخذ بيدي إلىٰ العالم الأبدي » . فقال موسى (ع) : « اخرج هذه الأفكار من رأسك لخطورتها ، واطلب العبرة من الله تعالىٰ » . أصرَّ الشاب علىٰ تلبية طلبه وقضاء حاجته !

فدعا موسىٰ (ع) الله تعالىٰ قائلاً : « الهي انَّ هذا الشاب البسيط قد أزلّه الشيطان بطلبه هذا . كما انّ تعليمي اياه لغةَ الحيوانات يعود عليه بالضرر ، وإذا لم أعلمه فانّه سيحزن ويتألم » . فقال الله تعالىٰ : « أجب طلبته ! فإنّا لا نرد طالباً أبداً » .

وأخيراً اقتنع الشاب بتعلم لغة الكلب والديك ، فعلمه موسىٰ (ع) ذلك .

وفي صباح اليوم الباكر تناول ذلك الشاب فطوره الذي أحضرهُ له الخادم ، ورمىٰ بفضلةِ الزّاد أمام ذانكَ الحيوانين ، (الكلب والديك) .

فالتهم الديك قطعة الخبز واستعد لتناول الباقي . فقال الكلب للديك : « لقد ظلمتني ، لأنك تستطيع تناول كافة الحبوب ، علىٰ العكس مني ، فأنا عاجز عن أكلها ، وهذا الخبز القليل رزقي ، انّه رزقنا نحن الكلاب وقد سرقته أنت ! » .

قال الديك : « تَنَحَّ جانباً ولا تهتم ، فسيعوّضك الله تعالىٰ خيراً من هذا الخبز . سيموت فرس مالكنا غداً ، وحينذاك ستشبع من أكل جثته ، فموت الحصان عيد لكم معشر الكلاب ، وستحظىٰ بنصيبك غداً وبدون تعب » .

ما انْ سمع الشاب ذلك من الديك حتىٰ ذهب حالاً وباع فرسه ، وفي صبيحة اليوم التالي لم يكن هناك شيء للكلب ، وبان الخلاف أيضاً في كلام الديك .

اعترض الكلب علىٰ الديك ، فقال له الديك : « لقد مات فرس المالك ، لكن الضرر كان من نصيب المشتري . لكن لاتهتم فغداً سيموت بغل المالك وتكون جثته من نصيبك » . وعندما فهم المالك هذا الشيء باع بغله حالاً . ولم يكن هناك شيء من نصيب الكلب ، فصاح بوجه الديك معترضاً : « أيها المحتال الكاذب ، إلىٰ متىٰ تخدعني بوعودك التي لا أساس لها » . فقال الديك : « لقد مات البغل ، لكن الضرر تحمله المشتري وابشرك ، بأن غلام المالك سيموت غداً ، وسيرمي معارفه المزيد من الخبز أمامكم أنتم الكلاب » . وكالعادة ما أنْ سمع المالك ذلك حتىٰ باع غلامه حالاً لئلّا يتحمل خسارته .

كان المالك أثناء هذه الفترة مسروراً جداً ، لأن توفيقاً عظيم كهذا قد أصبح من نصيبه . وقال في نفسه : « منذ انْ تعلمت لغة الحيوانات بدأت بدفع الضرر عن نفسي ومالي » .

خجل الديك من وعوده الثلاثة تلك التي وعد بها الكلب ، لأن الكلب لم يحصل علىٰ غذائه ، وبات الديك كاذباً .

قال الديك : « لقد أنعم الله تعالىٰ عليّ ، لأنني أنبه الناس الىٰ دخول وقت الصلاة بصوتي ، وأنا لست أهلاً للسهو والكذب » .

في اليوم التالي قال الديك للكلب : « لاتحزن ، لأن المالك سيموت غداً ، وسيذبح أقرباؤه القرابين ويوزعون الطعام ، وعند ذلك سيكون هناك المزيد من الأطعمة ، من نصيب الحيوانات بما فيها أنتم الكلاب » .

ما أنْ سمع المالك هذا الكلام حتىٰ أخذه الرعب ، فسارع إلىٰ بيت موسىٰ (ع) ، وعفّر وجهه بتراب أقدام موسىٰ (ع) لشدة خوفه من الموت ، ومسح علىٰ قدميه وقال : « اغثني ياكليم الله !! » .

فقال له موسىٰ (ع) : « لقد اصبحت محترفاً ماهراً ويمكنك النجاة من الأضرار والأخطار . اذهب الآن وبع

نفسك أيضاً كما بعت الفرس والبغل والغـلام . اجـعل كـل ضرر يتجه نحوك في اعناق الناس . لقد رأيت هذا كلّه فـي بساطتك وهو الآن متجسد أمامك . والانسان العاقل يـتأمل عاقبة الأمر من بدايته بقلبه ، لكن الذي له تجربة قليلة يعرف النتيجة في خاتمة المطاف .

لكن المالك عـاد وكـرّر بكـاؤه ورجـاءه لمـوسى (ع) وطــلب مـنه أنْ يـرأف بـحاله ، ويـزيل عـنه حـالة الرعب والاضطراب هذه .

فقال موسىٰ (ع) : « عندما ينطلق سهم القضاء الالهي (الموت) من القوس فلا يصده شيء ، لكني سأطلب من الله تعالىٰ أنْ يخرجك مـن هـذه الدنـيا وانت مـؤمن لتكـون مـن الخالدين » .

في تلك الأثناء تغيّر وضـع ذلك الشـاب ، واتـضح انّ الموت ملاقيه بسبب هذا التغير ، فساء حاله ، وأدرك نتيجة اصراره وانه لاينبغي له انْ يتعلم لغة الحيوانات .

طلب موسىٰ (ع) في مناجاته الليلية مـن الله تـعالىٰ انْ يسامح ذلك الشخص ، لأنه لايتمكن من حمل عبء الغيب ، وانْ يأخذه مؤمناً . فاستجاب الله تـعالىٰ لدعـاء مـوسىٰ (ع)

وأوصىٰ إليه : « لو شئت لأحييته وكل الموتىٰ » .

فقال موسىٰ (ع) في معرض مناجاته : « إنّ هذه الدنيا دار فناء ، وبما انها ليست بدار بقاء ، فما فائدة البقاء عارياً لعدة أيام ؟ وأولئك الذين جاؤوا إلىٰ عالم النور والخلود اشملهم برحمتك الخاصة » .

إذن هيئ نفسك يا أخي ، لوجود مثل هذا السفر الخالد بتهذيب النفس ورياضتها ، ولا تنشغل بالجسد وشهواته وحطمها بنعمة الرياضة النفسية ، واطلب النفس الصافية الشاكرة وتذكرها .

٩١ ـ « مكافأة المرأة المتعرضة للمصيبة » :

كانت إحدىٰ النساء تلد كل سنة ولداً ذكراً ، لكن اولئك الأولاد لم يكن عمرهم يدوم اكثر من ستة أشهر وأحياناً لا تتجاوز أعمارهم الثلاثة أو الأربعة أشهر .

وكانت تلك المرأة تبكي وتنتحب وتقول : يا ربّ ! أنا احتفظ تسعة أشهر بثقل الحمل في بطني ، وأفرح ثلاثة

أشهر ثم يحترق فؤادي ... لكنّها كانت مع ذلك شاكرة صابرة معتقدة بالله تعالىٰ متوكلة عليه ، فولدت عشرين ولداً لكنهم ماتوا كلّهم وتصاعدت السنة النار لموتهم في قلب تلك المفجوعة .

وفي ذات ليلة تراءت لها الجنة في عالم الرؤية ، فوجدت نفسها وسط حديقة غنّاء لم تر عين مثلها ولا سمعت بها إذن . ووجدت في تلك الحديثة قصراً عظيم الأبهة والجلال فادركت انها هي صاحبة هذا القصر لأنهم قالوا لها : هذا القصر قد وهبه الله تعالىٰ لك جزاء ذاك الصبر والتحمل .

فقالت المرأة : الهي اجعلني حاملاً حيثما تشاء حتىٰ لو بلغ ذلك مائة مرّة وسالت دمائي من جراء ذلك لهذا العطاء الجميل ، ثم تجولت في الحديقة فوجدت جميع ابنائها ، فقالت : الهي لقد غاب كلّ ابنائي من انظاري وهاهم حاضرون عندك وفي ضيافتك .

أجل ، تأمل ببصيرتك ذلك العالم الواسع بعيداً عن قيود النفس وأردائها ، ولو تمتعت بمثل هذه البصيرة لخلدت إلىٰ السكون والطمأنينة ! ولما ساورك الشك والقلق

من الدنيا الفانية ومشاكلها .

٩٢ ـ « موت الرجال الرساليين » :

كان حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي (ص) عندما ينزل إلىٰ سوح القتال أيام شبابه يرتدي درعاً يقيه شرّ الأعداء في كل معركة يخوضها ، لكنّه في السنوات الأُخيرة من عمره كان ينزل لمبارزة العدو بلهفة وبسواعد عارية وصدر بارز .

فسأله الناس وقالوا له : يا عمّ النبي ويا محطم الصفوف وبطل الأبطال ! ألم يقل الله تعالىٰ : « ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة » (البقرة / ١٩٥) ، لماذا لا تمتثل لهذا الأمر الالهي ؟ وتعرّض نفسك لوطأة السيف الباتر ؟! عندما كنت شاباً قوياً لم تكن تذهب الى ساحة المعركة بلا درع ، الآن وقد كبرت وضعفت ، كيف تسعىٰ هكذا إلىٰ ميدان الحرب بلهفة واندفاع ؟ وهل يحترم السيف الشيوخ دون الشباب ؟ وهكذا كانوا ينصحون حمزة ويلومونه .

أجابهم حمزة : في شبابي كنت أرىٰ ترك هذه الدنيا

موتاً مرعباً ، ولذا لا يوجد أحد والحالة هذه يبدي استعداده لمواجهة الموت بمحض اختياره غير مدجج بالسلاح والدروع ، أما الآن وقد استنار قلبي بنور محمد (ص) الوضّاء وشع شعاعه على روحي ، فلا رعشة في أعضائي عند مواجهة الفناء ، أنا لا أخاف من موت البدن ، لأني أرى وراء الحواس الظاهرية المعسكر الالهي وقد امتلأ بصفوف عظيمة من جنود الأنوار الالهية التي لا تعرف الهزيمة والفشل ، الحمد لله الذي أيقظني من غفلتي وغفوتي .

اولئك الذين يرون الموت هلاكاً يمنعهم خطاب « لا تلقوا » من الذهاب لساحة المعركة . أما اولئك الذين يرون الموت نهراً يصب في بحر الأبدية ، فيشملهم الأمر « سارعوا ... » (آل عمران / ١٣٣) .

« افرحوا » يتعلّق بالأبطال الرساليين، وخطاب « اتْرحوا » هو من نصيب المحرومين من اللطف الالهي إنّ الذي يرى الموت جميلاً كوجه يوسف (ع) فسوف يفدي روحه ، وذلك الذي يتصوّر الموت وكأنه ذئب مفترس يضطرب فيسلك طريق الضلال ، إذن فموت كل شخص يتناسب وكيفية تفكيره .

الطير العادي يشبه طير الماء بحسب الظاهر ، لكنهما يختلفان ويتفاوتان بالكامل ، بالضبط كالماء والدهن فيرجع كل إلىٰ أصله ، فلا تنخدع بنقاط الاشتراك الظاهرية ، لا تنس الاحتياط والتدبّر .

٩٣ ـ « الاتعاظ بالكلب وخلق العالم » :

قال احد أصحاب رسول الله (ص) : دائماً يكون الغبن من نصيبي في الزحمة والضوضاء ، انّ الخسارة تطاردني دائماً في البيع والشراء ، خداع البائع أو المشتري يسحرني حتىٰ انحرف عن الطريق الصحيح .

فقال النبي (ص) : اشترط في المعاملة التي تحتمل فيها الغبن والحيلة ، ثلاثة أيام لخيار الفسخ ، كن صابراً واعلم انّ التأني والصبر هما من الرحمن وانّ العجلة من الشيطان . يمكنك اخذ العبرة من الكلب ، فكل موضوع يواجهك ، قم بتفحصه واختباره ، فعندما تضع اللقمة امام الكلب لا يتناولها بسرعة ، بل يشمها أولاً ؛ وحينما يجدها مناسبة يأكلها .

أنت بهذا العقل والفكر لست أقل شأناً من الكلب ؛ كن متأملاً متفحصاً .

تأمل جيداً ، انّ الله تعالىٰ مع قدرته علىٰ خلق كل العالم وايصاله إلىٰ مرحلة الكمال في لحظة واحدة ، قد أدىٰ هذا الأمر بالتدريج ، وهذا يدل علىٰ انّ هناك مصلحة في التأني والتأمل غير موجودة في التسرع والعجلة .

تمعن جيداً ، ولا تنخدع بالتشابه الموجود بين بيضة الحية والعصفور ، أو بذور السفرجل والتفاح .

فالتفاوت بينهما عظيم ، احداهما تنتج الحية والأخرىٰ العصفور ، احداها السفرجل والأخرى التفاح .

وهكذا ، فموتنا جميعاً واحد بحسب الظاهر وهو توقف البدن عن الحركة وانقطاع التنفس ، لكن من الناحية المعنوية فأحدنا يجتاز جسر الموت منتصراً والآخر خائباً خاسراً .

كن متأملاً دقيقاً حازماً ، ولا تتقدّم بعجلة لئلا تنخدع !

* * *

٩٤ ـ « حديث بلال الحبشي مع زوجته عند الاحتضار » :

حينما كان بلال الحبشي مؤذن الرسول الأكرم (ص) في حالة الاحتضار جلست زوجته خلف رأسه وقالت :

واحسرتاه لبلاءنا !

قال بلال : انّ الوقت وقت فرح وسرور ، تأملي ، فأنا لحدّ الآن كنت معذباً ، وهل تعلمين انّ الموت حياة طيبة ؟!

كان بلال يردّد هذه العبارات مع زوجته ووجهه وضّاح متلألىء كالوردة ، وكانت قسمات وجهه المستبشرة وعينيه الوضاءتين دليلين علىٰ صدق كلامه .

قالت الزوجة : لقد حان موعد الفراق .

قال بلال : كلّا ، بل موعد الوصال .

قالت الزوجة : ستتوجه الليلة إلىٰ ديار الغربة .

بلال : كلّا ، بل تحرّرت روحي من الغربة الحقيقية وستبلغ الوطن الأم .

الزوجة : وا حسرتاه !

بلال : بل يا فرحتاه .

الزوجة : أين سأراك بعد الآن .

بلال : بين الذين اختصّهم الله تعالىٰ ، يا زوجتي العزيزة ! لا تتوهمي باستحالة بلوغك مقام مَن اختصّهم الله تعالىٰ ؛ إذ لو تجنّبت السبيل الحيواني السيء وسلكت الطريق الملكوتي الرفيع ، فسيصطع نور من قبل الله تعالىٰ ، من قبلهم باتجاهك .

الزوجة : يا للأسف ، سينهار منزلنا برحيلك .

بلال : أيها الزوجة ! مثل هذا البدن والحياة المادية ، مثل السحب التي لا تلبث أن تتفرق وتنفصل عن بعضها البعض بعد أن كانت قد التأمت والتحمت . في حين انّ قرص القمر لا يزال يشع بالنور ، وعليك بذلك القرص لا تلك السحب .

أجل ، فحفرة القبر المظلمة تكفي لأصحاب الخلق السيء ، في حين ان عالم الدنيا الفسيح يبدو أمام الأنبياء والمؤمنين مظلماً ضيقاً ، ولهذا تسعىٰ أرواحهم دائماً للتحليق في الفضاء المعنوي .

لماذا يتقوّس ظهر العجوز في هذه الدنيا ؟! ولماذا

الاحساس بالراحة اثناء النوم ؟ هذا بحد ذاته دليل علىٰ ضيق هذه الدنيا واتّساع دار الآخرة .

٩٥ ـ « العاشق الحقيقي » :

قال شخص لعاشق :
لقد سافرتَ كثيراً وشاهدتَ مدناً وأماكن جميلة ، فايّة مدينة أفضل وأجمل ؟

العاشق : تلك المدينة التي يقطنها معشوق الانسان ، فأينما حلّ معشوقنا فهو واسع كالصحراء ، حتىٰ لو كان ذلك المكان بقدر ثقب الأبرة ، بل لو كان في قعر الحفرة فهو الجنّة بالنسبة لنا ، مثل يوسف (ع) الذي كان في قاع البئر .

لو كان المعشوق في الجحيم فهو الجنة ، لو كان في السجن فهو الحديقة الخضراء ، زبدة الكلام انّه كلما كان المعشوق معي فأنا مسرور ، حتىٰ لو كنت أعمىٰ .

* * *

٩٦ ـ « ايثار البطل » :

كان أحد الأطفال يحرس مزرعة وفي يده طبل يضرب عليه لإخافة الطيور والحيوانات الضارة كي تهرب بعيداً عن المزرعة ولا تلحق بها الضرر.

وفي أحد الأيام مرّ من هناك السلطان محمود وجنده الكثيرين، فعسكر قريباً من تلك المزرعة وامتدت خيم الجنود تشمل كلّ تلك المنطقة.

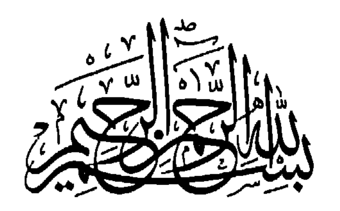
كان السلطان محمود يمتلك بعيراً خاصاً لحمل طبل الحرب الكبير، وكان لهذا الجمل الذي يتقدّم القافلة علىٰ الدوام سنامين عظيمين، وكانوا يضربون علىٰ هذا الطبل الذي كان يحمله البعير ليلاً ونهاراً فيرتفع منه صوت عظيم يسير الجيش علىٰ ألحانه، وكان البعير قد استأنس واعتاد علىٰ صوت الطبل بشكل كان يفرح له فضلاً عن عدم خوفه منه، وحينما توجه البعير إلىٰ المزرعة قام ذلك الطفل المغفّل بالضرب علىٰ طبله لاخراج ذلك الجمل من

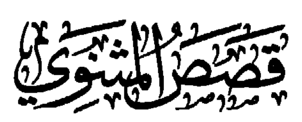
المزرعة.

في هذه الأثناء كان هناك رجل رشيد يراقب الموقف فصاح: أيها الطفل المغفّل لا تضرب علىٰ الطبل! لأن هذا الجمل معتاد علىٰ صوت الطبل. بل انّ مهمّته هي حمل الطبل الذي يرتفع منه الصوت والصخب، ما هو تأثير ضرب طفل مثلك علىٰ الطبل بالنسبة لهذا البعير الذي يحمل علىٰ ظهره عشرين قارع طبل.

أجل، فالعاشق والفدائي في تضحيتهما وايثارهما مثل ذلك البعير، لأن مسألة الموت بالنسبة لهما كصوت الطبل الذي اعتاد عليه ذلك البعير.

* * *




قصص المثنوي



محمد المحمدي الاشتهاردي

الجزء الثاني

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم (ص)

٩٧ ـ « الرجل الشجاع » : كـان فـي بـلاد الري قديماً مسجد عجيب ، وقد عُرِفَ ذلك المسجد بأنّ كلّ من يدخله ليلاً يلقىٰ حتفه وتلقىٰ جثته خارجاً صباحاً ، فتضاربت الآراء والأقوال حوله ..

فقال أحدهم : هذا المسجد مسكون من قبل الجن.

وقال الآخر : يوجد في هذا المسجد سرّ يقتنص الانسان ويفتك به .

وقال ثالث : لنعلّق علىٰ باب المسجد لوحة تحذر الآخرين من المبيت فيه .

وقال رابع : لنقفل باب المسجد لئلاً يدخله القادمون ليلاً وهم يجهلون حقيقته ، وهكذا كثر الكلام حوله إلىٰ أن طرق دويه سمع رجل جريء لا يعرف للخوف معناً ، فتوجّه

إليه ليقف علىٰ سره المزعوم عن قرب ، وقال في نفسه اثناء الطريق : ما المانع من الموت والتحرّر من هذه الدنيا الفانية وقيود البدن .

فأخذ الناس يلومونه ويذكّرونه بضحايا هذا المسجد وينصحونه بضرورة تحاشي مثل هذا العمل الجنوني ، وكرروا محاولاتهم معه اكثر من مرّة وقالوا له : انّ ذئب الأجل يقبع داخل المسجد ، وانما انت مجرّد شاة لا حول لها ولا قوة بالنسبة لذلك الذئب ولست أسداً ، لا تنس انّ الشجاعة انما تتجسد في سوح القتال وليس هنا ، فلا تتوهم إذ لا جدوىٰ من الندم بعد فوات الأوان ، لا تعتمد علىٰ الحظّ والنصيب وفكّر بجدية قبل أن يحدق بك الخطر ويحيط بك الموت من كل جهة ، وهكذا استمرّوا يخوّفونَهُ ويوعظونَهُ .

لكن كلامهم ذلك لم يزده الّا عزماً علىٰ المضيّ قدماً والاحساس بالصفاء واليقين ومراتب النفس المطمئنة في قبال عجزهم ذلك الذي لمسه منهم ، إذ قال لهم :

سأمكث في هذا المسجد حتىٰ لو كان بمثابة القبر أو مشنقة منصور الحلاج بالنسبة لي . سأقتحم نار المخاطرة مثل ابراهيم الخليل (ع) الذي لم يبال بكلام جبرئيل الأمين

الذي كان له انيساً ، ولن أبالي بنصائحكم هذه .

واخيراً دخل المسجد ونام فيه بكل ثقة واطمئنان ، وفجأة سمع في منتصف الليل صوتاً قوياً رهيباً ، فتلقاه بكلّ برود ولم يبد أي رد فعل يذكر وقال مع نفسه : لِمَ الخوف ؟! فالأجدر بذلك الطبل الأجوف الذي يصدر منه الصوت ان يخاف لأنه الذي يتعرّض للضرب لا أنا .

وهكذا تحدّىٰ تلك الأصوات ودعاها للمواجهة لو كانت تصدر من رجل حقيقة .

فكان صموده هذا سبباً في ابطال ذلك الطلسم العجيب الذي كان السبب وراء تلك الأصوات . إذ بدأ الذهب بالتساقط من كل زوايا المسجد (المراد هنا ليس معدن الذهب بل الذهب الحقيقي الذي ضرب علىٰ قلب ذلك البطل المغوار) .

أجل ، لقد أثبت هذا البطل عبث ذلك الطلسم الذي حارَ بِهِ النّاس ، فضلاً عن عدم خوفه منه .

« ينقل عن السيد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) انّه قال : الدول الاستكبارية هي بمثابة تلك الأعمدة المسحورة ؛ فلو صمد المسلمون بوجهها وانطلقوا من

ماضيهم العريق لو وقفوا علىٰ خَواء تلك الأعمدة المسحورة والطبل الأجوف ، بانفسهم » .

٩٨ ـ « ماء المعرفة » : كانت هناك فرس مشغولة بشرب الماء مع طفلها ، وصفير صاحبها يرتفع كل لحظة لغرض جلب باقي الدواب إلىٰ الماء .

لكن ذلك الصفير كان يرعب تلك المهرة كلما طرق سمعها ويمنعها من شرب الماء .

فقالت لها امها : لم تضطربين وترفعين رأسك عن الماء وتهربين ؟

أجابت المهرة : لأنّ صفير الانسان يخيفني ويقلقني كثيراً .

قالت الأم : لا تعبئي بهذه الأصوات ، واشربي من ماء الحياة هذا .

أجل يا أخي ! إجلب ماء الحياة هذا نحوك بقوّة ،

ليسقي وجودك ويجعله مثمراً ، أيها العطاشىٰ لا تغفلوا عن ماء الحياة ، الذي يمدّه نهر منطق أولياء الله تعالىٰ الجاري .

الرجال الحقيقيون والقادة الالهيون ، هم كالنهر الذي تتلاطمُ فيه أمواج الحياة والمعرفة . املأوا قربكم الفارغة من هذا الماء ، ولا تستمعوا لصفير عبدة الدنيا الذين يشغلونكم عنه ، تعالوا لنقتفي أثر الأنبياء ونصمد في هذا الطريق ، ولا نلتفت إلىٰ نباحِ الكلاب التي مسخت فطرتها .

« جاء في الروايات : انّ رسول الله (ص) حينما كان يتلو القرآن بصوت شجي مرتفع ، كان صفير المشركين يتردّد هنا وهناك ليفرّقوا الناس من حواليه (ص) » (تفسير المراغي : ج ٢٤ ، ص ١٢٥) .

* * *

٩٩ ـ « ابتسامة النبي (ص) » : انتصر جند الاسلام في احدىٰ المعارك علىٰ العدو واسروا العديد منهم وساروا بهم أمام النبي (ص) موثوقي الأيدي ،
فكان اولئك الأسرىٰ يتأملون في النبي (ص) خفيّة ويعظون علىٰ شفاههم لحقدهم الدفين ويطعنون في بعضهم البعض قائلين: لقد انتصر علينا هذا ـ أي النبي (ص) ـ بالرغم من اننّا لم نقصر قيد انملة في تنفيذ كلّ ما رأيناه صحيحاً وصالحاً لنا. ما هو السبب وراء هزيمتنا نحن الألوف المؤلفة من الأبطال المدججة بالسلاح أمام هذه الشرذمة من العراة يا ترىٰ ؟ هل هو بسبب انحرافنا ، أم لسوء طالعنا الذي قد ضَّيقَ علينا الخناق في حياتنا الدنيا ، أم لسحره ـ أي النبي (ص) ـ الذي أفقدنا صوابنا وأبطل سحرنا الذي جئنا به ؟

لقد طلبنا من الأوثان مراراً أن تهلكه لو كانت دعواه باطلة أو ان تنصره في حالة كون ما يدعو إليه حقّاً ، ونحن الآن نشهد نصره هذا ...

قال أحد الأسرىٰ : لو كان (ص) يتمتّع بخصال كهذه ، لما ابتسم وأخذته العزّة والفرحة حين رآنا مقيّدين ، إذ لا ينبغي له أن يلتذّ ويفرح بانتصاره علىٰ عدوّه في هذه الدّنيا ما دام متحرراً من قيودها المادية ! لو كان همّه الرئيسي هو الآخرة ولم يكن له تعلّق بهذه الدنيا ، لوجب أن يكون رؤوفاً بالأسرىٰ بدل شماتته وضحكه هذا .

فسمع النبي (ص) تحاورهم هذا بسمع النبوّة الحاد ، دون الحراس القريبين منهم ، فمثله كمثلِ يعقوب (ع) الذي شمّ رائحة قميص يوسف (ع) علىٰ بعد عدّة فراسخ عنه ، وغفل حامل ذلك القميص عنها .

وحينئذٍ قال لهم النبي (ص) : لم يكن انتصاري هو السبب وراء فرحتي وضحكي ، فلقد كنت أراكم في أسر الرق وأنتم في أوج عظمتكم وقوّتكم ، إذن فلا جديد يدعو للضحك والحالة هذه ، أنّي لم أحارب للاستيلاء علىٰ البلدان العريضة حتىٰ تغبطني الفرحة بنصري هذا .

انّ السرّ في فرحي وسروري هو انّي أقودكم بالسلاسل نحو الجنّة وأنقذكم من النّار .

١٠٠ ـ «مقام العشق والعرفان الحقيقي» :

جاءت بعوضة ذات مرّة إلىٰ سليمان (ع) الذي كان حاكماً علىٰ جميع الموجودات وعارفاً بلغة الحيوانات والجمادات جميعاً وقالت شاكية :

يا سيدي خذ بيدي ونجّني من الغمّ وضع حدّاً لظلم عدوّي .

قال سليمان : ممّن تشتكين ؟ ومن هو خصمك ؟ وهل يوجد في ظلّ مملكتي العادلة من يجرؤ علىٰ الظلم ؟

قالت البعوضة : الريح هي عدوّي الذي يظلمني ويحلق بي كالقشة هنا وهناك ليقذفني حيث يشاء .

قال سليمان : يجب أن يحضر الخصمان معاً في مملكتي العادلة ويتكلّمان بكامل حريّتهما حتىٰ أتمكّن من القضاء بينهما ، إذ لا يصح الاكتفاء بطرف واحد فقط .

قالت البعوضة : صحيح ، فالحق ما تقول .

بعد ذلك أمر سليمان (ع) ريح الصبا بالمثول في

المحكمة والاجابة علىٰ اعتراض الشاكي ، فحضرت الريح علىٰ الفور .

وحينئذٍ قال سليمان (ع) للبعوضة : امكثي هنا لأنظر في أمرك .

قالت البعوضة لا استطيع الحضور حيث توجد الريح .

إذن يا أخي ! تأمّل في هذا المثال جيّداً ، فالانسان الباحث عن الله تعالىٰ ، لا يلبث أن يمحىٰ من وجوده الغرائز الحيوانيّة ، بمجرّد أن يشع عليه النور الالهي ، ليبق هناك فقط الوجه النوراني ، كَمثل الشمس التي تزيل الظلام حيث تشع .

هذه هي الظاهرة الحقيقية لعشق الله تعالىٰ ، الذي يعجز العقل عن ادراكه والقلم عن بيانه .

١٠١ ـ « النظرة الالهيّة » : عشق شاب فتاة جميلة وهام في حبها ثمان سنوات ، لكنّه لم يفلح حتىٰ بالتطلع إلىٰ ظلالها الرقيقة سوىٰ السماع من الآخرين عن أوصافها ، لثمان سنوات ، ولم يزدد الّا عزماً وتصميماً

علىٰ الوصول إليها وفي احدىٰ الليالي المظلمة دخـل ذلك الشّاب أحد البساتين ممتطياً صهوة جواده هـرباً مـن انـظار الحارس الليلي الذي كان يتردّد هناك نظراً لمنع التجوّل ليلاً في تلك الأيّام فالتقىٰ صدفة بمعشوقته هناك وبـهذا تـحطم طوق البين ونال مراده الذي دام ثمان سنوات بليلها ونهارها .

فشكر الله تعالىٰ ودعا لذلك الحـارس بـالموفقيّة فـي الدارين ونيل ما يتمنّاه لأنّه كان السّبب وراء وصـاله الكـريم هذا ، فأصبح الحارس بالنسبة للـعاشق كـالعلاج مـن السـمّ القاتل مع كونه مرّاً كالعلقم الذي لا يطاق بالنسبة للآخـرين (لقد أصبح الداء دواءاً مـثل النّـار المسـتعرة التـي عـادت روضة غنّاء لابراهيم (ع)) .

من هذا المثال يمكننا استنتاج هذه الثمرة :

انّ سمّ الحيّة الذي يعني الموت بالنسبة للانسان ، انّما يعني الحياة نفسها بالنسبة لنفس الحيّة ، و... فزيد مثلاً وهو شخص واحد ، يعدّ ملاكاً من قبل شخص وشيطاناً من قبل آخر فهو بالنظرة الأُولىٰ حسن وبالثانية قبيح .

لو أردت التطلّع إلىٰ الله تعالىٰ فـاسع للـحصول عـلىٰ النظرة الالهيّة وكن مع الله تعالىٰ ليمنحك مثل هذه النظرة ، أو

انظر إلىٰ الله تعالىٰ من خلال نظرة الموحدين الحقيقيّين (كالأنبياء والأولياء)، وحينما تحصل علىٰ نظرة كهذه تعد بمثابة آية من آيات الله تعالىٰ التي تدلّ علىٰ عظمته وابداعه، وحينئذٍ يبدو لك المرّ حلواً والصعب سهلاً.

١٠٢ ـ «انتقاد المعشوق لوقاحة العاشق»:

وحينما التقىٰ العاشق بمعشوقته في القصة المتقدمة بعد ثمان سنوات. أراد تقبيلها، فنهرته بشدة ووقفت جانباً وقالت له:

«كن مؤدباً ولا تتهور».

فقال العاشق الولهان: لا أحد هنا لأخجل منه، سوىٰ الريح التي تهب هنا وهناك. فما المانع يا ترىٰ؟

قالت الفتاة: أيّها العاشق المجنون، اعلم ان هناك من يحرك الريح. فالرياح انواع، فهي لبعضٍ نعمة ولبعضٍ نقمة. فلقوم هود المذنبين كانت صرصراً عاتية، ولنفس هود (ع) كانت كريح الصبا رقيقة لطيفة. وهي تارة ريح الربيع وأُخرىٰ ريح الخريف الثائرة.

لقد حسبتني أيّها العاشق الولهان شاة بلا راع . لا يفوتك ان العشاق يعانون من قلق دائم لانهم انما ينظرون إلىٰ ما يدفعهم إليه عشقهم الأعمىٰ . انهم لا يصدقون بوجود مالك للغزلان فيقدمون علىٰ اعمال لا تحمد عقباها انطلاقاً من تصوراتهم الجوفاء تلك ، ولا يلتفتون إلىٰ الحقيقة الا بعد تصيبَ السهام قلوبهم الولهىٰ .

فاعتذر العاشق وقال : لقد أردت اختبارك لأقف علىٰ مدىٰ أمانتكِ وعفتكِ وعصمتكِ ومع اني اعرفكِ قبل الاختبار ايضاً ، لكن ليس من رأىٰ كمن سمع .

ردت الفتاة عذر العاشق الواهي هذا بشدة وقالت له : انّ مكرك مفضوح عندي . لماذا تخرج عن الحد المعقول حينما تراني أتسامح وأتساهل ؟ اتعظ بأبينا آدم (ع) ، إذ انه حينما أذنب بترك الاولىٰ ، جَثا علىٰ الأرض وابدىٰ ندمه وقال مناجياً الله تعالىٰ بكل تواضع وحسرة « رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا .. » (الأعراف / ٢٢) ، ولم يحلق متنقّلاً من غصن إلىٰ غصن باحثاً عن خدعة مصطنعة .

فالنظرة الواقعية هي السبب وراء تكامل الانسان .

وأنت أيضاً أيها العاشق المتيّم ، لا تتحايل ، بل كن

متواضعاً معترفاً بواقع الامر ولا تبحث عن الاعذار كما كان يحوكُها ابليس مع الله تعالىٰ .

١٠٣ ـ « دعاء الخطيب » :

كـان أحـد الخـطباء حينما يرتقي المنبر يـدعو لقـطاع الطـرق واللـصوص ويرفع يديه قـائلاً : الهـي ! ارحـم كـل الأشـرار والمفسدين والمستهزئين و ... ، أجـل كـان هـذا هـو شـغله الشاغل دون أن يدعو لأهل الفضيلة ولو مرة واحدة .

فاعترض عليه الناس وقـالوا له : لم نـر لحـد الآن مـن يدعو لأهل الغي والضلالة .

أجابهم الخطيب : لقد رأيت من وراء هؤلاء الأشرار كل الخير والبركة ، ولهذا أدعو لهم . لَقد بلغت اساءتهم حـداً جـعلني اسـتدبر الرذيـلة واسـتقبل الفـضيلة ، انـي رأيـتهم كالاشلاء المثخنة بالجراح لكثرة خطاياهم ، فلجأت إلىٰ الله تعالىٰ خائفاً مذعوراً ، فأصبحت كما ترون . إذن فهم السبب وراء خيري وصلاحي ومن هنا لابدّ لي أن أدعو لهم .

أجل هذا أيضاً أحد الأصول ، وهو ان الانسان انما يلجأ إلىٰ الله تعالىٰ عند الشدائد والاحساس بالعسر والحرج ، وبالعكس يتكبر ويحيط به الغرور لكثرة النعم . وقد اشار الله تعالىٰ في قرآنه الكريم إلىٰ أنّ نفس هذه الشدائد هي التي تقودك اليّ لتسلك الصراط السوي ، فاعترض علىٰ النعم لانها تطردك من باب رحمتي ، إذن فنفس اصدقائك (وهم النعم والخيرات) أعداؤكَ الذين يصرفونك عن السعادة الواقعية ويشغلونك بامور تافهة .

فمثلاً : هناك حيوان يدعىٰ « أشغر » تتناسب قوته وصحته طردياً مع الضرب الذي يتعرض له . كذلك روح المؤمن إذ يشتد عودها اكثر كلما تعرضت للمحن اكثر . ولهذا فارواح العارفين بالله تعالىٰ هي اقوىٰ واصلب عوداً من باقي الأرواح ، وان الأنبياء (ع) يعانون ما لا يطيقه غيرهم ، بالضبط مثل الجلود التي تزداد مقاومتها كلما تعرضت للضرب والدبغ اكثر . وكذا الدواء المر الذي لا يطاق ، نراه يأتي بالشفاء العاجل باذن الله تعالىٰ .

ولهذا قال الامام الصادق (ع) : الانبياء (ع) ثم اقرب الناس اليهم معرضون للبلايا والمحن اكثر من الآخرين (سفينة البحار ج ١ ص ١٠٥) .

١٠٤ ـ « نصيحة عيسىٰ (ع) » :

سأل أحد العقلاء عيسىٰ (ع) : ما هو اصعب شيء في الكون ؟

قال عيسىٰ (ع) : غضب الله تعالىٰ الذي تهتز من خشيته النار هو أصعب شيء .

قال العاقل : كيف الخلاص من غضب الله تعالىٰ ؟

أجاب عيسىٰ (ع) : بترك الغضب و كظم الغيظ .

١٠٥ ـ « قصة المرأة المخادعة » :

بينما كانت امرأة عاهرة بصحبةِ رجل غريب في بيتها مستغلةً خُلوَّ المنزل من زوجها الذي يغادرها صباحاً وَخلافاً للمعتاد فقد طرق زوجها الباب فاضطربت مع صاحبها وطفقا يبحثانِ عن مكانٍ آمنٍ يختبئان فيه ، فتعلقت بكل حيلة لإخفاء هذا الشيء العظيم الذي أتت به ، لكن هيهات فلا زاوية ولا

حفرة تغطيهما فقد غدا البيت واضحاً للعيان لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها وكأن يوم القيامة قد حل . فلم يكن أمامها سوىٰ ان وضعت عباءتها علىٰ رأس ذلك الرجل الغريب ليتمكن من الخروج من البيت ، وحينما رآه زوجها أمام الباب ، سأل باستغراب : من هذا الشخص المغطىٰ بالعباءة ، اني لم اره من قبل ؟!

الزوجة : إن هذه السيدة المحترمة من اعيان المدينة وترغب في خطبة ابنتنا لولدها . لقد جاءت لرؤية البنت لكنها ولسوء الحظ ذهبت إلىٰ المدرسة . انها معجبة بنا جداً وتصر علىٰ هذه الخطبة بغض النظر عن مدىٰ لياقة ابنتنا .

الزوج : إن حالتنا المادية المتدهورة لا تسمح لنا بالارتباط بمثل هذه العائلة المحترمة .

الزوجة : لقد اخبرتها بذلك ، لكنها اكدت علىٰ الجانب الأخلاقي للعائلة دون القضايا الثانوية الأخرىٰ .

وهكذا بقي الزوج يكرر التأكيد علىٰ الفارق الطبقي بينهما ، والزوجةُ تبادره باهتمام هذه السيدة المحترمة بعفة الفتاة وتراوغ بالحديث عن الخصال الحميدة كالعفة والطهارة لتبرئة ساحتها ولم تخجل من الله السميع البصير تعالىٰ . فقد

لوثت سمعتها اكثر من مرة فيما سبق ولم تكترث لذلك لغفلة زوجها عنها ، وفاتها ان كل حال يزول وانه لابد لشمس الحقيقة أن تسطع في يوم ما.

أسماء الله تعالىٰ انما هي اسماؤه الحقيقية ومن صفاته القديمة . فقد سمّىٰ نفسه « بصيراً » ليمنعنا اعتقادنا برؤيته لنا عن ارتكاب الذنوب ، وسمىٰ نفسه « سميعاً » لنصون السنتنا عن الكلام البذيء ، وسمىٰ نفسه « عليماً » لئلا تراودنا الأفكار الانحرافية .

عزيزي القارىء يمكنك التعرف من خلال هذه القصة علىٰ الأشخاص الماكرين الذين يكون لحن القول وتهافت الحديث ملازمين لهم . إذ مع سقوطهم الأخلاقي نراهم يؤكدون علىٰ الأخلاق الحميدة امام الآخرين ويتظاهرون بها .

انهم لا يولون أي اهتمام يذكر بالله تعالىٰ .

فلا يخدعنك مثل هؤلاء الافراد . ولو تمكنت من تشخيصهم والوقوف في وجههم فلا تتردد أبداً .

* * *

١٠٦ ـ «اغماء الدباغ من عطر الورد»:

بينما كان دباغ يمشي في السوق مر صدفة بين دكاكين العطارين فاغمي عليه بسبب الرائحة الزكية التي تفوح من هناك وسقط علىٰ الأرض. فاجتمع الناس حوله لمساعدته.

فأخذ أحدهم يدلك صدره.

والآخر يرش ماء الورد علىٰ وجهه غافلاً عن ان العطر هو الذي اوقعه في مثل هذه الحالة التي يرثىٰ لها.

وثالث يفرك وجهه ويديه.

وآخر يحضر بعض الأدوية لعلاجه.

وخامس يحرق البخور ويقرّبهُ من أنفه.

وسادس يتصور ان حرارة الجو قد اثرت فيه فسعىٰ لنزع ملابسه.

وسابع يضع اذنه علىٰ صدره ليطمأن علىٰ تنفسه.

وهكذا .... غفل الجميع عن السبب في اغمائه هذا. إلىٰ أن حضر أخو ذلك الدباغ وكان رجلاً ذكياً جداً فشق صفوف

المـجتمعين ووقـف بـالقرب مـن رأس اخـيه ومـعه بـعض فضلات الكلب ، وقال : اني اعرف أخي جيداً ، انه يعمل في الأماكن القذرة النتنة من الصباح إلىٰ المساء وقد اعتاد علىٰ مثل هذه الأماكن ، ولذلك اغمي عليه حـينما اجـتاز سـوق العطارين. دواؤه الوحيد يكمن في هذه الفضلات .

بعد ذلك خلط تلك الفضلات بصورة جيدة وقربها من أنفه ، فما أن ملأت انفه حتىٰ عاد إليه وعيه في تلك اللحظة .

إذن يا أخي اعلم ان البـعض لا تـروق لهـم ارشـادات الأنبياء (ع) بسبب تعودهم علىٰ الرذائل التي اصبحت جزءاً من كيانهم ، وانه لابدّ لهم من مقاومتها لفترة ما والقضاء عليها ليحصلوا علىٰ الارضية الصالحة لتقبل عطر الحق واصـلاح النفس .

فكما ان العطر يـؤذي ذلك الدبـاغ ، فكـذلك نـصائح الاولياء تؤذي الغارقين في الذنوب التي يقاومونها .

* * *

١٠٧ ـ « سؤال تافه » : قـال رجـل مـعاند لا اطلاع له بـعظمة الله تـعالىٰ لعلي (ع) حـينما كـانا مـعاً فـوق سـطح مـرتفع : هـل تعتقد ان الله يحفظك ؟

علي (ع) : أجل ، لقد حفظنا الله تعالىٰ منذ البداية وإلىٰ الآن .

المـنكر : إذن ، ألقِ بـنفسك مـن هـذا السـطح طـبقاً لاعتقادك هذا ، لأتيقن بان الله يحفظك وبان يقينك مبنيّ علىٰ اساس متين.

فـنهره الامـام عـلي (ع) قـائلاً : صـه ! ، أيّـها العـبد الضعيف ، أية قدرة تلك التي تختبر الله تعالىٰ ؟ الاختبار من شأنه تعالىٰ وحده . وهل ان آدم (ع) حينما ارتكب الخطأ قال لله تعالىٰ اني اردت ان اختبر صبرك ولطفك ؟! من ذلك الذي يجرؤ علىٰ عمل كهذا في حق الله تعالىٰ ؟ لو انك اختبرت نفسك حقيقة ووفقت في اختبارك هذا ، لما سمحت لنفسك باختبار الآخرين لاحساسك بأن شعاعاً من النور الالهي

يسري في وجودك . وهنالك تكون نظرتك صائبة وتدرك أنَّ أمر الخلق وراءه ثواب وعقاب ، إنَّ كل شيء يجب ان يوضع في موضعه ... (لا ان يلقي الانسان بنفسه من علىٰ السطح) ، وهل تجيز قوانين الحكمة والعقل والوجدان مثل هذا العمل يا ترىٰ ؟!

الطريق الذي يؤدي إلىٰ اختبار القائد ، غير صحيح بلا شك . وهل من الصواب أن توزنَ ذرّةٌ مقابل جبل ليحطم هبلَ الميزان من الأصل ؟

أيّها الجاحد الجاهل ! اعلم انه في تلك اللحظة التي خطر ببالك اختبار الله تعالىٰ ، قد امتلأ قلبك ظلاماً وغطته الحجب . لُذْ بالله تعالىٰ ليصونك ويحفظك من مثل هذه التخيلات الواهية والأوهام البالية .

* * *

١٠٨ ـ « هدية بلقيس لسليمان (ع) » :

حينما كان مقر سليمان (ع) الذي وهبه الله ملكاً عظيماً في الشام وفلسطين ، علم ان هناك امرأة تدعىٰ بلقيس تحكم بلاد اليمن وانها تتمتع بقوة ومنعة وانها وشعبها يعبدون الشمس . فبعث إليها الرسل ودعاها للتسليم لامر الله تعالىٰ .

فعزمت بلقيس علىٰ ارسال هدايا نفيسة إلىٰ سليمان ليعدل عن رأيه في الاستيلاء علىٰ مدينة سبأ عاصمة بلادها فبعثت أربعين بغلاً محمّلاً بالذهب كهدية إليه .

وحينما وصل حاملوا الهدايا إلىٰ بلاد سليمان فوجئوا بأمر غريب ، إذ كانت تلك الأرض مفروشة بالذهب ... فخجلوا من أنفسهم وقالوا : أين نذهب بهدايا الذهب هذه ؟

من الأفضل أن نعود بها إلىٰ بلقيس ، فأرض هذه البلاد كلها ذهب ، أليس من السذاجة جلب بعض الذهب إلىٰ أرض كهذه ؟ لكنهم قالوا اخيراً : مهما بدت هدايا بلقيس وضيعة هنا ، لكن لابدّ لنا من تنفيذ اوامرها . وهكذا ذهبوا بها إلىٰ قصر

سليمان وقدموها بين يديه .

فلما رآها سليمان ابتسم وقال : متىٰ طلبت منكم الأموال والهدايا ؟ لقد قلت لكم كونوا انتم هدايا لأتقه . انكم بعبادتكم للنجم والشمس انما تذلون انفسكم وتضيعونها .

الهدية بالنسبة لي هي أن أراكم مسلمين. أيها الضعفاء الذين يجعلون من الشمس إلهاً لهم ما هو موقفُ هذا الإله (الشمس) إنْ أقدم أحد علىٰ قتلكم ليلاً ؟ يا حملةَ الهدايا اعلموا ان الشمس بالنسبة للأنوار الالهية هي حكومتنا كالذرة الحقيرة ، ارجعوا بها ، وعودوا اليّ بقلب ملؤه الايمان كهدية نفيسة .

ثم بعث سليمان إلىٰ بلقيس برسالة قال فيها : انهضي وانضمي إلىٰ حكومتنا العادلة ، وتأملي في ذرات الكون التي تعد كلها جنوداً للرحمن. والا فسيأتي ذلك اليوم الذي يقف فيه الشعب علىٰ سكوتك عن الحق وحينئذ يُطاعُ بحكومتك .

واخيراً استسلمت بلقيس للأمر الواقع وحضرت عند سليمان .

* * *

١٠٩ ـ « ايـمان بـلقيس واستسلامها » :

عندما وصلت رسالة سليمان إلىٰ بلقيس وهـبت ريح الصـبا المـعنوية عـلىٰ سـبأ ، تأمـلت بـلقيس فـي الرســـالة مَـــليّاً واخـــيراً انجذبت باتجاه عظمة سليمان . لقد شع نداء سليمان نوراً في قلبها وجعلها تعيد النظر في المظاهر المصطنعة المخادعة .

عندما علم سليمان برغبة بلقيس وحركتها نحوه . أمر جيشه باحضار عرشها . فقال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك . وقال الذي عنده علم مـن الكـتاب (آصف بن برخيا) : أنا آتيك به قبل أن يـرتد اليك طـرفك . فتراجع ذلك العفريت أمام روح آصف الربانية مع ما يجيده من فن السحر . فاحضر آصف العرش في لحظة واحدة بين يدي سليمان قبل وصول نفس بلقيس . فحمد سـليمان الله تعالىٰ واثنىٰ عليه كثيراً . ثم التفت إلىٰ العرش وقـال : أيـها الخشب الحقير ! انت الذي تخدع البسطاء وتدفعهم للسجود لك .

وهكذا دخلت بلقيس قصر سليمان فاذا بعرشها كما هو هناك . فأحست بضعفها وقلة حيلتها أمام عظمة سليمان وكأنها ريشةٌ في مهب الريح . فانحنت امام عتبة القصر تواضعاً له .

ثم أمر سليمان الجن والانس والطير الذين كانوا بأجمعهم تحت امرته ورهن اشارته ، بالتعاون والتكاتف لبناء المسجد الأقصىٰ الذي امر الله تعالىٰ سليماناً ببنائه فبنوه كما ينبغي .

١١٠ ـ « الرجل آكل الطين » : ذات مرة ذهب أحد الأشخاص الذين كانوا قد اعتادوا علىٰ تناول الطين إلىٰ دكان عطار لشراء بعض قوالب السكر . فقال له العطار : لدي سكر جيد ، لكني ابيعه بشرط استخدام الواح الطين بدل عيارات الميزان المتعارفة . فوافق المشتري علىٰ ذلك وقال : المهم بنظري هو نوعية السكر لا كيفية الوزن بالحديد كان أم بالطين ، لكنه ما لبث ان قال في نفسه فرصة

سعيدة فالطين أفضل عندي حتىٰ مِن الذهب (أي مثل تلك المرأة التي قالت لولدلها : لقد عثرت لك علىٰ فتاة جميلة وأن أباها يبيع الحلوىٰ . فقال ابنها : إذن ستكون ابنته اكثر قوة وحلاوة ، وهذه مزية أُخرىٰ) .

فوضع العطار قوالب السكر في كفة الميزان والواح الطين في الكفة الأخرىٰ ، ثم ذهب ليأتي بشيء يكسر به قوالب السكر تلك فتأخر بعض الوقت ، وما إن عاد حتىٰ فوجىء بالمشتري يلتهم أجزاءً من ألواح الطين بشراهةٍ . لأن تناقص وزن الطين يعني تناقص السكر وبالنتيجة فقد أكل المشتري الطين وبذا سيتحمل هو الضرر لا العطار ، فقد أضرَّ المشتري نفسه بنفسه في حقيقة الأمر .

إذن يا أخي ! لا تغفل عن ان أكلك لحقوق الآخرين في هذه الدنيا أو النظر إلىٰ أعراضهم و ... انما يكون علىٰ حسابك أنت ليس الّا . فلا تكتف بالظاهر فحسب . فان هبوط شخصيتك معنوياً انما يتناسب مع مدىٰ ما تعكر به صفو حياة الآخرين والعكس صحيح .

* * *

١١١ ـ « المتلهف لماء المعرفة »:

يُـــذكر انّ شـخصاً تسلّق شجرة جوز وبـعدما استوىٰ فوقها أخَذَ يـقطف الجوز ثم يـلقيه فـي حـفرة عميقة تتجمع فـيها المـياه تحت تلك الشجرة . فـيرتفع صـوت ارتـطام الجـوز بـالماء وتتطاير قطراته هنا وهناك . لكن بالنتيجة يذهب الجوز مـع الماء .

فقال له أحد العقلاء : اُترك عملك هذا ، فالماء يأخذ الجوز ولا يروي عطشك .

فأجابه ذلك الشخص : لا علاقة لي بـالجوز ، فـالذي يـهمني أمـران اثـنان : أحـدهما الاسـتماع لصـوت المـاء ، والآخر رؤية فقاعات الماء المتطايرة .

لا هــم للــعطشان مـعنوياً سـوىٰ الدوران حـول مـاء الحوض المعنوي .

وهنا وجه مـولوي الخـطاب إلىٰ حسـام الديـن وبـيّن الهدف من تدوين مثنوي (كما جـاء فـي المـقدمة) . ومـن

جملتها قوله :

أيها الانسان ! لا تغفل ، فانك عطشان لماء معرفة الكون ، اسع للحصول عليه ـ حتىٰ لو كان مجرد صوت الماء وفقاعاته المتطايرة فقط .

١١٢ ـ « حكاية لطيفة عن طفولة محمد (ص) » :

بعد أن قضت حليمة السعدية عدة سنين في تربية نبي الاسلام (ص) في فترة طفولته ، عزمت علىٰ أخذه إلىٰ جده عبدالمطلب في مكة . وحينما وصلتها توجهت إلىٰ الكعبة ، فسمعت صوتاً من السماء يخاطب حطيماً (سور الكعبة الخارجي) ويقول : « أيها المكان المقدس ! سيشرق عليك اليوم نور يعادل مئات الآلاف من الشموس » . فالتفتت حواليها باضطراب لكنها لم تجد صاحب الصوت وفوجئت بغياب محمد (ص) عنها ، فتأملته هنا وهناك لكنها لم تعثر عليه ، فاحتارت كثيراً واسرعت نحو بيوت مكة تسأل عنه منزلاً بعد آخر وهي تبكي وتصيح : « من سرق درتي ؟! » . لكن

أهالي مكة أظهروا جهلهم بالموضوع .

وفي هذه الأثناء جاء شيخ متكيء علىٰ عصا في يده وسأل حلمية عن حزنها وقلقها ، فأخبرته بذلك .

فطمأنها الشيخ وقال لها : لا داعي للقلق ، فساجد ذلك الطفل واعطيك اياه .

فاني أعرف أحداً (صنماً) يتمكن من هذا الأمر . ثم اصطحبها إلىٰ صنم « العزّىٰ » (وثن قريش المعروف) وقال : « وجود هذا الصنم للاخبار عن الغيب نعمة عظيمة نحن عندما نفقد شيئاً نلتمسه » .

بعد ذلك سجد الشيخ لذلك الصنم وقال : « يا رب العرب ومالكهم ، ويا بحر الجود والكرم ، لقد مننت علينا كثيراً وانجيتنا من الهموم ، وقد اعتمدنا عليك ، وهذه حليمة السعدية قد فقدت طفلها فجاءت اليك لتتفضل عليها وتجده ، واسمه محمد (ص) » .

فما أن ذكر اسم محمد (ص) حتىٰ مالت كل الاصنام بما فيها صنم العزيّ وكأن لسان حالها يقول للشيخ : أيها الشيخ ، ما هذا الهراء ، فمحمد سيكون سبباً لزوالنا .

اضطرب الشيخ لهذا المشهد وارتعدت فرائصه ، كما

ان حليمة ايضاً هالها موقف الشيخ ، فقالت : ايها الشيخ ! اني في عذاب وحيرة . تارة تتحدث معي الريح ، وأُخرىٰ تتكلم معي الأحجار ، واحياناً تأتي بعض الموجودات بلباس أخضر وتخطف طفلي و .... وكل هذه الحوادث مرتبطة بهذا الطفل الضائع ، والكلام عنه طويل لكني ساقتصر علىٰ جملة واحدة وهي ان « طفلي قد ضاع » ، ولو قلت أكثر من هذا لاتّهموني بالجنون !

فواسىٰ الشيخ حليمة ودعاها للصبر والرضا وقال : لقد آن الأوان لشيء عظيم .

فأنا مع سني الكبيرة هذه لم أر شيئاً من هذا القبيل ، كيف تنحني الاصنام بقدسيتها ، لسماع اسم ذلك الطفل .

بعد ذلك وصل خبر ضياع محمد (ص) إلىٰ جده عبد المطلب ، فاتجه إلىٰ الكعبة لاجئاً إلىٰ الله تعالىٰ وهو يولول والدموع تنهمر من عينيه ويقول :

« يا الهي ! أنا أحقر من أن أتحدث معك . دموعي وسجودي أقل من أن تذكر . لكني اقسم عليك بتلك العناية الخاصة التي توليها لهذا الطفل (محمد (ص)) ان تتفضل علينا وتطلعنا علىٰ مكانه وحاله ، واني اتّخِذُهُ لي عندك

شفيعاً .... » .

فهتف صوت من داخل الكعبة وقال : اهدأ ! ستزور ذلك الطفل .

قال عبد المطلب : أين هو الآن ؟

فذكر ذلك الهاتف مكانه . وحينئذٍ توجه عبد المطلب ومعه اشراف قريش إليه .

فوجده تحت شجرة فاحتضنه وعاد به إلىٰ مكة .

« مع ان اشراف قريش كلهم كانوا من أقارب ذلك الطفل ـ محمد (ص) ـ ، لكنه (ص) لم ينظر إلىٰ الاحساب والانساب بقدر ما ينظر إلىٰ الاعمال وصفاء النيات » .

١١٣ ـ « جائزة السلطان والوعد اليوم وغداً » :

نظم أحد الشعراء قصيدة في مدحِ سلطان زمانه وذهب إليه يبغي كرمه وانعامه ، فقرأها عليه فأمر السلطان وزيره باعطائه ألف دينار من الذهب الخالص .

فقال الوزير للسلطان : هذا المبلغ القليل لا يليق

بمقامك ، لو وهبته عشرة آلاف دينار لكان أفضل .

فوافق السلطان واعطاه عشرة آلاف دينار فغمره الفرح وغادر شاكراً .

بعد ذلك أراد الشاعر التعرف علىٰ الشخص الذي قام بتزكيته عند السلطان حتىٰ استحق كل هذه الجائزه الثمينة .

فأخبره الحواشي بان الوزير السخي كان وراء ذلك .

فنظم الشاعر قصيدة طويلة في مَدحِ الوزير بعد أن علم بموقفه ذاك . لقد كانت القصيدة تدور حول جائزة السلطان الثمينة في الواقع مع انها كانت تتعرض لمدح الوزير بحسب الظاهر .

مضت علىٰ ذلك الحَدَثِ الأشهر والسنوات واصبح الشاعر مثقلاً بعبء الحياة وشظف العيش فاضطر لنظم قصيدة اُخرىٰ في مدح السلطان والمثول بين يديه أملاً في الحصول علىٰ جائزة ثمينة كسابقتها . وكالعادة أمر السلطان باعطائه ألف دينار ذهباً بعد سماعها .

ونظراً إلىٰ ان الوزير السابق صاحب الجود والكرم كان قد ترك هذه الدنيا الفانية وحل محله وزير آخر يحمل نفس اسمه صدفة ، لكنه علىٰ العكس منه يتميز بخشونة الطبع

والبخل الشديد. فقد قال للسلطان: انّ مشاكل الدولة لا تكاد تعد وتحصىٰ، ومبلغ ألف دينار كثير بالنسبة له سأُقنعُهُ بالربع من مائة دينار (أي خمسة وعشرون ديناراً فقط).

فقال له مساعدوه، لقد استلم في المرة السابقة عشرة آلاف دينار، فكيف تقنعه بالقشر دون اللب؟

قال الوزير الجديد: لا عليكم، ساضيق عليه الخناق بالتسويف اليوم وغداً إلىٰ ان يأخذ مني حفنة تراب وكأنها وردة عطرة.

فقال السلطان للوزير: الأمر موكول اليك، لكن ليغبطه الفرح والسرور، فقد مدحنا وذكر محاسننا.

قال الوزير: اطمئن، سأغبط مائة من أمثاله بالفرح والسرور.

وهكذا ترك الوزير ذلك الشاعر منتظراً علىٰ احر من الجمر أسابيع بل أشهراً عديدة. حتىٰ ضاق ذرعاً وجاء إلىٰ الوزير ذات مرة وقال: لقد نفذ صبري، فلو لم يكن لديك ذهب، فاطردني واشتمني علىٰ الأقل لأقطع الأمل والتردد هنا وارتاح قليلاً.

وحينئذ أعطاه الوزير خمسة وعشرون ديناراً

لا غيرها .

ففكر الشاعر قليلاً ثم سأل باستغراب : لماذا كانت الجائزه السابقه مع عظمتها نقداً ، وهذه الجائزة مع خستها موكولة إلىٰ الانتظار القاتل .

فأخبره مساعدوا الوزير بأن ذلك الوزير السابق قد توفي وحل محله هذا الوزير البخيل الذي حصلوا منه علىٰ هذه الجائزة الوضيعة باعجوبة .

فسألهم الشاعر : ما اسم هذا الوزير ؟

قالوا : اسمه « حسن » .

قال الشاعر : يا للعجب ! هذا اسم الوزير السابق ايضاً .

أجل يا أخي ! لا تخدعك الاسماء والالقاب ، فهي عاجزة عن تمثيل شخصية الآخرين تمثيلاً حقيقياً . ولا تهتم بظواهر الأشياء عن بواطنها ، فلربما جلس العفريت المارد مكان سليمان (ع) .

❊ ❊ ❊

١١٤ـ«الوزير الظالم الماكر»: استسلم فرعون لأدلة موسىٰ (ع) ومعجزاته أكثر من مرة ولان قلبه القاسي لكلامه العذب. لكن وزيره المشؤوم « هامان » كان يثبط عزمه هذا ويقول له مثلاً :

هل ترغب في أن تعود بعد حكمك هذا كله عبداً لأراذل الناس ؟!

كان كلام هامان هذا كالحجارة التي ترتطم بزجاجة قلب فرعون وتحطمها فكلما كان موسىٰ (ع) يحقق تقدماً ما بعد جهد جهيد ، فقد كان هامان يجعله كالسراب في لحظة واحدة وكلمح البصر .

إذن يا أخي ! احذر ، فالروح بمثابة السلطان وهوىٰ النفس بمثابة الوزير . هذا الوزير مثل « هامان » يسعىٰ دائماً للعبث بوجدانك ليتغلب علىٰ عقلك . إذ لا يلبث المؤمن ان يقدم نصيحة ما ، حتىٰ يزيل هوىٰ النفس اثرها من حيث لا ندري .

الويل للسلطان الذي له وزير كهذا . وتأمل في وزير سليمان (ع) ، آصف بن برخيا ذلك العبد الصالح .

١١٥ ـ « سليمان (ع) وأسرار النباتات » :

بعدما فرغ سليمان (ع) من بناء المسجد الاقصىٰ بدأ يذهب إليه كل صباح طبقاً لمسؤوليته ، لم يكن هناك نوع من أنواع النباتات يراهُ سليمان في الطريق الا وبحث عن خواصه الطبيه . وهكذا كان سليمان (ع) يسأل عن اسم النبات (العشب) ونفعه وضرره بينما يجيبه النبات بكل وضوح .

بعد ذلك كان سليمان (ع) يلقي كل ما سمعه من النباتات علىٰ اطباء عصره وهم بدورهم يدونون كل تعليماته حتىٰ اصبحوا أقطاباً في فن الطب والطبابة .

أجل فقد بدأ تعليم العلوم من قبل الانبياء (ع) الذين يمثلون ينبوع العلوم البشرية . ولابدّ لكل مخترع ومكتشف من التشبث في أول الأمر برأس خيط ثم يواصل الطريق إلىٰ اكتشافه المنشود . انّ رأس الخيط ذلك الذي ظهر في عالم

الوجود كان عن طريق الوحي .

فالوحي الذي اوحي إلىٰ قابيل مثلاً كان علىٰ شكل الهام واشارة تعلم عن طريقه كيفية دفن الموتىٰ ، وقصته هي كالتالي :

عندما قتل قابيل ابن آدم (ع) اخاه هابيل ، تحير في كيفية اخفاء جثته إلىٰ ان رأىٰ غراباً يحفر الأرض بمنقاره ورجليه ثم وضع فيها غراباً ميتاً كان هناك ثم حثا عليه التراب حتىٰ غطاه . إذن فقد تعلم قابيل كيفية الدفن من الغراب .

أجل ، فقد كان سليمان (ع) يحصل علىٰ خواص الأعشاب والنباتات ويبحث كل يوم عن نباتٍ جديد ليطلع علىٰ أسراره ثم ينقله للناس .

فاعلم يا أخي ! بأنّ قلبك ـ أيضاً ـ كالأرض تنبت فيه أنواع النباتات . فاطلع علىٰ اسرارها عن طريق فكرك الخلاق .

* * *

١١٦ـ«جواب التقي للمنافق»:

بينما كان أحد العرفاء غارقاً في التأمل والتفكر بين أشجار الكروم. التفت إليه فضوليّ وقال: كفىٰ نوماً وغفلة أيها الرجل، انهض وتأمل هذه الأشجار وطراوتها امتثالاً لأمر الله تعالىٰ إذ يقول: «فانظر إلىٰ آثار رحمةِ الله كيف يُحي الأَرضَ بعد موتِها إنَّ ذلكَ لَمُحيي الموتىٰ وهو علىٰ كل شيءٍ قدير».

فقال له العارف: انّ آثار الله تعالىٰ انما تسكن القلب وليس ما يبدو من النباتات وطراوتها وجمالها الا انعكاساً للقلب. فلو كان قلب الانسان مظلماً لم ير من تلك الآثار أي دليل علىٰ الله تعالىٰ، ولو كان قلبه نيّراً لبدت تلك الأعشاب وجمال الطبيعة مرآة للألطاف الالهية الحاكية عن قدرته وحكمته تعالىٰ.

إذن فالقلب هو منبع الجمال، لكن الغالبية العظمىٰ من الناس انخدعوا بالظاهر وظلّوا سائرين في غَيِّهِمْ. فطوبىٰ لمن أمات البصر وأحيا البصيرة.

١١٧ـ« سليمان (ع) والنبات المدمر » :

بينما كان سليمان (ع) ذاهباً إلىٰ المسجد الاقصىٰ وقع نظره صدفة علىٰ نبات جديد قد نبت في احدىٰ زوايا المسجد ، فجذبه جماله وطراوته وما أن وصل إليه حتىٰ بادره النبات بالتحية ، ورد سليمان (ع) التحية ثم سأله عن اسمه . فقال النبات : اسمي « خرّوب » .

فسأله سليمان : ما هي خاصيتك ؟

قال النبات : الدمار والخراب حيثما نزلت .

فاستنتج سليمان (ع) من جوابه هذا بأن أجله قد دنا وانه سيغادر هذه الدار الفانية عما قريب ، ثم قال مع نفسه : لن يلحق أي اذىً بهذا المسجد ما دمت حياً .

نستلهم من هذه القصة النتيجة التالية وهي : ان المسجد الأقصىٰ هو قلبنا وانه سيبقىٰ معنا أبد الدهر . لكن عوامل شريرة كهوىٰ النفس ورفاق السوء ، قد تغلغلت جذورها إلىٰ أعماق هذا القلب لتضييق الخناق عليه وتدميره بالضبط مثل

نبات الخرّوب .

إذن فبمجرد احساسك بان كهذا يبغي التسلل إلىٰ قلبك ، لا تتوان ولو لحظة واحدة عن تحاشيه والانقطاع عنه .

فيا من يعبد هوىٰ النفس ، حذار فان الاغراقات هي الأعشاب التي تريد تقييد وتحطيم قلبك الصافي ، فقاومها بشتىٰ الوسائل بعيداً عن التكبر وتعلمّ درس التواضع من ابيك آدم (ع) الذي اقر بالذنب لتركه الأولىٰ وطلب العفو والمغفرة من الله تعالىٰ ، في حين ان ابليس اطال الحديث ناسباً ذنبه إلىٰ الله تعالىٰ مقراً بالجبر وقال: رب بما اغويتني ....

أجل ، تواضع لله تعالىٰ واطلب منه العون لمكافحة الاعشاب الضارّة ، ليبق قلبك مصاناً من رفاق السوء واسباب الدمار . وجَرّدهُم من كل حول وقوة بمقاومتك لهم ، والا فستتحطم حياتك .

* * *

١١٨ ـ « مـجنون ليـلىٰ راكب البعير » :

بـينما كـان مـجنون ليلىٰ راكباً نـاقته فـي أحـد الأيـام قـاصداً ديـار ليـلىٰ مخلفاً وليد الناقة في بيته ، كانت ناقته تـلك تـتجه إلىٰ وليدها ، وهكذا كانت تسير علىٰ خلاف مراده وتستغل لحظة غـفلته وتـفكيره فـي مـعشوقته لتـتجه إلىٰ الحـظيرة حـيث وليدها. فاستغرق الطريق الذي لا يتعدىٰ الثلاثة أيّام فـترة طويلة ، واخيراً خاطب ناقته قائلاً :

هوىٰ ناقتي خلفي وقدامي الهوىٰ   واني وايـــاها لمـــختلفان

أجل ، فالذي يتوجه إلىٰ الله تعالىٰ ولا يتخلىٰ عن ناقة البدن ، سيتأخر في الطـريق لا مـحالة ولا يـنال مـراده . لان الروح انما تتجه نحو العرش بينما يعشق البدن التراب .

إذن فعشق السلوك إلىٰ الله تعالىٰ لا يقل عن عشق ليلىٰ وليس بمقدور الكل خوضه . الرابطة الالهيّة انما تريد خلق مثل هذا العشق في مدرسة الاسلام الفـاضلة . ذلك العشـق الذي يعجز عنه الانس والجن.

١١٩ ـ « اللص والمتلبس باللباس الروحاني » :

أراد أحد المتظاهرين بالعلوم الدينية أن يعتم بعمامة كبيرة ويدخل مجلس المحلة ليبدو للآخرين من الفضلاء .

وهكذا وضع بعضاً من قطع القماش البالية والقطن المتهرىء داخل عمامته ثم غطاها بقطعة ناصعة البياض . ولم يكن الفجر قد انبثق بعد حتىٰ وضع عمامته علىٰ رأسه وخرج إلىٰ المجلس ، فاعترضه خلال مسيره قاطع طريق وأخذ عمامته وهرب .

فصاحَ المعمم : أيها اللص ، افتح العمامة اولاً وانظر ما بداخلها فلو رغبت فيها فهي حلال لك .

ففتح السارق العمامة وهو يركض فتساقطت منها عشرات القطع من الخرق العتيقة . فضرب بالعمامة علىٰ الأرض وقال : أيتها العمامة الحقيرة ، لقد اشغلتنا بخداعك هذا عن عملنا .

ثم التفت إلىٰ المعمم وقال له : ألا تخجل من هذه القطع

التي خذعتني بها .

فقال المعمم : أجل ، لقد عملت خدعة ، ويمكنك أخذ العبرة من هذه الحادثة .

١٢٠ ـ « البحث عن عيوب الغلام » :

عانىٰ أحد الغلمان من شظف العيش لكسله وخموله ، فكتب رسالة إلىٰ سيده متضمنة المدح والشكر بالاضافة إلىٰ شرح مختصر عن ضيقِ يده وطلب العون منه .

وقبل ارسال الرسالة ذهب إلىٰ طباخ سيده يشكوه قلة حصته وقال : هذه الحصة الوضيعة لا تليق بمنزلتي الرفيعة . السيد يهب وانت تمنع .

فقال الطباخ : هذا الأسلوب هو من باب المصلحة ، وليس بأمر السيد .

فغضب الغلام من هذا الوضع وكتب رسالة اُخرىٰ وهو في حالة غضبه وبعثها مع رسالته السابقة .

وَمضت مدة طويلة دون ردّ أي جواب ، حتىٰ اضطرب

الغلام ظناً منه بوجود يد تحولُ دون وصول رسالته إلىٰ سيده. فقال في نفسه: سأكتب رسالة أُخرىٰ وابعثها بيد رسول قوي أمين، ولم يخطر بباله لا من قريب ولا من بعيد بأنه هو السبب وراء عدم رد الجواب هذا. (فهو ولخموله لم يتابع مسألة الزراعة حتىٰ اصبح وعاؤه فارغاً من القمح).

وهكذا فقد نسب الذنب إلىٰ هذا وذاك. لكن الحقيقة هي ان الرسالة قد وصلت إلىٰ يد السيد واطلع عليها ففضل السكوت علىٰ الجواب.

إذن فالسبب في عدم الجواب يكمن في شخصيته لا في شخصيّة غيره كما كان فرعون ينسب الذنوب التي يرتكبها إلىٰ الآخرين.

فيا أخي المؤمن، نفسك الأمارة هي عدوّك فخذ بزمامها بنفسك ولا تتهم الآخرين لجموحها.

❊ ❊ ❊

١٢١ـ« دليل العشق والمحبة »: عاد أحد الأشخاص من سفره إلىٰ العراق بثياب رثـه ، فـزاره اصـدقاؤه وسألوه عن احواله وسفرته.

فقال لهـم : لقـد كـان سفراً ميموناً رغم شعوري بالوحدة والغربة . فقد اهدىٰ الي الخليفة ثوبين كاملين بلوازمهما .

فقال اصدقاؤه : وضعك المؤلم وثيابك البالية يكذبان ادعاءك هذا .

فأجابهم : لقد تبرعت بكل ذلك للفقراء والمحتاجين وطلبت منهم الدعاء لي بطول العمر .

الأصدقاء : حسناً ، هذا فيما يتعلق بظاهرك ، لكن ما بالك مغتمّاً قلقاً هكذا ؟ ما سبب شحوب لون وجهك هذا ؟ حيث لا شيء يدل علىٰ شوقك وبهجتك .

أجـل ، فأهـل الصـدق والصـفاء بـعيدون عـن اللـف والدوران والكلام الجزاف ، لان نفوسهم انما تفيض بالعشق والاخلاص المعبّريْنِ عن الصدق والشكر والثناء . انهم ليسوا

من الذين يتكلمون عن الفضائل في حين تفوح منهم رائـحة الرذائل .

١٢٢ ـ « استشارة العاقل » : ذهب شـــخص إلىٰ رجل عـاقل يسـتشيره فـي أمر ما .

فـــقال له العـــاقل :

استشر غيري ، فأنا عدوك .

قال ذلك الشخص : اعلم انك عدو لي منذ زمن طويل . لكنك عاقل وواقعي وقد صانك عقلك النيّر عن الوقوع في التهلكة والانحراف .

انّ العقل كالقطة الذكية التي لا تسمح للفأرة أن تفلت بسلامة من بين مخالبها . بل انّ عقل المؤمن كالأسد الضاري يفتك بأعدائه كما يفتك الأسد بفريسته .

* * *

١٢٣ ـ «القائد الشاب، لماذا؟»: جمع النبي (ص) ذات مرة عدداً من المسلمين وجعل منهم سريّةً للانقضاض في ظلمة الليل علىٰ احدىٰ مجاميع العدو التي كانت تقع في اطراف مكة والمدينة، والقضاء عليها. وعين شاباً من قبيلة هذيل اميراً علىٰ رأس تلك السرية.

فاعترض احدهم عند النبي (ص) لكون هذا الشاب الصغير أميراً عليهم وقال انه سوف لن يطيع أوامره.

فقال له النبي (ص): لا تنخدع بظواهر الأمور. ومن أكبر سناً من ابليس؟ ومع ذلك فقد بقي نسياً منسياً، وذلك لخلوه من العقل. عندما نقول بضرورة تفويض الأمور إلىٰ أكبرنا سناً. انما نعني بذلك الاكبر سناً من ناحية العقل لا العمر.

إذن يا أخي عليك ببواطن الأمور، لتكون الأكبر سناً عقلاً وديناً ولتمثل العقل الكلّي في حقيقة الأمر.

١٢٤ ـ « الأسماك الثلاثة : العاقلة والنصف عاقلة والحمقاء » :

اعلم عزيزي القارىء ان الانسان انما يكون من الناحية الفكرية والروحية على ثلاثة أقسام :

١ ـ العاقل الكامل .

٢ ـ النصف عاقل .

٣ ـ الأحمق الذي لا عقل له .

فالعاقل هو الذي يبحث عن طريق النجاة وسيسلكها بقدم راسخة .

ونصف العاقل هو الذي يتيه في الفلاة المترامية الاطراف ، لكنه يسعى شيئاً فشئياً لاستشارة عاقل يأخذ بيده إلى ساحل النجاة .

أما الأحمق الذي لا عقل له ، فهو الذي يسقط في حوض الغفلة والنسيان ويغوص في القيل والقال ويعتبر السعي وراء الناصح عاراً وذلة ليسقط بالنتيجة في الهاوية .

والآن اليك قصة الاسماك الثلاثة بعد هذه المقدمه اعلاه :

كانت هناك ثلاثة اسماك عاقلة ونصف عاقلة وحمقاء ،

تعيش في بركة قرب البحر . وذات مرة رمىٰ الصيادون شباكهم في البركة لاصطياد تلك الاسماك .

فقالت السمكة العاقلة : يجب الخلاص من قبضة العدو وسلوك طريق النجاة مهما كان الثمن ، إذ لا وقت للمشاورة في مثل هذه الظروف .

وهكذا تركت البركة وأخذت تبحث عن السبيل المؤدية إلىٰ البحر حتىٰ عثرت عليه فسلكته حتىٰ دخلته في خاتمة المطاف بعد مشقّةٍ وخطورة فائقتين.

أما السمكة النصف عاقلة فقد وجدت خطر الصيد يحدق بها من كل حدب وصوب لترددها وعدم ثقتها بنفسها. فقالت : ياليتني ذهبت مع السمكة العاقلة ولم أنفصل عنها ، لكن ما جدوىٰ الحسرة والندامة والحالة هذه ؟! الأفضل البحث عن مخرج . وهكذا تظاهرت بالموت وطافت فوق الماء ليأخذها كالقشة هنا وهناك .

« أجل ، هذا هو الموت قبل الموت الحقيقي الذي أمر به النبي (ص) حيث قال : موتوا قبل أن تموتوا » .

وهكذا حزن الصيادون لموتها حسب الظاهر ، في حين انها نجت في خاتمة المطاف .

أما السمكة الثالثة الحمقاء التي لم تعرف للنصيحة والاستشارة معناً ، فقد اضطربت كالأفعىٰ الملسوعة لعلها تعثر علىٰ مخرج . لكنها وقعت في قبضة الصياد واوصلتها حماقتها إلىٰ فقدان حياتها ، وبينما كانت تتقلب فوق السنة النار المحرقة قالت مع نفسها : ألم ينذرك نذير الخطر والموت ؟! ثم أردفت قائلة : لو نجوت هذه المرة ، فساصغي للمنذرين بكل تأكيد . كما انها نذرت نذراً علىٰ نفسها لو انها نجت من الموت .

فخاطبها العقل قائلاً : لن تفي بعهد أبداً ما دمت حمقاء ، إذ الوفاء من شيمة العقل ، وحيث لا عقل لديك ، فالجشع والغفلة سيحبسانك في تلك البركة الضيقة ، عند ذلك تظنين انّ الحياة تكمن في تلك البركة فقط وَلا وجود للبحر أبداً . ولهذا السبب ستسلكين طريق السقوط والفشل ثانية ، حتىٰ لو نجوت هذه المرة علىٰ سبيل المثال . لأنك سوف تنسين تجربتك المرة هذه مع ان « من جرب المجرّب حلّتْ به الندامة » .

* * *

١٢٥ ـ « الطريق المضاد » :

كما تعلم فان هناك آداباً للوضوء وانّ لكل عضو من أعضاء البدن دعاءاً خاصاً به يستحب قراءته حالَ غسلهِ . فمثلاً عند الاستنشاق نقول : « الهي لا تحرمني من رائحة الجنة » ، وبعد الانتهاء من الوضوء نقول : « الهي ، لقد طهرت بدني من النجاسات ، فامنحني حياة طيبة سالمة » .

وكان هناك شخص يقرأ دعاء الاستنجاء عند الاستنشاق وبالعكس . فسمعه شخص آخر وقال له : هذا الدعاء مخصوص بالاستنشاق لا الخلاء !! إذ ان الانسان الحقيقي انما يشم رائحة الجنة من الأنف لا غير » .

أجل يا أخي ! لا تسلك الطريق المعاكس ، لماذا تتواضع لأهل السوء والحمقىٰ مع ان التكبر عليهم فضيلة ، وتتكبر علىٰ أهل الإباء والفضيلة . لماذا تعاند الواقع ثم تتوسل بالدعاء ؟!

القول بأن حب الوطن من الايمان ، لا يعني الوطن في

هذه الدنيا الفانية ، بل ذلك الوطن الحقيقي الذي هو ذلك العالم الأبدي الذي يجب ألّا تغفل عنه لئلا تعاكس التيار فتهلك .

١٢٦ ـ « نصح الجاهل الكسول » : سقط طائر صغير في مصيدة أحد الصيادين فوضعه في القفص . وبعد عدة أيام قال الطائر للصياد : يا سيدي العاقل ، لقد أكلت طول عمرك المزيد من لحوم الأبقار والأغنام وقدمت المزيد من الابل كقرابين ولم تشبع مع ذلك كله . فهل ستشبع بلحمي القليل هذا لو أكلته على سبيل المثال يا ترىٰ ؟! أيها الكريم ، اطلق سراحي لاعلمك نصائح ثلاثة تنفعك وتكشف لك ذكائي أو غبائي . أما النصيحة الاولىٰ فسأخبرك بها وانا في قبضة يدك ، والثانيه فوق السياج ، والثالثه علىٰ الشجرة . وكن واثقاً ان العمل بهذه النصائح الثلاثة يضمن لك مستقبلاً زاهراً .

وافق الصياد علىٰ اقتراح الطائر هذا . فذكر الطائر

نصيحته الاولىٰ وقال : لا تصدق المحال أبداً .

عندها أطلق الصياد سراح الطائر فحلّق فوق السياج وقال : نصيحتي الثانية هي ألّا تندم علىٰ ما فات أبداً .

وحينما حطَّ علىٰ غصن الشجرة (أراد أن يختبر الصياد في مدىٰ التزامه بنصيحتيه السابقتين) فقال : يوجد في بطني درّة ثمينة تزن عشرة مثاقيل لا نظير لها في العالم .

قسماً بحياتك لو انك حصلت عليها لسعد حظك وحظ أولادك ، ولكن ما الفائدة حينما تكون سيء الحظ .

وعندما سمع الصياد هذا الكلام أكلته الحسرة (ناسياً الموعظتين السابقتين) ثم قال للطائر : إذن هات الموعظة الثالثة .

فقال الطائر : ألم أقل لك لا تصدق المحال أبداً . لكنك صدقته ، لأني كنت في يدك ولم يتجاوز وزني كله الثلاثة مثاقيل ، فكيف يعقل وجود درة تزن عشرة مثاقيل في جوفي ؟! كما انني قلت لك لا تأس علىٰ ما فات ، ومع ذلك عضضت أناملك لشدة حسرتك .

فأنت الذي لم تعمل بالنصيحتين السابقتين ، ما جدوىٰ النصيحة الثالثة لأخبرك بها فانت لست أهلاً للنصح

والمـوعظة والجاهل انّما يكون جاهلاً لعدم اكتراثه بالنصيحة.

١٢٧ ـ « حوار فرعون مع موسىٰ (ع) » :

بعد تصدي موسىٰ (ع) لفرعون أوعزَ إلىٰ جنودِهِ لاستقدام موسىٰ حتى يحاكمهُ بنفسهِ وهو لم يعرفه جيداً. فقال فرعون :

من أنت ؟

موسىٰ : اني رسول الله المنقذ من الضلال وحجّته.

فرعون : صه، اخبرني باسمك الحقيقي.

موسىٰ : نسبي يرجع إلىٰ التراب واسمي الحقيقي هو « أقل عباد الله » ابن أحد عبيده ومن صُلب عبيده ومن رحم جواريه جئت إلىٰ هذه الدنيا. إذن فنسبي الاصلي يرجع إلىٰ التراب والماء والطين الذي وهبه الله روحاً وفؤاداً. فمرجعنا كلنا أنا وأنت إلىٰ نفس هذا التراب في خاتمة المطاف.

أصلنا وأصل كل طغاة التأريخ يرجع إلىٰ التراب وهناك المئات من الشواهد التي تشير إلىٰ ذلك في وجود

الانسان .

فرعون : هناك اسم اخر يـليق بك اكـثر مـن كـل هـذه الأسماء التي ذكرتها ، ألا وهو انك عبد لفرعون بـل لعـبيد فرعون الذي يعود فضلُ تربيتك وصنعُ بدنك إليه . إذن فأنت طاغٍ عاصٍ هربت من وطنك الأصلي ومربيك .

موسىٰ : لم يختر الله تعالىٰ لنـفسِهِ شـريكاً أبـداً . انـه المالك المطلق للكون بما فيه . وكل من يدعي انه شريك لله فهو ظالم قد أوقع نفسه بنفسه في التهلكة . أنا لست طاغياً متمرداً ، بـل أنت المـتمرد الذي يـدعي الربـوبية أمـام الله تعالىٰ . قتلي لأحد جنودك خطأً وسهواً يعني قبض روحـه الحيوانية إذ لا روح انسانية فيه . ولو اني قتلته من غير عمد ، فقد قتلت انت مئات الآلاف من ذرية يعقوب (ع) . لقد أردت القضاء علىٰ ذريته (ع) لتبلغ مرامك . فانتظر العذاب الالهي ، وفقد اختارني الله تعالىٰ رغم أنفك .

فرعون : دع عنك هذا الكلام . هل هذا هو اعترافك بكل ذلك الجـميل الذي صـنعته بـحقك ؟ هـل شكـرك لي هـو توبيخك لي أمام الآخرين ؟

موسىٰ : التوبيخ في هذه الدنيا ليس بشيء ، من الأجدر

بك التفكير في توبيخ الآخرة الذي يكون أشد وأعظم . ولو كنت أنا مخرباً علىٰ حد زعمك فلا تنسَ ان الاعمار انما يكون بعد الخراب . ذلك الماء والملح الذي تعيرني به وتدعوني للاعتراف بجميل صنعك لي لا يعني سوىٰ توسلك بي لأخلي سبيلك بالضبط مثل السمكة التي تتوسل بالصياد ليطلق سراحها بعد ان وقعت في شبكته .

فرعون : انك ساحر تبغي غش الناس وخديعتهم !

موسىٰ : كيف يعقل أن أكون ساحراً وأنا أتحدث دائماً عن الله تعالىٰ ؟ أين وجه الشبه بيني وبين الساحر وأنا هذا المشعل المنير للدين ؟

والآن اصغ اليّ لأخبرك بسبب ركوبك الظلال : يا فرعون لأنك تحلق بأجنحة هوىٰ النفس الذي يقودك حيث يشاء فانك تسيء الظن بي ، وهذا التصرف من خواص الجهال وأنت بطبعك الشنيع هذا الذي تحمله في كيانك ستبقىٰ كذلك أينما تحطُّ رحالك . انك متعلق بنفسك وميولك الشريرة ولن تتغير أبداً حتىٰ لو ذهبت إلىٰ الفردوس الاعلىٰ . وبناءً علىٰ هذا ، فمخاصمتك ناشئة من بناء وجودك هذا ، ولا أمل في هدايتك ما دام هذا الكيان لم يتحطم بعد .

١٢٨ ـ « البناء بعد الدمار » :

بـينما كـان شـخص
يـحرث الأرض ، إذ صـرخ
في وجهه أبله قائلاً : لماذا
تخرب الأرض ؟ فأجابه : لا
تعترض علي أيـها الأبـله !

فالخراب هو منشأ كل الكمالات ، ولا تـصبح هـذه الأرض حديقة مزهرة وحقلاً عامراً الّا بعد خرابها وحرثها . فإنْ لم تفتح الجرح فلن يشفىٰ أبداً .

وهذا الكلام يمكن تطبيقه علىٰ الأمور المعنوية أيضاً . إذ يجب التخريب اولاً ثم الشروع بالبناء الصحيح من جديد . يجب تطهير القلب اولاً من الذنوب ، لتأتي بعد ذلك مرحلة الرقي والكمال .

وعلىٰ هذا الأساس نجد انّ مـوسىٰ (ع) قـال لفـرعون حين اتهمه بالتخريب بان : التخريب يجعل من الشوك ورداً .

* * *

١٢٩ ـ « موعظة واحدة واربع فضائل لموسىٰ (ع) » :

بعد حوار طويل لموسىٰ (ع) مع فرعون وقوله له بأن رحمة الله قد وسعت كل شيء لتشمل عباده التائبين ، اقترح علىٰ فرعون قائلاً :

يا فرعون ! اقبل مني موعظة واحدة ، لا منحك اربع خلع عظيمة .

فرعون : ما تلك الموعظة ؟ بينها لي !

موسىٰ : أن تشهد بوحدانيّة الله تعالىٰ وانّه ليس كمثله شيء .

فرعون : ما تلك الخلع التي ربما تصدنا عن الكفر والضلال .

موسىٰ : تلك عبارة عن:

١ ـ صحة بدنك وسلامته .

٢ ـ العمر الطويل والمبارك .

٣ ـ الملك والفلاح في الدارين.

٤ ـ الشباب ونشاطه .

أجل ! يجب مخاطبة الناس علىٰ قدر عقولهم . فعندما نريد ارسال طفل إلىٰ المدرسة مثلاً ، فلا بد من ذكر ما يفرح به كأنواع المأكولات مثل الدجاج والكباب والكمثرىٰ والزبيب والجوز و ...

يا فرعون ! لو آمنت بالله وخطوت في هذا الطريق ، فسيمنحك الله تعالىٰ تلك القوة والشباب اللتين تساعدانك علىٰ الفوز في الدنيا والآخرة . وينقل لنا التاريخ عن (عكاشة) وهو أحد أصحاب نبي الاسلام (ص) إذ استحق ببشراه تلك مثل هذه الخلعة العظيمة .

١٣٠ ـ « شوق النبي (ص) للقاء الله تعالىٰ » :

قال رسول الله (ص) لأصحابه في أحد الأيّام وَكان ينتظر ـ بشوقٍ ـ لقاء الله تعالىٰ : من يبشرني منكم بانقضاء شهر صفر فسأبشره بالجنة (علماً ان وفاته (ص) كانت في نهاية صفر أو الثاني من ربيع الأول . وكان (ص) يترقب ذلك اليوم بكل لهفة وشوق) .

وعند حلول شهر صفر فرح النبي (ص) وقال : سأتوجه إليه تعالىٰ بعد هذا الشهر .

وبانقضائه جاء أحد أصحابه (ص) واسمه عكاشه وبشره بذلك . كما بشره بذلك صحابي آخر بعد عكاشه . فقال له (ص) : عكاشه هو الفائز .

وهكذا كان النبي (ص) متعلقاً بدار الخلد ولقائه تعالىٰ تاركاً الدنيا لحالها معتبراً اياها مجرد جسر يربط الانسان بآخرته . كما علّم اصحابه ان الهدف من الحياة يجب أن يكون لقاء الله تعالىٰ لا الدنيا التي لا يقر لها قرار .

١٣١ ـ « مشاورة فرعون لزوجته آسيا » :

قال فرعون لموسىٰ (ع) بعد تأثره بكلامه : أحسنت وأجدت ، لكن أمهلني برهة لأستشير أخلص محب وصديق لي .

فذهب فرعون إلىٰ زوجته آسيا ، تلك المرأة الصالحة واطلعها علىٰ الامر فشجعته كثيراً علىٰ تلبية دعوة موسىٰ (ع) وقالت له : اذهب إلىٰ موسىٰ ولا تتوان وتضيع

الفرصة في اغتنام الألطاف الالهية فَتبقىٰ حيراناً ما دامت تجذبك نحوها . فالوقت وقت الحرث والزراعة .

لكن فرعون قال لها بالرغم من كل تشجيعها هذا : دعيني استشر وزيري هامان ايضاً .

فقالت له آسيا : لا تطلع هامان علىٰ سرك هذا ، فهو كالمرأة العجوز التي تجهل ان السرّ وراء قدرة الصقر في الانتقاص علىٰ فريسته انما يكمن في مخالبه ، فلو انك أعطيتها صقراً فانّها ستقوم بتقليم مخالبه وتقول له : أيها الصقر ألم تكن لك أم تقص أظافرك لتطول هكذا .

لكن فرعون وبسبب تكبّره وطغيانه لم يتقبل هذه النصائح النابعة من القلب ، ومالَ نحو هامان الذي هو من سنخه فكراً وعقيدة وقال : لابد من مشاورة هامان .

* * *

١٣٢ ـ « طفل فوق السطح » : جـــاءت امــرأة إلىٰ الامام علي (ع) وقـالت له : النجدة ، لقد صـعد طـفلي إلىٰ السطح خلف المـيزاب ويدي لا تصل إليه ، و كلما ناديته لم يلتفت الي بل انه لم يبال بثديي حينما أريته صدري ليتذكر الحليب . أخشىٰ أن يسقط ويموت لصغره .

فيا مولاي ! أنت الذي بيدك مفاتيح الدارين ، أرجوك أن تنقذه ، فأنا لا أطيق أن أفقد فلذة كبدي .

فقال لها الامام علي (ع) : اذهـبي بـطفل آخـر خـلف السطح ، فان الطفل حينما يرىٰ طفلاً مثله يستأنس به ويتجه إليه ، لأن كل جنس يعشق أفراد جنسه .

فقامت المرأة بذلك ونجا الطفل . حيث نزل من فـوق السطح قاصداً ذلك الطفل بكل فرح .

أجل ! لهذا السبب ايضاً خلق الله تعالىٰ الانبياء (ع) من جنس البشر فقالوا للناس : انما نـحن بشـر مـثلكم . وبـبيان وحدة الجنس هذه كانوا يرومون هداية البشريّة من الضّلال .

وبما ان فرعون كان من جنس هامان ، فقد صمم أن يستشيره حتىٰ جرَّتهُ استشارته هامان إلىٰ النار .

لم تؤثر نصائح موسىٰ (ع) علىٰ فرعون مثقال ذرّة . لأنّه تخلّىٰ عن ربّه الحقيقي وسعىٰ وراء الرب الأجوف وهو وزيره هامان .

١٣٣ ـ « مشاهدة فرعون لوزيره هامان » :

واخيراً اطلع فرعون وزيره هامان علىٰ وعود موسىٰ (ع) ، واستشاره في ذلك .

فما ان سمع هامان كلام فرعون هذا ، حتىٰ أخذ يضربُ وجهه ورأسه وهو يبكي ويصيح : أيها السلطان العظيم ، ما هذا الذي راود فكرك ، والشؤم الذي يريد أن يجرك إلىٰ الضياع ؟!

العالم كله في قبضة يدك ، اُمراء المشرق والمغرب يدفعون ضرائب كبيرة لك .

سلاطين العالم يقبلون تراب قدميك . الكل يعبدك باعتبارك معبودهم وغايتهم .

بل ، الكل خاشعٌ لِعظمتك . لإحتراقٌ بـالنار ألف مـرة أفضل من تركك لربوبيتك وأنت بهذه العظمة . لو فعلت هذا ، لغدىٰ عبيدك أسيادك ، ولوقف العدو في وجهك .

هذه الواقعة تعلمنا ضرورة تحاشي استشارة الأشـرار والابتعاد عن رفاق السوء .

وحينما وقف موسىٰ (ع) علىٰ حماقة فرعون هذه بعد اتمام الحجة عليه قام بانذاره بشدة وقال :

لقد جئت بعصا تنقلب إلىٰ ثعبان يأكل ثعابينك تأديباً لك . انّ هذه العصا نار مـحرقة بـالنسبة لك ومشـعل وضـاء للمؤمنين .

١٣٤ ـ « الغصن الذي أوقـف السّيل العظيم » :

جاء أشـراف العـرب ذات مـرة إلىٰ النـبي (ص) وقالوا له كل منا نحنُ وأنت سيد قومه وقـبيلته . فـقسم هذه الرئـاسة التـي تـدعيها بين الجميع ليأخذ كل حصته ويحل الأمن والأمان .

فقال لهم النبي (ص) : رئاستي من قبل الله تعالىٰ . ذلك

الرب المطلق هو الذي منحني هذه الرئاسة . ولهذا يجب عليكم الانضمام تحت لوائي واطاعتي . رئاستي دائمة إلىٰ يوم القيامة ، ورئاستكم مجردة مؤقتة .

فقال الأشراف : انك تفضل نفسك علينا ، ما الدليل علىٰ رئاستك للجميع ؟!

وبينما هم يخوضون جدال حاد ، إذا بسحابة قائمة تظهر في الأفق ليهطل منها مطر غزير ، وما هي إلا لحظات حتىٰ تكوّن سيل عظيم :

فقال النبي (ص) : الوقت وقت الاختبار . « لقد طلبتم مني دليلاً علىٰ أفضليتي ، وهذا أفضل دليل للاتيان بالدليل » . تعالوا لنُرغِمَ السيل علىٰ الاتجاه إلىٰ الصحراء لا البيوت والحقول لئلا يدمرها .

فوقفوا جميعاً أمام السيل . واطلقوا سهامهم نحوه ليمنعوه من التقدم ، لكن هيجانه وسرعته أخذتا نبالهم جميعاً .

أما النبي (ص) فقد رمىٰ بغصن طيع بمثابة معجزة نحو السيل . فشاهد الجميع كيف ان ذلك الغصن الطري قد وقف كالسد الحديدي أمام السيل حتىٰ قاده باتجاه الصحراء .

وحينما وقف الأشراف على هذا الحادث الغريب ، اندهشوا لعظمة النبي (ص) واقروا بلياقتهِ للقيادة والرئاسة ، باستثناء ثلاثة أشخاص حاقدين قد أعمى الله تعالى بصيرتهم ، وهم : أبو جهل ، أبو لهب ، أبو سفيان . حيث قالوا : ما هذا الّا ساحر قد سحر أبصارنا .

أجل ، كان ذلك الغصن دليلاً على عظمة القيادة الالهية ، وتلك السهام دليلاً على ضعف الرئاسة الجوفاء وفنائها .

والآن ، حيث انك تعيش في هذا العصر ولم تشاهد لا الغصن ولا الحراب ، فانظر إلى ما حل بأسماء أصحابهما : لقد حل الموت الأحمر بأصحاب النبال . في حين ان اسم صاحب الغصن أي النبي الاكرم (ص) ودينه باقيان إلى يوم القيامة . إذ ان اسمه يتردد على الألسن إلى الأبد خمس مرّات في كلّ يوم .

* * *

٣٥ ـ « حوار المؤمن والكافر »:

المـــــومن: العـــــالم حـــادث مسـبوق بـالعدم ، وكل شيء هالك الا وجـهه تعالىٰ .

المنكر: كيف توصلت إلىٰ حدوث العالم ؟ وانت كالقطرة من المطر بـالنسبة لهـذا الكون .

وانىٰ اللقطرة ان تعلم بتأريخ السـحاب . كـيف يـمكن لحشرة صغيرة ان تتوصل إلىٰ معرفة بداية الكون ونهايته ؟ انك تردد قول ابائك تقليداً لهـم بلا دليل .

المؤمن: قولك باني كالقطرة من المطر وانه لا اطلاع لي ببداية العالم ونهايته ، مجرد مغالطة ليس الّا . فالنسر قد يعمر ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، في حين لا تعيش الحمامة الّا بضع سنين . فهل عدم وقوف الحـمامة عـلىٰ بـدايـة النسـر ونهايته لمجرّد التفاوت في عمريهما ؟!

لا معنىٰ للاقتناع بالظاهر ابتداءاً . فظواهر الاشياء فـي الكون دليل علىٰ بواطنها وبان هناك واقعاً ورائها . فالظاهر بلا

باطن عبث ، كالأدوية المرّة التي تكمن فائدتها في باطنها . لقد أوجد الله تعالىٰ هذا التفاوت بين الظاهر والباطن ليقف علىٰ حقيقته أهل النظر والمعرفة .

فخلاصة القول هي ان الظواهر بانواعها والوانها دليل علىٰ حكمة الباطن التي نتأملها بالبصر والبصيرة . فعدم وقوفنا عليها بحواسنا الظاهريّة لا يدل علىٰ عدمها .

١٣٦ ـ « السرّ وراء محبة الله تعالىٰ الخاصة لموسىٰ (ع) » :

أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ (ع) : اني أحبك يا من قد انتخبته لنفسي .

قال موسىٰ (ع) : ما هي تلك الخصلة التي جعلتك تحبني حباً خاصاً ؟ أخبرني بها لأسعىٰ إلىٰ تطويرها وزيادتها .

قال الله تعالىٰ : أنت مثل ذلك الطفل الذي يلجأ إلىٰ حضن أمه حتىٰ في حالة غضبه ، ولا يخطر بباله أبداً وجود ملجأ ومدافعٍ عنه غيرها . أنت كذلك بالنسبة لي ، وتلجأ إليّ في كل الظروف والأحوال . عندما تقول : « اياك نعبد واياك

نستعين » تتلفظها بكل صدق ، وتعبدني وحدي وتطلب العون مني فقط . هذا هو السرّ وراء محبتي الخاصة لك .

١٣٧ ـ « مقام الرضا والتسليم » : غضب أحد الأشخاص علىٰ مستشاره الخاص وصمم علىٰ اعدامه بسبب خطأ فادح كان قد ارتكبه . فشهر سيفه من غمده ليضرب عنقه .

وفي هذه الأثناء قام « عماد الملك » الصديق الحميم لذلك الشخص ، بالشفاعة للمستشار حتىٰ صرفه عن قتله .

فاعترض المستشار (المحكوم عليه بالاعدام) علىٰ شفاعة عماد الملك وغضب منه حتىٰ انه كان يدير وجهه عنه كلما لقيه .

فتعجب الناس من تصرف المستشار هذا ، وقالوا له : هل جننت ؟ أتغضب علىٰ عماد الملك الذي أنقذ حياتك ، وتدير عنهُ وجهك بدلاً من أن تجعل من نفسك تراباً يدُوسهُ بقدمه لعظيم فضله عليك . فَهل هذا من الانصاف يا ترىٰ ؟!

قال المستشار : روحي فداء سيدي ، حياتي رهن يده . لماذا شفع لي عماد الملك .

أنا لا أريد محبة وملجأً سوىٰ محبة سيدي ومولاي . لو ضرب مولاي عنقي ، لمنحني أكثر من روح . الفخر كل الفخر لذلك الرأس الذي يقطع بيده والعار كل العار لهذا الرأس لو قطع بغير يده .

أنا بالنسبة لمولاي ، كابراهيم الخليل (ع) بالنسبة لله تعالىٰ : حينما أرادوا القاء ابراهيم (ع) في النار تنفيذاً لأمر نمرود . جاء إليه جبرائيل وقال له : قل ما حاجتك .

فقال له ابراهيم : (ع) : لا حاجة بي اليك .

فأنا كذلك لا حاجة لي بعماد الملك ، اني افنىٰ بأمر سيدي . صحيح انّ التوسط والشفاعة من شأنه . لكن نظراً لتسليمي المحض له ، فلا معنىٰ للوساطة بنظري ، فان حسنات الأشرار سيئات الأخيار . (القصه أعلاه تجسد علاقة العاشق بمعشوقه وحقيقة العبودية) .

* * *

١٣٨ ـ «كشف الكنوز»: قال موسىٰ (ع) لله تعالىٰ: ما العلة في خلقك الخلائق ثم افنائهم.

قال الله تعالىٰ: يا موسىٰ! نظراً لعلمي بأن سؤالك هذا ليس نابعاً من الغفلة والانكار، بل للتعرف علىٰ سر حكمتي وهداية بسطاء الناس، فَسَأأْمُرُكَ بشيء ينكشف لك خلاله سر الخلقة. يا موسىٰ! اذهب وازرع قمحاً.

فذهب موسىٰ (ع) وحرث الأرض ثم بذرها وسقاها. وعند حلول موسم الحصاد، اخذ منجله وحصد القمح وجمعه في مكان معين.

فناداه الله تعالىٰ: يا موسىٰ! لماذا تبذر ثم تحصد ؟!

قال موسىٰ: لأفصل الحنطة عن التبن واصنع كلاً في محله الخاص به.

قال الله تعالىٰ: من أين لك هذه الحكمة ؟

قال موسىٰ: منك يا الهي.

قال الله تعالىٰ: كيف يمكن أن أعلمك هذا التمييز

والتمحيص ولا أطبقه أنا بنفسي !

يا موسىٰ ! توجد داخل نفوس الخلائق ارواح طاهرة وأُخرىٰ خبيثة ، بعضها ثمين وبعضها لا يعتد به لتفاهته .

١٣٩ ـ « الدنيا العجوز والآخرة العروس » :

كـان للسـلطان ولدٌ جميلٌ خلوقٌ وكـان يـحبه كثيراً . وفي احدىٰ الليالي رآىٰ في المنام انّ ابـنه قـد مـات . فـحزن لذلك كـثيراً حتىٰ كادَ الحزن أن يقتله . لكنه حينما استيقظ وعلم بـحياة ولده غمرته الفرحة بشكل لم يسبق له مثيل . فقال مع نفسه : يحتمل ان يكون ذلك الحزن العميق هو السـبب وراء هـذه الفرحة الغامرة .

لكن هذه الحادثة جعلتهُ متشائماً بعض الشيء فقال مع نفسه : لو حدث ان مات ولدي ، فسيحرق سهم الحزن والغم قـلبي . فـمن الأفـضل أن أحـتفظ له بـخاطرة تـذكرني بـه . فالانسان كالشمعة الضعيفة التي يحتمل انطفاؤها كلّما هبت الريح .

فصمم علىٰ البحث عن فتاة لولده من عائلة صالحة زاهدة ، وفعلاً نجح في ذلك فغضبت زوجته لاختياره هذا معترضة علىٰ مقامه الرفيع لا يتناسب وعائلة فقيرة كهذه ، وأنّ جَعْلَ مثل هذه الرابطة ، بين هاتين العائلتين بعيد كل البعد عن الصواب .

فقال لها السلطان : نعت المرء الصالح بالمتسول ليس بصحيح . فقد بلغ ذلك الرجل منزلة الرضىٰ والقناعة بالرياضة النفسية والارتباط بالله تعالىٰ ، ولا ينبغي قياس مثل هذا المقام بالفقر المادي .

واخيراً أقنع السلطان زوجته واختار الفتاة التي كان يبحث عنها لولده . لكن بعد أن تم زواج الأمير والشابة اللذين يتمتعان بجمال وكمال منقطعي النظير ، عشقته عجوز ساحرة وسرقت منه لبه بسحرها حتىٰ هام في حبّها وتزوجها في خاتمة المطاف ، بعد أن أفرغت قلبه بالكامل من حب زوجته الشابة .

فحزن السلطان كثيراً لهذا الشيء ولازمه حزنه هذا ، وبعد تفكير عميق وعقيم ، تضرَّع بالصلاة والدعاء إلىٰ الله تعالىٰ لحل معضلته هذه .

وأخيراً علم ساحر ماهر بمشكلة السلطان فمثل بين يديه لحلها. وبعد أن اطّلع علىٰ تدبير تلك الساحرة العجوز، انكب علىٰ ابطال سحرها.

فقال للسلطان: سأبطلُ سحر تلك العجوز باذنه تعالىٰ. اذهب أنت عند وقت السحر إلىٰ المقبرة حيث يوجد هناك قبر قرب الجدار، إنبشْهُ واخرج منه الطلسم المدفون فيه!

فذهب السلطان كما أمره عند السحر إلىٰ المقبرة وفتح ذلك القبر فوجد الطلسم المخفي وكان عبارة عن مائة عقدة في خيط من الشعر، فحلها الواحدة تلو الأُخرىٰ، وبهذا بطل مفعول ذلك الطلسم وتحرر الأمير الشاب من قيود السحر تلك.

وبعد مضي سنة علىٰ هذه الحادثة. وفي أحد الأيام قال السلطان لولده الأمير مازحاً معه: هل تتذكر خاطرة لك مع تلك العجوز الساحرة، حبيبتك القديمة. تذكر ذلك الشؤم وكن وفياً لعروسك الشابة هذه.

فقال الأمير الشاب: أجل، لقد كنت في غاية الخطأ. والآن نجوت من الضلال ووصلت ساحل الأمان ببركة هذه العروس الشابة وأنا مسرور جداً لذلك.

إذن لا تغفل ، فالمؤمن لا يـعشق الدنـيا العـجوز ، بـل يمزق هذه الحبال ويتجه نحو المعشوق الحقيقي اعني الله تعالىٰ لينال دار السرور .

أخي العزيز : انّ ذلك الأمير الشـاب المسـحور الذي يقدر علىٰ سلوك الصراط السوي هو وجودك .

وتلك العجوز السـاحرة هي الدنيا التي تـخدعُ النـاس بزخرفها .

وتلك العروس الشابة هي رحمة الله تعالىٰ الواسعة .

وَذلك السـاحر الماهر ، هو الدليل الذي يأخـذ بـيدك ليخلصك من قيود الدنيا الفانية .

انّ سحر الدنيا يشغل العقل في داخل الانسان ويـضع أمامهُ المئات من المعضلات . ولغرض الفوز يجب حل هذه العقد تحت اشراف المرشدين الحقيقيين .

لو كان ذلك الأمير أسـيراً لقـيود تـلك السـاحرة سـنة بأكملها . فانت اسير قيود الدنيا عمرك باكمله . فاتبع الرسل الذين جاؤوا لانقاذك لتفلت من أسر الدنيا وقيودها .

* * *

١٤٠ ـ «لقاء عزير (ع) لولده»:

بينما كان النبي عزير يسير ممتطياً دابَّتَهُ فوجىء بقرية قد انقلبت رأساً علىٰ عـقب ، وتـناثرت عـظام أهـليها الصـرعىٰ . فـقال بدهشة : انىٰ يحيي الله هذه بعد موتها يوم القيامة ؟! فقبض الله تعالىٰ روحه في تلك اللحظة ثم احياه بعد مائة عام كما تشير إلىٰ ذلك الآية ـ ٢٥٩ ـ من سورة البقرة .

واستناداً إلىٰ بعض الروايات فقد حدث هذا لعزير (ع) وعمره آنذاك خمسون سنة ، وان زوجته كانت حاملاً وقـد ولدت له ولداً ذكراً . وهكذا فـعمر ابـن النـبي عـزير حـين رجعت إليه الحياة كـان مـائة عـام ، بـينما كـان عـمر عـزير خمسين سنة . أي ان كـل أولاده وأحـفاده يكـبرون أبـاهم (عزير) بخمسين سنة علىٰ أقـل تـقدير ـ بـصائر الدرجـات صفحه ٢٢ ـ . والآن اليك هذه القصة لمثنوي طبقاً لما تقدم أعلاه :

حين كان أولاد عزير يبحثون عنه في كل مكان مـرّوا

بنفق فالتقوا بشاب ـ أي عزير ـ هناك فقالوا له : هـل تـعرف شيئاً عن أبينا عزير ؟

فقال لهم ذلك الشاب ـ أي أبوهم ـ : أجل انه يمر عليَّ أحياناً .

ففرح أحد أولاده كثيراً . بينما أُغمي علىٰ الآخر حين تيقن انه هو أبوه .

وهكذا فقد كان كلام عزير بشـرىٰ سـارة للـولد الذي يعيش في عالم الأحلام والأوهام ، نظراً للحجب التي تحيط بتلك الأوهام . في حين كان عين الحقيقة للولد الآخـر الذي شخص أباه منذ الوهلة الأُولىٰ .

كذالك يكون انذار الأنبياء (ع) للكافرين عذاباً مهيناً ، وللمؤمنين فرحة وبشرىٰ . في حين يكون لعشاق الحق تعالىٰ واقعاً ملموساً .

فاعلم يا أخي ان عشق العارف هو تلك المرحلة العالية من الايمان والعرفان التي تزيل الحجب المظلمة عـن انـظار القلب وتبين الحقيقة كما هي . فلا تغفل عن السعي لبلوغ تلك المرحلة المقدسة .

* * *

١٤١ ـ« نجاة القبطي وفوزَه»: من معاجز موسىٰ (ع) أمام فرعون هي تلون ماء النيل بلون الدم للأقباط حتىٰ استحال شربه أو الاستفادة منه في السقي .

وقد أشارت الآية ١٣٣ من سورة الاعراف إلىٰ هذه المعجزة . ولا يخفىٰ ان الأسباط ثلة من بني اسرائيل الذين كان موسىٰ (ع) يدافع عنهم . والأقباط هم أتباع فرعون . وهذه قصتهم :

ذهب أحد الأقباط لشدة عطشه إلىٰ سبطي وقال له : أنا صديقك القديم الحميم ، وقد جئتك لحاجة : فقد حول موسىٰ (ع) ماء النيل بسحره إلىٰ دَمٍ للأقباط دون الأسباط . فابتلينا بلاءاً حسناً ، أرجوك أن تملأ لي هذا القدح بالماء لاطفأ هذا الظمأ الذي يقتلني .

فوافق السبطي وقال له : حسناً ، أنا في خدمتك ، فاحترامك واجب علي . ثم أخذ القدح وملأه بماء النيل وشرب نصفه ثم قدم النصف الآخر منه لصاحبه القبطي

ليشربهُ وما أن قربه القبطي من فمه حتىٰ تحوّل دماً عبيطاً . فقربه السبطي ثانية إلىٰ فمه فعاد ماءاً صافياً كالسابق . فغضب القبطي لهذا التناقض . لكنه هدأ قليلاً ثم التفت إلىٰ السبطي وقال له :

يا أخي السبطي ! ما الحل ؟ كيف أتخلص من مشكلتي هذه ؟

قال السبطي : الذي يتخلىٰ عن فرعون ويؤمن بالله تعالىٰ ويتبع موسىٰ (ع) هو الذي يمكنه شرب الماء الصافي . كُن معنا موسوياً اولاً تشرب الماء الزلال .

انّ غضبك هذا قد أسدل مئات الآلاف من الحجب علىٰ بصرك ، اهدأ وافتح عينيك جيداً واتعظ لتصبح مرشداً للآخرين .

قال القبطي : لا أطيق ذلك بنفسي ، اُدع لي أنت حتىٰ يلين قلبي .

فتضرع السبطي إلىٰ الله تعالىٰ باكياً راكعاً ساجداً داعياً منه تعالىٰ أن يشع بنور الايمان علىٰ قلب هذا القبطي .

وأخيراً وحيث انّ من جَدَّ وَجَدَ ، استجيب دعاؤه . وبينما كان مشغولاً بالدعاء ، وإذا بالقبطي يأتي إليه ويبشره

قائلاً : أنت السبب وراء هدايتي .

لقد تطهر قلبي من الظلمة الفرعونية وشع فيه نور الموسوية .

فملأ السبطي قدحاً من الماء وقدمه للقبطي ، فشربه حتىٰ ارتوىٰ وقال لن اعطش بعد هذا أبداً إلىٰ يوم القيامة . فالإله الذي وهب الماء للأنهار والعيون ، قد فتح في قلبي عيناً نابعة من الايمان والمعرفة .

١٤٢ ـ « حماقة فرعون » :

إنَّ احدىٰ معاجز موسىٰ (ع) هي نزول العذاب علىٰ فرعون واتباعه . فلما ضاق فرعون ذرعاً من هذا الوضع قال لموسىٰ (ع) : لا تبحث عن كل صغيرة وكبيرة من اعمالي السابقة . فقد تعودت علىٰ العزة والجلال . كن ليناً معي لأتمكن من تلبية دعوتك بالتدريج وبمرور الأيام .

فعلم موسىٰ (ع) ان كلام فرعون فيه مكر وخديعة . فناجىٰ ربّهُ قائلاً : الهي ، يريد فرعون أن يخدعنا ، وفاته ان

حبل المكر في أيدينا .

قال الله تعالىٰ لموسىٰ (ع) ، اضرب بعصاك الأراضي القاحلة لترب فيها الحياة وتصبح بساتين غناء . حتىٰ يعلموا مَن هو مسبب الأسباب .

وَفعل موسىٰ (ع) فدبت فيها الحياة وظهرت انواع الفاكهة والمحاصيل الزراعية .

لكن فرعون واتباعه عادوا إلىٰ غيّهم وظلمهم وطغيانهم السابق ناسين دعوة موسىٰ لهم . وبقوا مقرّنين بأصفاد النزعةِ الحيوانية يحفُّ بهم العُجُب والغرور غافلين عن أنّ المجرمين لهم عذابٌ أليمٌ بعد كلّ هذه الاختبارات .

١٤٣ ـ « الالتفات إلىٰ السبب الأهم في حديث النمل » :

شاهدت نملة قلم الرسام وهو يتراقص بين انامله . فقالت لصاحبتها : إنّ ذلك القلم يرسم رسوماً جذابة علىٰ الورق .

قالت صاحبتها : أنامل الرسام هي الأصل ، فهي التي تأتي بكل تلك الفنون من خلال حركاتها الخاصة .

فقالت نملة ثالثة : حركة الأنامل والقلم نابعة من ساعد الرسام .

وقالت رابعة : حركة الساعد نابعة من بدن الانسان .

وهكذا اتجهت كل نملة إلىٰ بيان علة من العلل . إلىٰ أن قالت نملة عاقلة : لماذا تنظرن إلىٰ بدن الانسان ؟ ذلك البدن الذي يفقد سيطرته علىٰ نفسه عند النوم أو الموت . لولا العقل والروح ، لما ظهرت تلك الصور والأشكال .

فقالت النملة الأعقل من الجميع : لولا مشيئة الله تعالىٰ لكان العقل والروح كالجماد لا حولَ ولا قوة لهما . فلو سلب الله تعالىٰ عن عنايته الربانية عنهما ، لضلَّ نفس ذلك العقل النشيط في وادي البلاهة والتيه .

* * *

١٤٤ ـ « صورة جبرائيل (ع) » : قال النبي (ص) ذات مرة لجبرائيل (ع) : اريد ان اطلع علىٰ صورتك الحقيقية .

فقال جبرائيل : يا رسول الله ، لا طاقة لك علىٰ رؤيتي بسبب ضعف إدراك الانسان .

قال النبي (ص) : اظهر نفسك ، ليقف هذا البدن الترابي علىٰ مدىٰ ضعفه ورقته .

لا يخفىٰ ان للانسان جانبين : جانب مادي وآخر معنوي . فالجانب المادي لا طاقة له برؤية جبرائيل ، اما الجانب المعنوي فيمكنه بلوغ مرتبة تفوق منزلة جبرائيل (ع) . بالضبط كما قال النبي (ص) لجبرائيل ليلة المعراج : اصعد واتبعني .

فقال جبرائيل : لا يمكنني لحد الآن بلوغ ذلك المقام الرفيع .

والآن لنرجع إلىٰ قصتنا . فلما أصرّ النبي (ص) علىٰ

جبرائيل لاظهار نفسه له ، أظهر جبرائيل بعضاً من هيئته الحقيقيّة وفتح أحد جناحَيْهِ فغطىٰ به شرق العالم وغربه .

فأُغمي علىٰ النبي (ص) لذلك المشهد . ولما أفاق قال له جبرائيل : إنَّ هيبتي تلك التي اظهرتها خاصّة بالغرباء ، لكن لي وجهاً آخر مليئاً بالمحبة والحنان خاصاً بالمعارف والأصدقاء .

أجل ، لا يفوتك ان هوية الانسان الحقيقية تتجسد في روحه وابعاده المعنوية . لا تحلق ببدنك عالياً . بل غَذِّ روحك بتقوىٰ الله تعالىٰ لتفيض بالحب والحنان كجبرائيل امين الوحي الالهي وتنال مقاماً ارفع من مقامه (ع) ! انَّ بدنك أمانة عندك لفترة ما ثم لا يلبث يُودع في الثرىٰ ، أما روحك فهي حية خالدة .

* * *

١٤٥ـ «اسم النبي (ص) وذكراه قبل الظهور» :

قبل ظهور نبي الاسلام (ص) كان الكفار (طبقاً لبشارة الكتب السماوية واحاديث السلف) يترقبون ظهوره بكل لهفة ، ويبحثون عمن يحمل تلك الصفات ، ويتداولون الحديث فيما بينهم بان هذه الشخصية الالهية سوف تظهر ويدعون من الرب بكل اخلاص ان يرسل اليهم مثل هذه الشخصية . لقد بدأوا عملهم هذا باسم « احمد » واعتبروه فأل خير ويمن وملاذاً لهم عند الشدائد والحروب والأحلام المزعجة وشفاءاً من الأمراض . فلقد كان للنبي (ص) دورٌ فعالٌ في كافة مجالات حياتهم . هذا كله قبل ظهوره (ص) .

لكنه عندما ظهر (ص) بين ظهرانيهم ، نسوا كل تلك الذكريات والأسماء والتوسلات واتبعوا الكفر والضلال .

لقد اظهرت الحقيقة معدن قلوبهم وسواد وجوههم ، وقديماً قيل : « عند الامتحان يكرم المرء أو يهان » .

إذن يا أخي ! لا تكن ذا وجهين، كن مرآةً تعكس الحق

ليبيضّ وجهك عند الاختبار. كن مرآةً خالصة للحقّ ليعكس الله تعالىٰ مرآة العرش من خلالك ، بل ليريك تعالىٰ ما هو اعظم من العرش ايضاً .

١٤٦ ـ « ذبح الطيور الأربعة » : أراد ابراهيم الخليل (ع) ان يبلغ اعلىٰ مراتب اليقين فيما يتعلق بالمعاد . فقال له الله تعالىٰ : خذ أربعةً من الطير واذبحهنَّ واخلط لحومهنَّ ببعضها بصورة جيدة . ثم قسم ذلك الخليط عشرة اقسام وضع كل قسم علىٰ قمة جبل ثم ادعُهنَّ باذني .

ففعل ابراهيم (ع) ذلك واخذته الدهشة حين رأىٰ تلك الطيور الأربعة حية سالمة وهي تلتقط الحب هنا وهناك . وكانت تلك الطيور عبارة عن : البط والطاووس والغراب والديك ، وهي ترمز إلىٰ حرص الانسان وتكبره وطول أمله وشهوته بالترتيب .

فلو جردت نفسك يا أخي من هذه الصفات الأربع الذميمة (الحرص ، الشهوة ، التكبر ، وطول الأمل) لسلكت

طريق ابراهيم (ع) نحو الخلود الأبدي .

انَّ التجرد منها لا يعني التجرّد المطلق طبعاً . بل ضرورة السيطرة عليها قدر المستطاع وانَّ خير الأمور أوسطها . وبعبارة اخرىٰ يجب التعامل مع هذه الصفات الأربع بشكل آخر وتسخيرها لما فيه الخير والصلاح .

١٤٧ ـ « اسلام الضيف الكافر عند النبي (ص) » :

جاء عدد من الكفار إلىٰ المدينة فدخلوا المسجد وقالوا للنبي (ص): نحن غرباء ولا نعرف احداً ، ونرجو أن تستضيفنا .

فالتفت النبي (ص) إلىٰ أصحابه وقال : يا أحبتي ! قسموا هؤلاء الأفراد بينكم ، وليأخذ كل منكم واحداً منهم إلىٰ منزله . فأخذوهم إلىٰ بيوتهم عدا واحداً منهم كان سميناً بطيناً يدعىٰ « ابو قحط ، اعوج بن عز » ، اذ بقي في المسجد ولم يستضفه أحد نظراً لمتانته . فاستضافه النبي (ص) في منزله .

وعند العشاء أكل ذلك الضيف كلّ طعام أهل بيت

النبي (ص) والذي كان عبارة عن محصول سبع عنزات تدر الحليب ، فمكث النبي (ص) وعائلته تلك الليلة بلا عشاء . ونظراً لكثرة الأكل فقد عانىٰ ذلك الضيف طول الليل من البطنة والغازات ، كما انه استيقظ في منتصف الليل وقد احتلم . فغاظه هذا الأمر وأخذ يترقب طلوع الفجر علىٰ أحر من الجمر ليخرج قبل أن يراه أحد علىٰ تلك الحال ، ولم يعلم ان النبي (ص) له اطلاع بذلك لكنه انما يكتمه لئلّا يُحرج ضيفه . واخيراً ذهب كما أراد .

وبعد ذلك شاهد أحد الفضوليين فراش ذلك الضيف وقد تنجس ، فتعمد وأخذه إلىٰ النبي (ص) .

فقال النبي (ص) : احضروا لي طستاً لأغسل الفراش بيدي . فسعىٰ أصحابه لغسله نيابة عنه ، لكنه (ص) أكد لهم انه سيغسله بنفسه .

وشاء القدر أن ينسىٰ ذلك الكافر حزامه في منزل النبي (ص) . فدفعه جشعه إلىٰ تناسي ذلك الموقف المخزي والعودة بسرعة إلىٰ منزل النبي (ص) ليأخذ حزامه . فلما وصل إلىٰ هناك فوجيء بموقف غريب ، فقد اطلع الجميع علىٰ ما حدث بالأمس ، فأنساه هذا الموقف

المخزي حزامه ، وأخذ يضرب رأسه بالجدران والصخور حتىٰ سال دمه ، وعفَّر جبهته بالتراب وهو يولول معبراً عن خجله وحيائه . لكنه وقف علىٰ صدق النبي (ص) واحقيته وقال بقلب منكسر والدموع تنهمر من عينيه : يا رسول الله حدّثني عن الاسلام لأعتنقه .

فأخبره (ص) بذلك ، واستضافه تلك الليلة ايضاً .

فقال : أنا ضيفك دائماً ، أينما أحل أكن علىٰ مائدتك . فأنا عبدك ، وذلك الذي ينفصل عنك قاصداً غيرك ، إنما يقصد الشيطان .

يا رسول الله ! لقد أكملت رسالتك ، وشع نورك كالشمس في وجهي .

وهكذا قضىٰ ذلك الكافر الذي أسلم ليلة أُخرىٰ في بيت النبي (ص) لكنه شبع بنصف ما تدره عنزة واحدة وتنحىٰ جانباً عن المائدة . فقال له النبي (ص) : لم كففت عن الأكل ؟ فقال : والله لقد شبعت حقيقة ! فاستغرب كل من في الدار حينما اكتفىٰ ذلك الرجل الأكول بهذا الطعام القليل .

أجل ، يمكن الاكتفاء بغذاء نملة واحدة حينما يحل الايمان محل الطمع والجشع . فقد غدا ذلك الرجل النهم

الذي كان يلتهم الغذاء كالثور الجائع قانعاً بالقليل ، مثل مريم العذراء التي تجني ثمرة من ثمار الجنة وتشبع بها .

إذن يا أخي ! كن متفائلاً ساعياً فالجوع يتطلب المزيد من الطعام ! فانتخب الطعام المناسب كما ينتخب البصر النور المناسب ، وكن مع الملائكة يا أفضل البشر .

أيها الانسان الحر انت الذي بيده مقاليد الدنيا بعظمتها، ماذا جرىٰ لك لتكون اسيراً للطعام النابت في الأرض لتتعلق بـالتراب كـالحية والنـملة والدودة وتـختار الرديء مـن الأطعمة ؟ هل تعلم انّ دود الفضلات والقاذورات لا يعرف غذاءً سوىٰ نفس تلك الفضلات والقـاذورات ؟ ألا تـرىٰ انّ الغراب العاجز يبحث عن ضالته وسط الجيف والنجاسات ؟

فلا تتعلق أنت بهذه الأغذية المادية وابحث عن الغذاء المعنوي الروحـي لئـلا تـحشر مـع الحـية والنـملة والدود والغراب .

* * *

١٤٨ ـ «النحيل الأبله» :

كـان أحـد الكـلاب
مشـــرفاً عـــلىٰ المــوت
وصاحبه يبكي ويلطم فوق
رأسه لهول تلك الفـاجعة ،
وبجانبه كيس مليءٌ بالخبز .

فسأله شخص عن سبب بكائه .

صاحب الكلب : كلبي يلفظ انفاسه الأخيرة . انه أسـد ضارٍ وليس بكلب . لقد كان يـصطاد لي بـالنهار ويـحرسني بالليل .

السائل : ماسبب اشرافه علىٰ الموت ؟ هل به جرح أو مرض ؟

صاحب الكلب : كلا ، ليس به شيء مما ذكرت ، داؤه الجوع لا غير .

السائل : لم لا تعطيه قطعة خبز وتحول دون موته ؟

صاحب الكلب : لا اتمكن من اعطاء الخبز بلا مقابل ، بعكس دموعي فهي مجانيّة .

فالتفت ذلك السائل إليه وقال له باحتقار : عليك اللعنة ،

يا من تفضل قطعة الخبز علىٰ دموع عـينيك ، لقـد أضـعت نفسك كأبليس ولم تصلح الّا للتراب ، طوبىٰ لمن يعرف ذاته ومقامه .

١٤٩ ـ « الطاووس الحر » : شـاهد رجـل حكـيم طاووساً في الصحراء ينتفُ ريشه واجنحته . فقال له : لم تنتفُ ريشك الجميل هذا ؟ كيف يرق قلبك لرمي هذا الريش الرائع جانباً ؟ هـل تـعلم ان حـفظة القـرآن يـضعون ريشك بين دفّتي القرآن لجماله ؟ اترك هـذا العـمل . فـبقاء ريشك مع قلبك النابض بـالحياة غـنيمة . مـثلما ان وجـود الطعام مع عـدم الاسـراف فـلاح ، لا أن لا تسـرف لانـعدام الطعام .

تأثر الطاووس كثيراً ومن أعماقه لكلام الرجل الحكيم وارتفع نياحه حتىٰ ابكىٰ كل من حضر هناك ، بل قد رق قلب الحكيم له ايضاً وندم لكونه السبب وراء ازعاج هذا الطاووس الجميل . وبعد أن فرغ الطاووس من البكاء التفت إلىٰ الحكيم

وقال :

لقد غدا هذا الريش الملون خطراً يهدد بقائي . فالصياد يكمن لي هنا وهناك ، والرماة يجعلونني هدفاً لبنادقهم ويحاصرونني من كل مكان ، وكل ذلك بسبب هذا الريش ليس الا . ونظراً لنفاد صبري على تحمل هذا العذاب فقد قررت أن أبدو قبيح المنظر وبلا ريش ليتركونني وشأني ، المهم هو الحياة . فالبدن يزول لكن الحياة باقية . هذا الريش هو السبب وراء تكبري وغروري ، ونفس هذا الاعجاب بالنفس قد تسبَّب بجلب مئات من الويلات لي .

انَّ الجمال سبب لهلاك البسطاء ، ولا قيمة لجمال ينسي صاحبة مرتبة الكمال . فلا أهمية لجرح البدن ، لكن جرح الروح هو الذي يلقي بصاحبه في الهاوية . ما أفضل أن أكون بلا ريش حتى ييأس اعدائي !

الريش الجميل مهم بالنسبة لي لقضاء حياة حلوة . لكن الأهم عندي هو العقل وسلامة الحواس ، لماذا اطيع غيري لأجل جمال تافه . أجل فأنا مستعد لنتف ريشي ـ منبع غروري ـ من أساسه لأبقى حياً .

* * *

١٥٠ـ«قصة الأكل والمأكول»: بينما كانت البطة منهمكة في استخراج احدىٰ الديدان من الأرض لتأكلها ، وثبت عليها قطة كانت تراقبها عن كثب وافترستها . لم تكن تلك البطة المسكينة تعلم حينما كانت منهمكة بفريستها بأنها ستكون فريسةً لصياد آخر بعد لحظات . النباتات تشرب الماء الزلال لكنها لا تلبث ان تدخل في معدة حيوان ما بعد مدة . وذلك الحيوان ايضاً سيستقر في معدة حيوان آخر وهلمّ جرا .. لتأتي إلىٰ حيز الوجود سلسلة الطعام . نفس هذا الانسان الذي يأكل ما تخرجه الأرض ، يعود ليصبح بعد فترة طعاماً لتلك الأرض . هذا هو قانون الأكل والمأكول العام . حتىٰ الأفكار والتصورات يأكل بعضها البعض الآخر ، أو انها تصبح لقمة لذيذة لغيرها . تريد المطالعة ، فلا بد ان هناك فكرة ما تدور في ذهنك ، فتأتي فكرة اخرىٰ وتبتلع فكرتك الاولىٰ . تفكر في شيء ما فيطرأ علىٰ فكرك شيء آخر ليحل مكان الأول ثم

لا يلبث ان يعود هذا الثاني طعاماً لشيء ثالث يخلد في ذهنك و ....

أجل ، الذي لا يكون آكلاً ولا مأكولاً هو ذات الباري تعالىٰ فقط . اذن مُدَّ يدك إليه ليعينك وتخلص من قبضة الآكل والمأكول لاجئاً إليه تعالىٰ حيث يقول : « وَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً ... » .

فلو عجزت عن الاتصال به تعالىٰ مباشرة ، فعلىٰ أقل تقدير اسع للاتصال بالقائد الذي وهبه الله تعالىٰ بعضاً من قدرته تلك .

١٥١ ـ « الغزال في حظيرة الحمير » :

قال الرسول (ص) : « ارحموا ثلاثاً : عزيز قوم ذل وعالماً ضاع بين الجهال وغنياً افتقر » .

اصطاد صياد غزالاً واخذه معه إلىٰ منزله ثم أودعه في حظيرة الحمير .

الغزال الذي كان يتنفس الهواء الطلق ويشرب ماء العيون الصافي ويتناول الأعشاب الطرية ، أصبح الآن يقبع في حظيرة مظلمة مليئة بالغبار والدخان والروائح الكريهة ،

وسط الحمير التي تأكل التبن. لقد عانىٰ هذا الغزال المسكين الذي يحمل في احشائه مسك العنبر العطر عذاباً لا يطاق وقلقاً شديداً في تلك الحظيرة. فضلاً عن استهزاء الحمير به.

فهذا أحد الحمير يقول له : تعال وتناول هذا التبن. فيشير الغزال برأسه إلىٰ عدم رغبته في تناول التبن.

ويقول حمار آخر : هل تتدلل ، أم ان هناك سراً وراء امتناعك عن الأكل ؟

فيجيب الغزال : هذا الطعام يناسبكم أنتم الحمير. أما أنا الذي تعودت علىٰ الرعي تحت ظلال الأشجار الوارفة وعند عيون الماء النابعة ، فمن الصعب عليَّ تناسي طبيعتي تلك.

فقال أحد الحمير : كفىٰ هراءاً.

أجاب الغزال : لست كاذباً. فمسك العنبر هذا بعطره الفواح خير شاهد علىٰ صدق دعواي ، لكن ماذا أفعل اذا انعدمت لديكم حاسّة الشمّ ؟ كيف يمكنني انا الأسير الضعيف أن أوصل هذا العطر الذي لا نظير له إلىٰ أنوفكم ؟

ومن هنا قال النبي (ص) : « لقد بدأ الاسلام غريباً

وسيعود غريباً كما بدأ » ، نظراً لوجود من ينفر من النبي (ص) والاسلام مع قربه منهما .

١٥٢ ـ « طلب خوارزمشاه العجيب من اهالي سبزوار » :

(إنَّ سُلالة خوارزمشاه هي التي حكمت ايران بعد سلالة السلاجقة ، ودام حكمها من سنة (٥٤٥ ـ ٧٠٩) للهجرة الشريفة . ومن سلاطين هذه الأسرة المعروفين السلطان محمد خوارزمشاه الذي فتح غالبية المدن الايرانية) .

حينما دخل السلطان محمد مدينة سبزوار ، نشر جنوده الرعب في قلوب الاهالي حتىٰ استسلموا وطلبوا منه الامان وقالوا له : نحن علىٰ استعداد لدفع الضرائب ولو كانت باهضة وفي أي فصل تشاء .

فقال لهم السلطان محمد : لن تسلموا من سطوة سيفي الّا اذا جئتموني بشخص اسمه « ابو بكر » (علماً ان اهالي

سبزوار كلهم شيعة) .

فـجاء أهـالي سـبزوار بأكـياس الذهب إلىٰ السـلطان وطلبوا منه غض الطرف عن طلبه هذا ، أي الاتيان بالشخص المذكور ، لاستحالة العثور علىٰ هـذا الاسـم وسـط أهـالي سبزوار ، بالضبط كاستحالة العثور علىٰ جذع يـابس وسـط المياه . لكن السلطان أصر علىٰ طلبه هذا ولم يتراجع عنه .

فاضطر الأهالي للبحث عنهُ هنا وهناك وبعد ثلاثة أيّام من التفتيش المتواصل والمضني عثروا علىٰ شخص اسـمه «ابو بكر » يسكن في زاوية خربة وقد أشرف عـلىٰ المـوت لضعفه ومرضه .

فقالوا له : انهض وتعالَ معنا إلىٰ السلطان لتنقذ المدنية باسرها من الهلاك بعملك هذا .

فقال لهم أبو بكر : لو تمكنت من المسير ، لذهبت الىٰ مدينة اصدقائي ولما بـقيت هـنا ، فـاضطروا لوضـعه عـلىٰ خشبة كالتابوت وتوجهوا به إلىٰ السلطان .

* * *

١٥٣ ـ « فخ الشيطان المحكم » :

قـــال الشـــيطان لله تعالىٰ : أُريـد فـخاً مـحكماً لأصطاد به البشر . فأراه الله تـــعالىٰ الذهب والفــضة والحيوانات علىٰ اخـتلافها و ... وقال له : استعن بهذه الوسائل لخداع الناس .

ففرح الشيطان أول الأمر ، لكنه ما لبث ان عاد وابدىٰ عدم رضاه وقال متمتماً بعدم جدواها وصلاحيتها .

فأطلعه الله تعالىٰ علىٰ المجوهرات الثمينة وقـال له : خُذ ، هذا فخ آخر !

قال الشيطان : هل من مزيد !

فأطلعه الله تعالىٰ علىٰ كل ما لذّ وطاب مـن الأطـعمة والأشربة النادرة والألبسة الفاخرة .

فقال الشيطان : الهي ، أُريد المزيد المزيد لأتمكن من تقييد الانسان بـحبال مـن نـار . فـعشاق جـمالك وجـلالك سيقطعون هـذه الحـبال لا مـحالة ولا يـبقىٰ فـي أسـرها إلا الغافلون . فتواجهني والحالة هذه مجموعتان منفصلتان عن

بعضهما . فهب لي فخاً محكماً يعالج مشكلتي ويقعد الانسانَ عن غايته فاطلعه الله تعالىٰ علىٰ الآلات الموسيقية .

فضحك الشيطان وابتهج قليلاً . لكنه لم يقتنع بذلك العرض فالتمس قائلاً : ايها الاله الذي منح موسىٰ (ع) تلك القدرة التي فلقت البحر حتىٰ تطاير العبار من قعره المتيبس ، امنحني فخاً منيعاً لألجم به الانسان واقوده نحو الضلال والخسران .

فأطلعه الله تعالىٰ في خاتمة المطاف علىٰ جمال النساء وسحرهن الذي يفتن عقول الرجال والبابهم . وما ان وقعت عين الشيطان علىٰ هذا الفخ حتىٰ أخذ بالرقص وفرقعة الأصابع لشدة فرحه وقال : الهي ، هذه هي منيتي ومرادي ، سلطني عليها بسرعة . أجل لقد فقد الشيطان توازنه وأخذ يتمايل يمنة ويسرة كالثمل حين رأىٰ جمال النساء ودلالهن.

وهكذا فقد وقع اختيار ابراهيم (ع) من بين الطيور علىٰ الديك فذبحه ليقول للخواص بانه يمثل الشهوة التي ينبغي تذليل جموحها والسيطرة عليها لسلوك سبيل الله تعالىٰ .

***

١٥٤ ـ « أساس العشق » : تــــوجه عــاشق إلىٰ مـــعشوقه وذكــر له كـل الخدمات والتضحيات التي أسداها وتحملها في سبيل العشـق الذي يـجمعهما .

ومن جملة ما ذكر قال : لقد تعرضت لسهام وأسنة الرمـاح وبذلت الاموال والممتلكات وفقدت القدرة والمكانة وذقت الحرمان والخيبة وقتلني الارق والسهر . وتحملت التشريد والضياع و .... وهكذا مضىٰ العاشق بالتعرض لمـا لقـيه فـي سبيل معشوقه ، لكن لا بقصد المنة عـليه بـل لتشـهد تـلك المواقف علىٰ صدقه واخلاصه .

وبعد حديث طويل قال العاشق : دعنا من الماضي . قل لي الآن ماذا يجب عليّ أنْ أفعل ؟

فلو أشرت عليّ بدخول النار كابراهيم (ع) لاقتحمتها . أو أردت أن يسيل دمي مثل يـحيىٰ ، أو أن أسكـن جـوف الحوت مثل يونس ، أو أن اُبتلىٰ بظلمة الجبّ مثل يوسف ، أو أن أعود معدماً لا أمتلك شيئاً مثل عـيسىٰ أو .... لقـلت

لبيك بكل لهفة وشوق .

فقال له المعشوق : صحيح انك تحملت كل هذه الصعاب والتضحيات في سبيل العشق . لكن اصغ الي جيداً : لقد أدّيت فرع الأمور وغفلت عن لبها وأساسها .

سأل العاشق : ما هو ذلك الأصل والأساس ؟!

قال المعشوق : اصل العشق يكمن في الذوبان في المعشوق والموت في سبيله . وهذا الذوبان هو نفس الوجود وذلك الموت هو ذات الحياة التي تضفي الخلود على الحياة أبد الدهر .

فحينما سمع العاشق هذا الكلام ، شهق شهقة رقيقة وتلفظ أنفاسه الأخيرة .

١٥٥ ـ « معنىٰ الصلاة » :

سأل شخص مجتهداً، هل البكاء يُبطلُ الصلاة ؟ أجاب المجتهد : يجب البحث عن الدافع وراء ذلك البكاء ، فلو كان شوقاً لله تعالىٰ وخوفاً من معصيته والندم علىٰ ذنوبه ، فهو

الأساس لكمال الصلاة وتمامها . ولو كان للاحساس بالألم أو لمصيبة لحقت بأهله أو أقاربه أو لخسارة دنيوية ، فصلاته باطلة ولا يعتدّ بها .

خلاصة القول : ان هناك تفاوتاً بين بكاء وبكاء .

١٥٦ ـ « بكاء التلميذ والأستاذ » :

دخل تلميذ على استاذه فاذا به يبكي وينتحب ، فرقّ قلبه لأستاذه وسالت دموعه على خديه هو أيضاً .

وبعد بكاء طويل نهض التلميذ وخرج من منزل استاذه. وكان المريد الخاص للأستاذ يراقبه ، فتبعه وقال له : لو سألك أحد عن سبب بكائك فلا تقل السبب الذي دعا الأستاذ للبكاء ، لأن هناك تفاوتاً بين انواع البكاء . فبكاء الاستاذ ، ثمرة لثلاثين سنة من الرياضة المتواصلة ، وبكاؤك كان تقليداً له .

بل انّ التفاوت بين أنواع البكاء هو كالتفاوت بين أنواع الضحك . فالأطرش مثلاً يضحك مرتين ، حينما يشاهد

أحداً يضحك . تقليداً للضاحك تارة ، وأُخرىٰ للوقوف علىٰ أصل القضية . كما ان الدموع التي تخرج نتيجة تقطيع البصل تختلف عن تلك التي يذرفها العارف العاشق في ظلمة الليل خشية من الله تعالىٰ . فاين ياترىٰ البكاء الظاهري من الباطني ؟

ومن هنا ، فترادف الأسماء لا يعني تساويها في المعنىٰ ، فلفظة « القرص » مثلاً تطلق علىٰ كل من الخبز والقمر مع ان الفرق بينهما هو كالفرق بين الثرىٰ والثريا .

١٥٧ ـ « الانسان العارف لا الببغائي » :

تأمل ببغاء ذات مرة في المرآة فتخيل ان صورته الظاهرة في المرآة هي ببغاء اخر واقف إلىٰ جانبه .

وكان مدرب ذلك الببغاء يتكلم من وراء تلك المرآة ، فظنه ذلك الببغاء انه ببغاء ثانٍ وانجذب لكلامه واتقنه باعتباره من جنسه ، من دون ان يكون له ادنىٰ اطلاع بفن مدربه وبما يعنيه ذلك الكلام .

إذن لا تغفل يا أخي إنّ مثلنا بالنسبة لاولياء الله تعالىٰ ،

كمثل ذلك الببغاء مع مدربه .

فالعامة يتلقون عبارات الأولياء بحالة ببغائية ، والبعض يحكم بحسب الظاهر جهلاً أو تعنتاً ، في حين ان البعض الآخر يفتح علىٰ نفسه باباً من ابواب الرحمة الالهية وتنكشف له الأسرار فيصبح عارفاً ، نتيجة لاخلاصه وسعيه .

١٥٨ ـ « الحلم العجيب » : جلس أحد المتصوفة في زاوية منعزلاً وشرع في عبادة الأربعين يوماً الخاصة بطريقته .

وفي احدىٰ الليالي رآىٰ في الحلم وكأنه يسير في طريق فيها انثىٰ كلب حامل وصغارها تنبحُ في بطنها .

عندما استيقظ تعجب من سماع نباحهم في بطن اُمّهم لأنه لا مبرر لذلك ، إذ لا مهمة حراسة موكلة اليهم ولا ذئب أو لص أو جوع يهددهم . والأعجب من هذا هو مصادفة هذا الحلم لأيام الأربعين تلك . وبعد تفكير عميق وعقيم أوكل مهمة حل هذا اللغز إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ أمل أن يطلعه علىٰ

سرّ هذا الحلم وتفسيره .

وبعد مدة سمع هاتفاً يهتف : انَّ مسألة نباح الكلب هذا ، تمثل ذلك الانسان الذي يدعي جزافاً ادعاءات عظيمة وهو لم يزل بعد خلف الحجب غير ناظر ببصيرته ، فيلقىٰ بالتالي الخيبة والخسران بالضبط مثل ذلك النباح الذي يكون وبالاً علىٰ صاحبه . في حين ان العابد المخلص البعيد عن التفاخر والتباهي لاهم له سوىٰ كسب رضا الله تعالىٰ .

١٥٩ ـ « نشوب الحريق في بستان ضروان » :

(في البداية لابدّ من الاشارة إلىٰ ان قصة أهل ضروان هذه قد تقدمت في اوائل الدفتر الثالث ، وهنا أيضاً أي في الدفتر الخامس . ولذلك سنقتصر هنا علىٰ ذكر ملخص لها ، مع الأخذ بنظر الاعتبار انّ الآيات (١٧ ـ ٣٠) من سورة القلم قد تعرضت لها كذلك) . وفيما يلي موجز هذه القصة :

كان في قديم الزمان رجل صالح تقي ، يعيش بين حقوله وبساتينه في قرية تقع في أطراف بلاد اليمن وكان

سخاؤه وشوقه الشديد لمساعدة الفقراء قد بلغا حداً دفعهُ إلىٰ توزيع كل محصوله الزراعي السنوي علىٰ المحتاجين باستثناء ما يسد به حاجته. وهكذا أصبح منزله بمثابة الكعبة بالنسبة للمعوزين والمعدمين.

وكثيراً ماكان يوصي أولاده بضرورة الانفاق والنظر في حوائج الآخرين ويقول لهم: هذه النعم كلها من الله تعالىٰ فلا تغفلوا عن الانفاق في سبيل الله تعالىٰ لكسب رضاه.

لكن هيهات أن تؤثر الوصايا وحتىٰ وصايا الأنبياء (ع) علىٰ من يفتقر إلىٰ الاذن الصاغية كاولاد هذا الرجل البار الذين أخذهم العجب والغرور.

حتىٰ اقترب أجل هذا الرجل الصالح ولفظ أنفاسه الأخيرة فجعل أولاده وصيته تلك في طيّ النسيان وقرروا الاختصاص بكل المحصول دون تقديم أية مساعدة للفقراء.

كان الفقراء وكالمعتاد يتوافدون علىٰ تلك الحقول والبساتين عند حلول موسم الحصاد والجني لينعموا بنصيبهم ويرجعوا إلىٰ بيوتهم، لكن الورثة حرموهم ذلك العطاء.

فغضب الله تعالىٰ عليهم، وانزل بالمزرعة صاعقة

محرقة من السماء حرقتها عن بكرة أبيها وأصبحت كالهشيم تذروه الرياح وهم ينظرون إليها بعين الحسرة والندامة .

إذن يا أخي تأمّل في قصة بستان ضروان وايّاك والعجب والاغترار بالأموال لئلّا تُسلب النعمةُ منك .

١٦٠ ـ « نعمة الموت » : قال شخص : لو لا الموت لبدت الدنيا جميلة جداً .

فقال له شخص آخر : لو لا الموت ، لما استحقت هذه الدنيا المليئه بالفوراق أية قيمة تذكر . و لامتلأت الصحارىٰ والسهول بأكوام البشر المتراكمة فوق بعضها البعض من دون أن يلتفت إليها أحد . ونظراً لتصورك بأن الحكاية الواقعية هي الحكاية في هذه الدنيا الفانية ، فقد توهمت بكون الموت فيها نهاية للحياة ، وبناءً علىٰ تصورات عقلك القاصر قمت بنثر البذور في الأرض السبخة .

أجل ، فدور العقل الناقص لا يتعدىٰ اظهار الحقائق علىٰ خلافها .

لكن الحقيقة هي انّ الموت بالنسبة لأولياء الله تعالىٰ يعد بداية للحكاية الأبدية الشاملة وخاتمة للحياة الفانية الناقصة .

إذن يا أخي جالس أهل الصدق والصفاء وابتعد عن المتعلقين بالبدن الترابي الفاني .

١٦١ ـ « أمانة اياز وصدقه » :

السلطان محمود الغزنوي الابن الاكبر للسبكتكين ، هو ثالث سلطان من سلاطين السلالة الغزنوية واقواهم . اعتلىٰ العرش سنة (٣٨٧) للهجرة النبوية الشريفة ، واستولىٰ سنة (٤٠١ هـ) علىٰ خوارزم ، وتقدم بجيوشه نحو الهند اثنتي عشر مرة . توفي في الثالث من ربيع الآخر سنة (٤٢١ هـ) عن عمر يناهز احدىٰ وخمسين سنة بعد فترة حكم دامت ثلاثاً وثلاثين عاماً (راجع قاموس معين ج ٦ ص ١٩٢٧) .

وكان للسلطان محمود غلامٌ يدعىٰ « ايازاً » ، وكان هذا الغلام قد حظي بمكانة خاصة في قلب السلطان محمود

حتىٰ أصبح كالمحبوب الذي لا يمكن فراقه ، وذلك لصدقه وذكائه . وفيما يلي قصة الغلام اياز :

كان اياز هذا قد احتفظ بثيابه وحذائه التي تعود لأيام فقره وحاجته في حجرة أقفل بابها . وكان يتردد عليها كل ليلة لوحده فيتأملها ويخاطب نفسه قائلاً : هذا هو لباسك وحذاؤك فتأملهما جيداً ولا يغرنك منصبك الذي تتقلده الآن .

لكن منزلة اياز المرموقة هذه عند السلطان لم تُرضِ أهل الحسد والنفاق ، فذهبوا إلىٰ السلطان واخبروه بان ايازاً يخفي الذهب والفضة وجرة مليئة بالمجوهرات في حجرة خاصة لا يسمح لأحد بدخولها .

فتعجب السلطان مما يخفيه هذا الغلام عنه . فأمر أحد القادة بالتوجه إلىٰ حجرة اياز وجلب ما فيها . لكن السلطان علىٰ ما يبدو كان علىٰ علم بالموضوع و يعلم بان ايازاً لا تغيره الأيام ، غير انه أراد أن يسخر من هؤلاء النمامين ويوقفهم علىٰ قبيح فعلهم .

انه لسر عجيب ، فلقد كان اياز يمعن النظر في ثوبه وحذائه ليتعظ ويتجنب الغرور الذي ربما يراوده بالضبط

مثل الانسان الذي يتأمل في بداية خلقته التي هي عبارة عن نطفة نتنة ليطرد عن نفسه العُجب والتكبر والغرور.

توجه ذلك القائد بصحبة ثلاثين جندياً في منتصف الليل إلىٰ حجرة اياز وفتشوها، وحينما لم يعثروا علىٰ شيء سوىٰ ثوب وحذاء باليين، قال لابدّ أنّ ايازاً قد اخفىٰ الذهب تحت الأرض وأراد أن يخدعنا بهذا الثوب والحذاء. فانهالوا علىٰ أرض الغرفة بالمعاول وفتشوا حتىٰ شقوق الجدران. لكن ذهبت كل مساعيهم ادراج الرياح، بل قد شهد كل شيء علىٰ صدق اياز حتىٰ الباب والجدران والأرض، وعادوا بخفيّ حنين يرهقهم الخجل واليأس والقلق من مواجهة السلطان وكيفية الاعتذار منه. حتىٰ حضروا عند السلطان طالبين منه العفو والصفح.

فقال لهم السلطان: البت في عفوكم أو معاقبتكم يعود إلىٰ اياز، ولا علاقة لي بالأمر أبداً، لأنكم قمتم باتهامه والوشاية به.

ثم أحضر السلطان ايازاً وعهد إليه بالمسألة وقال له: لا شك في صدقك وصفائك، وقد أحس أهل الحسد بالخجل والندامة لسوء ظنهم بك وسعيهم للايقاع بك.

فقال اياز : أيها السلطان ، لقد أحسنت إليّ كثيراً والّا فلياقتي لا تتعدىٰ ذلك الثوب والحذاء الباليين. (أجل ، فمن يتذكر نقاط ضعفه لا يأخذه الغرور أبداً) . وقد قال النبي (ص) : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

وتوالت الأيام والليالي واياز يؤجل النظر في قضيتهم يوماً بعد آخر . إلىٰ أن أكد له السلطان ضرورة التعجيل في هذا الأمر والبت فيه .

فقال اياز : ايها السلطان ، الأمر أمرك ، ولا دور لنا مع وجودك . يا ليتني نسيت الثوب والحذاء علىٰ أن أواجه موقفاً كهذا .

فقال السلطان محمود : أخبرني بالسر وراء علاقتك الوثيقة هذه بالثوب والحذاء ؟!

ويظهر جواب اياز من نفس كلام السلطان الّا وهو ان ايازاً كان يسعىٰ لكسر جموح النفس والتحرر من قيود الجمال الظاهري ، بتأمله في ماضيه المؤلم .

* * *

١٦٢ ـ « الحمّال الجاحد » : كـان لرجـلٍ سـقاءٍ حمارٌ هزيلٌ منهكٌ بسبب العـمل الشـاق ونـقل الأحمال حتىٰ امتلأ بدنه بـالجراح وانـحنىٰ ظـهره فأصبح يتمنىٰ الموت للـخلاص مـن هـذا العـذاب . وكـان المسؤول عن حظيرة خيول السلطان صديقاً لهـذا السـقاء ، فاقترح عليه وضع حماره في تلك الحظيرة حتىٰ يسـتعيد الحمار صحته وطاقته .

فوافق السقاء علىٰ ذلك بكل سـرور . وبـهذا تـخلص الحمار من الأعمال الشـاقة لبـعض الوقت وذهب إلىٰ تـلك الحظيرة ، وما ان وقع نظره علىٰ خيول الحرب هناك والنعم المتوفّرة لها والخَدَم الذين يقومون بتنظيف المكان باستمرار حتّىٰ أصبحت قوية ممتلئة ، حتىٰ بهت وتعجب ، فرفع رأسه نحو السماء وقال : ما هـو ذنـبي لأكـون حـماراً ، ألم أكـن مخلوقاً لك ؟ لماذا يجب أن تنعم خيول السلطان بكل هذا النعيم وابقىٰ أنا محروماً من كل شيء ؟

بعد فترة أُعلن عن ضرورة التعبئة للوقوف بوجه العدو الذي يزحف باتجاههم ، فسيقت تلك الخيول بصحبة الجنود الىٰ سوح القتال .

ولما رجعت الخيول بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وكانت مثخنة بالجراح وما تزال السهام نابتة في أبدانها ، وقد شُدت قوائمها التي تعرضت للرضوض والكسور وذابت حوافرها .

وما أن شاهد الحمار ذلك الموقف المؤلم حتىٰ تذكر أيام فقره التي قضاها مع صاحبه السقاء وشكر الله تعالىٰ علىٰ تلك الحال .

أجل يا أخي ، كن حذراً ، لا يخدعنك جمال الدنيا الزائل ، فعطاؤها لا يخلو من الفخ والشرك .

فكن راضياً برضا الله تعالىٰ شاكراً له علىٰ كل حال . واعلم ان الصحة والسعادة لا تلتقيان مع الدنيا وبريقها .

* * *

١٦٣ ـ « الحـــمار النـــحيف وعاقبة نقض التوبة » :

يُــــحكىٰ انَّ رجـــلاً يملك دكاناً لغسل الملابس وتنظيفها ـ مكوىٰ ـ وكان له حمار ضـعيف يـقضي كـل وقته في الطـرقات الوعـرة لقضاء حوائج صاحبه .

وكانت هناك غابة تبعد عدة فراسخ فـيها اسـد يـعيش علىٰ الحيوانات التي يصطادها . ذات مرة اشتبك الأسد مـع فيل فدار بينهما صراع دام انهك قوىٰ الأسد وجعله عاجزاً عن الصيد .

فلفّ الحُزن كل الحيوانات التي كانت تعيش علىٰ فتاة مائدة الأسد لعجزه . فأمر الأسد باحضار الثعلب . فلما حضر قال له الأسد : اذهب إلىٰ البادية وابحث عن فريسة واجلبها اليَّ بمكرك وخداعك فقد قتلني الجوع .

انحدر الثعلب بسرعة علىٰ سفح الجبل باتجاه البادية واخذ يبحث هنا وهناك حتىٰ عثر اخيراً علىٰ ذلك الحـمار النحيل ، فحياه ثم قال له : ماذا تفعل هنا في هذه الصـحراء

القاحلة الخالية من الماء والكلأ ؟

الحمار : هذا قدري وأنا به قانع . وليس امامي في هذه الدنيا المليئة بالهموم التي لا ترحم احداً سوىٰ الصبر والتحمل .

الثعلب : البحث عن الرزق الحلال واجب . فالعالم عالم الاسباب ولابدّ من السعي وراء لقمة العيش وتجنب المال المغصوب الذي يستحسنه النمر مثلاً .

الحمار : القول بالملازمة بين الرزق وبين السعي ، دليل علىٰ ضعف توكلك . فالا له الذي يخلق يرزق أيضاً . ولم نسمع لحد الآن بموت أحد الحيوانات جوعاً . بل ان الله تعالىٰ يعطي كلاً حصته . فالصبر ولو بعض الشيء جميل .

الثعلب : التوكل الذي تقول به امر نادر لا يناسب الجميع ، والشاذ النادر لا يعتد به بل يدل علىٰ حماقة صاحبه . كما ان طلب العُلىٰ لا يراود اذهان الجميع .

وهكذا بقي الثعلب الماكر يسعىٰ لخداع الحمار المسكين ويتظاهر بانه سيرشده إلىٰ ربوة خضراء في حين انه يقوده بحسب الواقع إلىٰ انياب اسد يتضور جوعاً .

في الحقيقة ، لو كان للحمار عقل لبادر الثعلب وسأله

عن تلك الجنة الخضراء وخيراتها التي يصفها بعبارات ساحرة ولماذا لَمْ يظهر نعيمها عليه بالرغم من انه يعيش في وسطها ، بدلاً من أن يبدو عليه الضعف والنحول ؟

واخيراً اصغىٰ الحمار لكلام الثعلب المعسول وذهب معه ، ولم يكن قد اقترب من الأسد بعد حتىٰ هجم عليه الأسد فولىٰ الحمارُ هارباً ولم يلتفت .

فقال الثعلب للأسد : لِمَ تسرعت وتكلفت ؟ كان الأجدر بك أن تصبر حتىٰ يأتيك بنفسه فتصطاده بكل سهولة .

قال الأسد : كنت أظن اني لا ازال متمتعاً بقوتي السابقة ، بالاضافة إلىٰ ان الجوع لم يترك لي صبراً . لكن لا بأس ، فلو جلبته ثانية لتنعمت أنت أيضاً بلحمه .

فقال الثعلب : لو نسي ذلك الموقف المرعب حين هجمت عليه ، لتمكنت من خداعه ثانية . لكن لا ينبغي أن تتعجل هذه المرة أيضاً بمجرد اقترابه منك لئلا يفلت ثانية .

فقال الأسد : حسناً ، سأفعل ذلك .

توجه الثعلب إلىٰ الحمار ثانية .

فقال له الحمار : لن أرافقك أبداً . (في الحقيقه انما

يمثل الثعلب هنا الشيطان بالنسبة للانسان) .

فقال الثعلب معقباً علىٰ كلام الحمار : لِمَ هربت بسرعة . إنَّ ما رأيته لَمْ يكن اسداً . انما هو طلسم سحري بدا لك كالأسد ، والّا فكيف يُعقل أن أعيش أنا الأضعف منك هناك ؟ لقد جاء صاحب المرعىٰ بهذا الطلسم ليحول دون تجمع الحيوانات هناك ، والّا لامتلأت تلك الحديقة الغنّاء بالكثير من الفيلة و وحيد القرن و .... لقد تعمدت في تصرفي هذا معك لامنحك الشجاعة مقا بل ذلك الطلسم .

فقال الحمار : ألم تخجل من مواجهتي ، وأنت الذي عرّضت حياتي للخطر المحتوم ؟ لو لا أن نجاني الله تعالىٰ لمزقني ذلك الأسد . أغرب عن وجهي ، فصديق السوء أسوء من الأفعىٰ .

فقال له الثعلب : لا تتردد في صدق ما قلته لك . فما ذنبي عندما تعيش في عالم الخيال وتظن بي ظن السوء ؟ كن متفائلاً مع أصدقائك المخلصين ، ولا يثيرنك جفاءهم الذي تتوهمه بحقهم ، فالظن السيء يفرق بين الأخوة مهما كانا صميميين .

وهكذا كان مكر ودهاء الثعلب من جهة وجشع الحمار

من جهة أُخرىٰ ، السبب وراء عدول الحمار عن تصميمه السابق هو وقوعُهُ في الخديعة مرّةً أُخرىٰ مع انه كان قد تاب وأقسم أن لا ينخدع بكلام الثعلب ثانية .

علىٰ أيّ حال ، انه حمار أعماه الحرص وأصمَّهُ .

واخيراً ذهب الحمار برفقة الثعلب إلىٰ الأسد وما أن دنا منه حتىٰ وثب عليه الأسد ومزقه واكله لقمة بعد أُخرىٰ ، فلم يبق منه سوىٰ القلب والكبد وحينئذ ذهب الأسد ليشرب بعض الماء ويعود . فلما رجع لم يجد القلب والكبد ! فقد أكلهما الثعلب عند ذهاب الأسد لشرب الماء . فصاح الأسد علىٰ الثعلب وقال له أين القلب والكبد ؟

فقال الثعلب : لو كان لذلك الحمار قلب وكبد لما جاء ثانية إلىٰ الموت بمحض ارادته .

أجل ، هذا هو جزاء من ينقض توبته ويجرب المجرب ويعرض نفسه للهلاك بهذه الصورة .

* * *

١٦٤ ـ « الثور الحريص » :

رُويَ انَّ ثوراً كان يسرح في سهل أخضر طول النهار حتىٰ يقوىٰ ويشتد ، لكنه عندما يعود إلىٰ حظيرته في المساء يفكر في العلف الذي سيكون من نصيبه في اليوم التالي ، ويظلُّ هذا التفكير يساورُهُ كل ساعات الليل حتىٰ ينهكه ويسلبه تلك القوة التي اكتسبها في النهار ! وفي صباح اليوم التالي ينطلق إلىٰ المرج الاخضر ليسد جوعه نتيجة تفكيره في الليل . فلم يزل يسرح ويأكل إلىٰ المساء حتىٰ يشتد عوده ثانية ، لكنه لا يلبث ان يعود في المساء ليغرق في تفكيره كالعادة .

وهكذا توالت الأيام والليالي دون ان يترك له حرصه وجشعه الذي يأكل في نفسه فرصة للتفكير الصحيح ، وإنّه كان يعيش كل هذه السنين علىٰ خيرات هذا المرج الأخضر دون شحة أو نقص .

أجل ، اعلم يا أخي ان نفس الانسان مثل ذلك الثور

والمرج هو الدنيا التي يمرح فيها ويغتم لرزقه وما ينبغي فعله ، فيهدده تفكيره هذا وغمه حتىٰ تخر قواه .

١٦٥ـ«البحث عن الانسان»: أخذ أحد العقلاء بالبحث في وضح النهار في الأزقة والطرقات بكل دقة وتأمل وفي يده شمعة موقدة .

فسأله أحد المارة : ما الذي تبحث عنه بشمعتك هذه في وضح النهار ؟

العاقل : أبحث عن الانسان .

العابر : لاتتعب نفسك بلا فائدة ، فلطالما بحثت ولم أعثر حتىٰ علىٰ انسان واحد .

العاقل : واخيراً ، هل تعلم بوجود انسان أم لا ؟!

العابر : يوجد في السوق والحي الكثير من الرجال والنساء .

العاقل : اني أريد الانسان الذي يسيطر علىٰ نفسه في حالة الغضب والشهوة ، لا الانسان بحسب الظاهر .

العابر : انك تبحث عن شيء نادر جداً ! ....

١٦٦ ـ « مناظرة المسلم والزرادشتي » : دار حوار بين رجل مسلم وزرادشتي . فبادره المسلم بالقول : اسلم وكن مؤمناً .

الزرادشتي : لو شاء الله لآمنت ، بل لو شاء لبلغت مرتبة اليقين أيضاً .

المسلم : لا شك ان الله تعالىٰ يرغب في اسلامك وخلاصك من نار جهنم . لكن هوىٰ النفس والشيطان يحولان بينك وبين ذلك ، فيسلكان بك في دين الزرادشتية .

الزرادشتي : ان كلاً من الله والشيطان يسكنان في داخلي ، وكل يجذبني باتجاهه . ولابدّ لي ان اتبع الغالب منهما ، لأن ذلك العامل القوي سيجذبني نحوه جبراً شئت أم ابيت . ان دور الله كدور الذي يبني قصراً عالياً بنقوش وتصاميم رائعة ليجعله مسجداً ، فيأتي شخص آخر ويجعله كنيسة علىٰ خلاف مراد الأول .

المسلم : استمع ، الآن إلىٰ الجواب .

١ ـ الاختيار موضوع حسي ووجداني ، وهل يمكنك انكار الحس والوجدان اللذين هما من الأمور البديهية ؟

٢ ـ الأمر والنهي والتكليف الالهي ، دليل الاختيار ؟

٣ ـ القدرة شرط التكليف ودليل الاختيار .

٤ ـ المدح والثناء أو التوبيخ دليل الاختيار .

٥ ـ التربية والتعليم هما من مظاهر الاختيار .

٦ ـ الميول والرغبات تجسدان الاختيار .

وعلىٰ هذا ، فبطلان القول بالجبر هو من البديهيات الاساسية . كما ان ادلة المجبرة ما هي الّا نوع من انواع المغالطة الكلامية ليس الا .

٧ ـ الاختيار عند الحيوانات ، كاشف عنه عند الانسان بطريق اولىٰ .

لو تأملت في تصرف الحيوانات للمست فيها نوعاً من الاختيار . فمثلاً ، لو ان راعي الابل ضرب بعيره بالعصىٰ ، لغضب ذلك البعير وحاول الانتقام ، لكن لا من تلك العصىٰ التي مسّت بدنه ، بل من الراعي . بالضبط مثل الكلب الذي يهجم عليك لا علىٰ الحجارة التي تضربه بها . ومن هنا يظهر ان كلاً من الكلب والبعير يحسان بنوع من الاختيار . وحينما

تتمتع الحيوانات به فمن الاولىٰ ان يكون الانسان مختاراً .

ويجب ألّا يفوتك انّ الانسان انما يكون من المجبرة للتخلص من المسؤولية المترتبة علىٰ القول بالاختيار . فمثله كمثل الذي يستيقظ في منتصف الليل لتناول طعام السحور والاستعداد للصوم ، لكنه لحرصه الشديد يبقىٰ محدقاً في المائدة ويقول : لم يطلع الفجر بعد ، فيمكنني تناول المزيد من طعام السحور .

وهكذا يفوته الوقت وهو لم يتناول بعد حتىٰ لقمة واحدة بالرغم من سعة الوقت في بداية الأمر نظراً لحرصه الشديد الذي أصبح كالحجب التي تحجب ضياء الشمس .

١٦٧ ـ « توبة القائل بالجبرية »: القىٰ أحد الحراس القبض علىٰ لص . فقال اللص ، ما قمت به كان بارادة الله تعالىٰ وبدون اختياري .

فقال الحارس : لو عاقبتك فهذا أيضاً متعلق بارادة الله تعالىٰ . ولو ان أحد اللصوص سرق فجلاً من دكان وقال : هذا

ما شاءه الله تعالىٰ ، فاضربه عدة لكمات علىٰ وجههِ وقل له : وهذا أيضاً هو حكم الله بوجوب اعادة الفجل إلىٰ مكانه . بل لابدّ من القول بكوننا مختارين لئلا نقع في محذور التناقض بين احكام الله تعالىٰ .

تسلق شخص شجرة ليجني ثمارها . فجاء البستاني وقال له : ماذا تفعل هنا أيها اللئيم ، ألا تخجل من الله تعالىٰ ؟

فأجابه ذلك الشخص وهو علىٰ الشجرة : هذا البستان ملك لله تعالىٰ وبما انني عبد له فلا أتناول الّا الفاكهة التي خلقها هو . فلا داعي لتوبيخي ، وهل يصح أن تنسب البخل إلىٰ الله تعالىٰ الغني عن العالمين ؟

فأمر البستاني خادمه بجلب حبل كان علىٰ مقربة من هناك ليرد علىٰ اللص . فجاء الخادم بالحبل ، عندها شد البستاني اللص وأوثقه إلىٰ الشجرة باحكام ، وضربه ضرباً مبرحاً علىٰ ظهره واطرافه وكل بدنه .

فقال اللص : لماذا تضربني بلا سبب ، ألا تخجل من الله تعالىٰ .

قال البستاني : أنا لم افعل شيئاً ، بل الله تعالىٰ يضرب أحد عبيده علىٰ ظهره بعصا هو خالقها . فالعصا والضارب بها

والظهر والأطراف و ... كلها ملك لله تعالىٰ الفعال لما يريد .

حينئذ أدرك اللص مراد البستاني ، وتبين له ان المجبرة انما هم مختارون في تصرفاتهم . فقال : تبت الآن من القول بالجبر . لأننا نتمتع بكامل الحرية والاختيار .

١٦٨ ـ « جواب العاشق المحكم لمعترضيه » :

قام بعض المغفلين بملامة مجنون ليلىٰ وقالوا له : ما كل هذا العشق الذي نزل بك بالنسبة إلىٰ ليلىٰ .

فأجابهم : إنّ منظر ليلىٰ الذي ترونه هو كالجرة التي يسكب فيها الله تعالىٰ شراباً طيباً فاتذوقه بحلاوته فيما يبدو لكم كالخل . انكم ترون الجرة ثم تقولون ان هناك جراراً أجمل منها ، لكنني أرىٰ ذلك الشراب الطهور الذي تحويه الجرة ، انكم غافلون عن أمر الله تعالىٰ الذي يفيض اكثر من افاضة واحدة من منبع واحد .

* * *

١٦٩ ـ « الميزان الفاضح » :

كان لرجل امرأة سيئة تتلف كل ما يجلبه زوجها إلىٰ البيت . وذات مرة جلب هذا الزوج الذي ضاق ذرعاً من العيش مع زوجته ، نصف منٍّ من اللحم لضيوفه . فقامت المرأة بِطَهْيِ كل ذلك اللحم وأكلته لوحدها .

وحينما حضر الضيوف أمر زوجته باحضار الطعام .

فقالت المرأة : لقد سرقت القطة اللحم ، اذهب واشتر اللحم ثانية .

لكن الرجل الذي كان مطلعاً علىٰ أكاذيب زوجته ، أمر غلامه باحضار تلك القطة ليزنها . فلما أحضرها ، إذا بها تزن نصف منٍّ فقط . فالتفت إلىٰ زوجته وقال : أيتها الماكرة ، لقد كان اللحم لوحده أكثر من نصف منٍّ، في حين ان هذه القطة لا تزيد علىٰ نصف منّ.

إذن يا أخي ! لا تغفل عن ميزان يوم القيامة الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الّا أحصاها حتىٰ انه يكشف مثل هذه

الخيانات ويجعل الانسان أمام الأمر الواقع .

١٧٠ ـ « الزاهد الجريء » :

كان في زمن عيسىٰ (ع) أمير قد طلب من غلامه التوجه إلىٰ مكان معين ليأتي له بكوز خمر . فذهب الغلام إلىٰ ذلك المكان ورجع وهو يحتضن الكوز بين يديه متوجهاً إلىٰ الأمير . فصادفه اثناء عودته زاهد ، فشرع بتعداد مضار الخمر وحذره من عاقبة مثل هذه الامور طبقاً للوظيفة الالهية بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال له : مع ان شرب الخمر عمل قبيح في نفسه فانه يتسبب في زوال العقل أيضاً .

لكن الغلام لم يأبه بكلام الزاهد وواصل طريقه ، فغضب الزاهد وضرب الكوز بحجارة فكسره فأريق الخمر ، فهرع الغلام إلىٰ الأمير وقص عليه الحكاية ، وما ان سمع الأمير الحكاية حتىٰ جن جنونه وقال لغلامه : خذني إلىٰ بيت الزاهد لأحطم رأسه بالهراوة .

واخيراً وصل الأمير المغرور إلىٰ بيت الزاهد وأثار

هناك ضجة كبيرة ، فسمع الزاهد صوت الأمير وعلم بـالأمر وقـال فـي نـفسه : المـرآة تـعكس القـبائح . والذي يأمـر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ينبغي أن يكون في نفس الوقت كالمرآة الصلبة والواضحة التي تـعكس القـبائح ولا يـنتابه الخوف من أحد أبداً .

١٧١ ـ « مزاح ضياء البلخي » : كان في قديم الزمـان بمدينة بلخ أخوان أحدهما وسيم طـويل القـامة اسـمه « ضـياء البـلخي » والآخـر قصير القامة اسـمه « شـيخ الاسلام تاج » .

وكـان شـيخ الاسـلام الذي يـعدّ مـن الشـخصيات الاجـتماعية والسـياسية البـارزة مـغروراً ، ولشـدة غـروره واعجابه بنفسه كان ينظر إلىٰ اخيه بـاحتقار ويـحس بـالعار للأخوّة التي تجمعهما .

وذات مرة دخل ضياء البلخي إلىٰ مجلس اخيه ، وكان القضاة واشراف المدنية من ضمن الحـاضرين . فـلم يـنهض

شيخ الاسلام احتراماً لأخيه بل اقتصر علىٰ حركة خفيفة ثم ما لبث أن جلس ثانية .

وعندما شاهد ضياء البلخي تكبّر أخيه هذا خاطبه قائلاً :

تكبّرك هذا سرق المزيد من قامتك القصيرة ، حتىٰ أصبحتَ كالفرخ والأحدب !!

فتعجب الحضور وفرحوا لسرعة بديهة ضياء في جوابه هذا .

١٧٢ ـ « الخطأ الفاحش وهروب الضيف » :

حَلَّ شخص ضيفاً علىٰ أحد الأشخاص في ليلة ممطرة فاستُقبل استقبالاً حاراً من قبل رب البيت الذي كان قد أقام حفلاً خاصاً بمناسبة ختان أحد ابنائه وكان قد دعا الكثير من أقاربه ومعارفه . فأخذ الضيف إلىٰ غرفة خاصة منفصلة عن المحتفلين. ثم قال لزوجته علىٰ انفراد : ليكن فراش الضيف داخل الغرفة وفراشنا أنا وأنت خارجها ، ففعلت الزوجة

ذلك ثم عادت لأعمالها المنزلية . في حين جلس زوجها مع ضيفه في تلك الغرفة لوحدهما وشرعا بسرد القصص والحكايات إلىٰ وقت متأخر من الليل وكانت أمامهما بعض الفاكهة يتناولانها بين الفينة والأُخرىٰ حتىٰ شعر الضيف بالنعاس فذهب إلىٰ الفراش الواقع خارج الغرفة ونام هناك .

حارَ صاحب البيت وخجل من أن يخبر الضيف بان فراشه داخل الغرفة ، فتركه ينام في الفراش المخصص له ولزوجته ، ولكثرة انشغاله نسي أن يخبر زوجته بذلك .

وبعد أن فرغت المرأة من أعمالها ذهبت ـ وكما هو مقرر ـ إلىٰ الفراش خارج الغرفة (الذي يرقد فيه زوجها حسب تصورها) ، ثم دنت من الضيف (الذي اعتقدته زوجها) وتمتمت في اُذنه قائلة : زوجي العزيز ، لقد وقع ما كنت أخشاه ، فالمطر الغزير والطرق الطينية المبللة ستطيلان من فترة اقامة ضيفنا عندنا .

وما أنْ سمع الضيف هذا الكلام حتىٰ أخذته الغيرة فنهض من مكانه منزعجاً ليترك البيت وقال : ايتها المرأة ! لا تقلقي ، فلدي حذاء طويل الساق يساعدني علىٰ عدم الارتكاس في الطين.

فالتفتت المرأة إلىٰ خطئها الفادح لدىٰ سماعها كلام الضيف وندمت كثيراً ولفّها الخجل والحياء ثم أخذت تعتذر وتقول للضيف بأنها كانت تمزح ، لكن هيهات فقد ذهبت مساعيها أدراج الرياح كما ذهب الضيف بعيداً عن المنزل .

فقضىٰ الرجل وزوجته تلك الليلة في غم وحزن شديدين لذهاب ضيفهما بصورة غير طبيعية لأنهما كانا السبب وراء ذلك .

وبعد تلك الحادثة بفترة سمع الرجل وزوجته هاتفاً يهتف في داخلهما ويقول : لقد كنت لكم عوناً مثل الخضر (ع) ، وأردت أن أدلكم علىٰ مائة كنز ، لكن ماذا أفعل حين لا تكون تلك الكنوز من نصيبكم ؟!

إذن ، لا تغفل يا أخي ، ورحب بالأفكار التي تراودك لأنها تعدّ بمثابة ضيوفك ، واعلم بان تحقيق الأفكار وجني ثمارها مرهون بسعيك لصفاء نفسك ونقائها . كما ينبغي ألّا يفوتك أيضاً بان الأفكار التي تصطحب معها الغم والحزن تعد بمنزلة الضيوف التي يجب استقبالها بدل طردها ، لأنها تقوم بصقل شخصيتك وإيقافك علىٰ سلبياتك والسلوك بك

في خاتمة المطاف في الصراط المستقيم . فقد استضاف ايوب (ع) الغم والحزن سبع سنين وبقي طيلة تلك الفترة شاكراً لله تعالىٰ ، وقد بلغ بسلوكه السوي هذه مرحلة سامية من الرضا الالهي التي تجعله يحس بطعم البلايا وكأنها العسل .

١٧٣ ـ« تخاذل الصوفي في ساحة المعركة » :

ذات مرة ، نشبت معركة ضارية مع العدو فهرع الأبطال إلىٰ الجبهة وكان برفقتهم أحد المتصوفة إلىٰ الجبهة لصد ذلك العدو . فتقدموا إلىٰ الخطوط الامامية وحملوا علىٰ العدو حملة رجل واحد وانتصروا عليه وعادوا بغنائم كثيرة .

فقرروا اعطاء البعض من تلك الغنائم لرفيقهم الصوفي الذي أقعده الخوف عن مواجهة العدو عندما حمي الوطيس .

فأبىٰ الصوفي قبول شيء من تلك الغنائم وقال : يجب أن أُحرم من الغنائم كما حرمت نفسي من الاشتراك في

القتال.

فقالوا له : يوجد لدينا أسير مهدور الدم ، خذه واقتله لتسهم في القتال.

ففرح الصوفي لاقتراحهم هذا وذهب بالأسير الموثق اليدين إلىٰ خلف إحدا الخيام ليقتله ولكن طال به المقام حتىٰ راود الشك والقلق أصحابه واستغربوا لتباطئه هذا في أداء مهمة يسيرة كهذه.

واخيراً ذهب أحدهم وراءه لاستطلاع الأمر فاذا بالكافر الموثق اليدين جاثياً علىٰ صدر الصوفي وقد شد عليه الخناق باسنانه حتىٰ أغمي علىٰ الصوفي واخضلّت لحيته بالدم المتدفق من عنقه.

فاجتمعوا حوله وقتلوا الكافر في الحال وخلصوا الصوفي من قبضته ، فلما أفاق سألوه : كيف تغلب عليك أسير موثق اليدين ليس له حول ولا قوة ؟

فأجابهم الصوفي : حينما عزمت علىٰ ضرب عنقه ، حدق اليّ بنظرات مريبة حتىٰ شعرت وكأنني اواجه جيشاً عظيماً لا أول له ولا آخر ، فانتابني الخوف و الهلع حتىٰ فقدت الوعي.

فقالوا له : من الأفضل لك الانـزواء فـي احـدىٰ زوايـا مطبخ الخـانقاه بـدل الذهـاب إلىٰ الجـبهة ، لئـلا يـفضحك خوفك وضعفك هـذا . فـما عسـاك أن تـفعل أمـام سيوف الأبـطال وأسـنة الرمـاح فـي سـوح القـتال ، وقـد ارتـعدت فرائصك من أسير مقيد كهذا ؟

أجل أيها العاجز ! اعلم ان هوىٰ النفس هو ذلك الكافر المقيد ، فلا تستسلم للغرائز الحيوانـية وتشك فـي ايـمانك واعتقادك ، والّا فستُغلب علىٰ أمرك .

١٧٤ ـ« جزاء تهوّر امبراطور مصر » :

في قديم الزمان كـان يـحكم مـصر امـبراطـور مـتكبّر خـمار يـبحث عـن المـلذات . وفـي يـوم مـا أخبره أحد عيونه بأنّ أمير الموصل (قسم مـن العـراق الحـالي) يـمتلك جـارية فـائقة الجمال فريدة في حسنها ودلالها ، وعرض عـليه صـورتها التي كان قد خطها علىٰ ورقة .

فلما رأىٰ الامبراطور تلك الصورة سحره جمالها ففقد

صوابه حتىٰ سقط الكأس من يده لشدة تأثره ، فاستدعىٰ أحد قادته الشجعان حالاً وأرسله علىٰ رأس جيش عظيم إلىٰ ولاية الموصل ليأتيه بتلك الجارية وخوله بتدمير الموصل إذا أبىٰ أميرها تسليمها إليه .

توجه القائد نحو الموصل وحاصرها من كافة الجهات ووضع علىٰ كل مرتفع منجنيقاً ، ثم شرع باطلاق السهام والحجارة لمدة اسبوع كامل حتىٰ دمر العديد من المنازل واوقع الكثير من الضحايا حتىٰ اضطر أميرها إلىٰ ارسال رسول إلىٰ القائد ليخبره باستعداده لتلبية كل طلباته بشرط التوقف عن القصف واراقة الدماء .

فقال القائد لرسول الأمير : نحن لا نريد منكم شيئاً سوىٰ صاحبة هذه الصورة ، وأراه صورة تلك الجارية .

فلبىٰ الأمير طلبه وارسل الجارية إلىٰ القائد بكل سرور .

وحينما رأىٰ القائد الجارية وجمالها الفاتن غلبت عليه شهوته واذهبت عن باله انه جندي من جنود الامبراطور وان خيانته تكلفه رقبته ، بل انه نسي معنىٰ الخوف في تلك اللحظة . وما أنْ خلا بها ليواقعها حتىٰ ارتفع صياح الجنود من كل جهة . فخرج من الخيمة فاذا بالجنود مذعورين

والخيول تعبث بالحظيرة والخيام رأساً علىٰ عقب وهي تشرّق وتغرب . فعلم أنّ أسداً قد حمل عليهم من الغابة القريبة منهم . فهجم علىٰ الأسد وفتك به ثم عاد إلىٰ خيمة الجارية وكأن شيئاً لم يحدث . وبعد أن نال مراده من الجارية وهدأت نار شهوته ، احس بالحسرة والندامة وتيقن بان الامبراطور سيقتله لو علم بخيانته هذه . فاخذ علىٰ الجارية ايماناً مغلظة بألّا تُخبر الامبراطور بالأمر .

بعد ذلك توجه بجنوده ومعه الجارية إلىٰ بلاده وحينما وصلها اخذ الجارية إلىٰ الامبراطور وقدم له تقريراً عن سفرته تلك .

وما أنْ وقع نظر الامبراطور علىٰ الجارية حتىٰ سرقت منه قلبه ولبه فاخذها إلىٰ احدىٰ الغرف وحينما خلا بها علىٰ السرير ليواقعها هاله صوت خشخشة الفئران التي كانت تعبث تحت السرير ظناً منه بان هناك حية ما . فغرقت الجارية في الضحك حتىٰ احتمل الامبراطور بوجود سروراء ضحكتها المتواصلة تلك ، فوعدها باعتاقها لو قالت الحقيقة وبضرب عنقها في غير تلك الصورة .

فقصت الجارية الحكاية بكاملها علىٰ الامبراطور

وكيف انّ قائده قد خانه ، وانه لم يرتبك من مواجهة أسد ضار بل تقدم اليه وفتك به ، في حين ان فرائصك قد ارتعدت لصوت الفئران تحت السرير .

وهنا التفت الامبراطور إلىٰ سوء عمله وقال في نفسه : لو لم تغتصب جارية الغير لم يطمع أحد في اغتصاب جاريتك أيضاً . هذا هو جزاء عملي الشنيع .

أي أنَّ من يتعرّض لسمعة الآخرين فهو في الحقيقة انما يعرّض سمعته للطعن .

ولهذا عفا الامبراطور عن القائد ، وامر الجارية بألّا تخبره باطلاعه علىٰ خيانته تلك .

جاء في الروايات عن الامام الصادق (ع) : ان الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ (ع) : لا تَزْنِ لئلّا تتسبب في اقدام نسائك علىٰ الزنا . من خان امرأة مسلمة فقد خان زوجته ، واعلم بانك كما تدين تدان .

كما قال (ع) : عفوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم .

* * *

١٧٥ ـ « اياز وكسره للجوهرة الثمينة » :

ذهب السلطان محمود الغزنوي في احدىٰ الأيام إلىٰ مقر رئاسة الوزراء ، وكان قد حضر هناك ما يقارب من الستين شخصية رفيعة من شخصيات الدولة .

فأخرج السلطان جوهرة فريدة من الخزانة وبادر بسؤال الوزير عن قيمتها ؟

الوزير : اكثر من مائة حمل حمار من الذهب .

السلطان : اكسرها .

الوزير : كيف أتمكن من كسرها ؟!

ففرح السلطان لاخلاص الوزير هذا وحياه .

وبعد التحدث مع بقيّة المسؤولين لمدة ساعة تقريباً ، اعطىٰ الجوهرة لرئيسهم وقال له : اكسرها .

رئيس المسؤولين: من الحيف كسر مثل هذه الجوهرة ، وهل لي عداوة مع خزانة الدولة ؟! كيف يمكن أن تُقدم يدي علىٰ عمل كهذا ؟!

فحباه السلطان وخلع عليه الكثير من العطايا أيضاً .

ثم اعطىٰ الجوهرة لرئيس الحرس . لكنه ابىٰ أن يكسرها أيضاً ، فحصل علىٰ المزيد من العطايا .

بعد ذلك أعطاها لأحد ضباطه وقال له : اكسرها .

الضابط : لا ، أبداً . كيف أكسرها وأحرم بيت المال من مثل هذه الحلي والزينة ؟ فنال هو أيضاً عطايا السلطان .

وبهذا ، فقد كرر اكثر من خمسين أو ستين مسؤولاً كبيراً ، كلام الوزير بعدم كسرها .

واخيراً اعطىٰ السلطان محمود الجوهرة لـ« اياز » وقال له : كم تساوي هذه الجوهرة ؟ اياز : اكثر مما أتصور .

السلطان : أكسرها . فلم يتردد اياز لحظة وضربها بحجارة فكسرها .

فأبدىٰ القادة والمسؤولون استياءهم واعتراضهم علىٰ كسرها .

فأجابهم اياز : أيهما أهم ، أمر السلطان أم الجوهرة ؟! لقد قدمت رأي السلطان علىٰ الجوهرة . وهل يعقل أن تشغلني جوهرة جامدة فاقدة للحس والشعور عن أمر السلطان ؟

أيها السادة ! لا تركعوا الزينة الدنيا . فالجوهرة الحقيقية هي أمر السلطان الذي خالفتموه بكل صراحة .

فزلزل هذا الجواب المحكم لاياز مكانة كل مسؤولي الدولة عند السلطان ، وجعلهم يلتفتون إلىٰ حقيقة الأمر ويبدون ندمهم وحسرتهم . كما انه اثار غضب السلطان ودعاه ليحكم عليهم بالاعدام ، فقال لجلاده : لا يليق هؤلاء بادارة الدولة ، لأنهم يرجحون حجارة ملونة « جوهرة » علىٰ أمرنا .

فأمسك اياز بذيول السلطان متوسلاً به وأخذ يشفع لأُولئك المسؤولين ويصر علىٰ السلطان بضرورة العفو عنهم ، وقال : ارجو المعذرة لاني تجرأت وطلبت منك عفوهم . فأنا أدنىٰ من أن أشير عليكم بأمر .

أجل ! لو انطلقت من المحبة ، لعصرت السم ليتقطر منه العسل .

* * *

١٧٦ ـ « هـدف الانسـان وهـمته تـعكسان عظمته أو حقارته » :

بـينما كـان أحـد الوعـاظ يـتحدث عـلىٰ المنبر سأله شخص قائلاً : لو حط طـائر عـلىٰ مـرتفع فهل سيدل رأسه أم ذيـله علىٰ عظمته يا ترىٰ ؟!

الواعظ : لو كان ذلك الطائر مستقبلاً المدينة مستدبراً القرية ، فرأسه اشرف وارفع والعكس صحيح .

المدينة هنا تمثل مصدر الفضائل ، بينما تمثل القرية الجهل والركود .

أي انّ عظمة ذلك الطـائر وحـقارته مـرتبطة بـالهدف الذي يبغيه وبالهمة التي تحركه باتجاه هدفه ذاك .

وعلىٰ هذا ، فعظمة الانسان ووضاعته متوقفتان أيضاً علىٰ الهدف الذي يصبو إليه .

قال الامام علي : قدر الرجل علىٰ قدر هـمته . (نـهج البلاغة ـ الحكمة ٤٧) .

* * *

١٧٧ ـ « مظاهر الدنيا » :

كـان لشـخص غـلامٌ أسودٌ قد جهد في تـعليمه وتربيته ، كـما كـان له بـنت ذكية وجميلة تقدم الكـثير لطلب يدها . لكن أباها رجح الدينَ والعلم علىٰ الثروة فزوجها فـي خـاتمة المـطاف مـن شاب متدين خلوق .

بعد فترة علم الغلام بهذا الزواج فحزن كثيراً لأنه كان ولعاً بحب ابنة سيده لكنه لم يجرؤ علىٰ الافصاح عن ذلك . فدام حزنه هذا حتىٰ غدا طريح الفراش وظهر عليه الضعف والنحول يوماً بعد آخر ، ولم يقف الأطـباء الذيـن عـالجوه علىٰ حقيقة الأمر .

وفي أحد الأيام قال السيد لزوجـته : انكِ بـمثابة الأم لهذا الغلام ، فترددي عليه وحاولي معرفة ما يخفيه عنا . لأن مرضه نفسي علىٰ ما أعتقد .

فلبت المرأة طلب زوجها واقتربت من الغلام بالتدريج حتىٰ صارحها بحبه لابنتها ، فغضبت كثيراً وكادت أن تضربه

علىٰ وجهه لكنها صبرت فقصت الحكاية علىٰ زوجها .

فقال الزوج لزوجته : العلاج الوحيد الذي بين أيدينا هو أن نخدع الغلام ليستعيد صحته وعافيته ، ثم بعد ذلك نسعىٰ لقتل الحب الذي يكنه في قلبه بالنسبة للفتاة . من الأحسن أن تخبريه الآن بأن يصبر بعض الوقت حتىٰ نستعيد البنت من الغرباء ونزوّجها له .

وحينما أخبرته السيدة بذلك فرح فرحاً شديداً وتحسنت صحته بالكامل . وبعد نجاح هذه الخطوة أقام السيد حفل الزواج ، لكنه ارسل رجلاً متنكراً بلباس العروس ، خفية إلىٰ غرفة الزواج مع الغلام .

انقضت تلك الليلة ، فاخذوا الغلام العريس في الصباح إلىٰ الحمام كالعادة . ثم جلست ابنة السيد إلىٰ جانب العريس الذي جاء من الحمام ، فتأملها قليلاً ثم وضع اصبعيه أمام عينيها ليهينها وقال لها : لا أتم الله وصالك مع أحد . كان ذاك وضعك بالليل وهذا هو وضعك بالنهار .

عزيزي القارىء الغرض من ذكرنا لهذه الحكاية هو ان :

ملذات الدنيا وبريقها لها ظاهر حسن جميل حتىٰ انّها لتبدو صافية كالماء الزلال ، لكنك حين تدنو منها لا تجد الّا

سراباً يحسبه الظمآن ماء .

١٧٨ ـ « اللصّ المخفي قرب صاحب المنزل » :

ذات ليلة دخل أحد اللصوص في أحد المنازل خفية ، فسعل صدفة سعالاً طرق صوته سمع صاحب المنزل فنهض ليشعل الشمعة ويبحث عن صاحب السعال . لكن اللص جاء بهدوء ووقف بالقرب منه بحيث لا يشعر ، وحينما أراد اشعال الشمعة وضع اللص اصبعه عليها واطفأها .

فقال صاحب المنزل مع نفسه وقد شغله ظلام الليل الدامس عن رؤية اللص حين اطفأ الشمعة : لقد حالت الرطوبة حتماً دون اشتعال الشمعة .

فاحذر يا أخي ولا تسمح للهوىٰ والجهل والظلام أن يتغلبوا عليك ويطفئوا شمعة قلبك ليجعلوك في ظلام حالك يحول بينك وبين ادراك ما يدور حولك فتعيش في غفلة .

حافظ علىٰ نور قلبك واستق الرأي السديد منه عملاً بقول النبي (ص) : استفت قلبك وإنْ أفتاك المفتون .

١٧٩ ـ « عقل ثلاثين شخصاً في رأس واحد » :

كان السلطان محمود الغزنوي يعطي ايازاً حقوقاً تعادل راتب ثلاثين اميراً لشدة حبه له .

فاستاء القادة ورجال الدولة من هذا الوضع ودفعهم الحسد للذهاب إلىٰ السلطان والاعتراض فقالوا : لا يمتلك اياز ثلاثين عقلاً ليستحق ثلاثين راتباً .

فأراد السلطان أن يوقفهم علىٰ السرّ وراء حبه لاياز ويثبت لهم لياقته للثلاثين راتباً تلك .

فذهب ذات مرة برفقة ثلاثين اميراً من اولئك المعترضين إلىٰ الصحراء ، وشاهد عن بعد قافلة تسير باتجاه ما .

ففرق السلطان بينهم ، ثم قال لاحدهم : اذهب واسأل تلك القافلة عن مقدمها .

فذهب الأمير واستفسر ثم عاد وقال : من الري .

فسأله السلطان : وأين مقصدها ؟

فاعتذر الأمير لأنه لم يسأل هذا السؤال .

فأجازه السلطان بالانصراف وأحضر أميراً ثانياً وقال له : سل عن مقصدها .

فسأل الأمير ثم رجع وقال : اليمن.

فسأله السلطان : أعرفتَ بضاعتها ؟

فاعتذر الأمير كصاحبه إذ لم يسأل هذا السؤال أيضاً .

فرخصه السلطان وطلب ثالثاً وقال له : اسأل عن بضاعتها .

فاستفسر ثم عاد وقال : اوانٍ مصنوعة في الري .

فسأل السلطان عن يوم خروجها من الري ؟

فاعتذر هذا أيضاً من السلطان .

فصرفه السلطان كالعادة وطلب اميراً رابعاً ليسأل عن يوم حركتها .

وهكذا ارسل السلطان ثلاثين اميراً إلىٰ تلك القافلة كل يسأل سؤالاً واحداً ويرجع بجواب واحد لا غير .

بعد ذلك التفت السلطان اليهم وقال : لقد اختبرت ايازاً ذات مرة وطلبت منه الاستفسار عن مقدم احدىٰ القوافل التي صادفتنا . فذهب وسأل كل تلك الاسئلة من دون أية

اشارة مني إليها لا من قريب ولا من بعيد وقد حصل على كل الأجوبة بذهاب واياب واحد فقط .

وعلى هذا ، فمنحي لهُ ثلاثين راتباً انما هو بسبب لياقته التي تحل ما يستعصي على ثلاثين من امثالكم .

١٨٠ ـ « مسألة الجبر وجواب السلطان محمود الغزنوي » : من الحجج التي يتذرع بها المجرمون هي ارجاع الذنوب إلى الجبر ، أو القول بان الله تعالى قد اختص الصلحاء بحظ وافر، ولو اننا حظينا بمثل ما حَظَوْا به لأصبحنا مثلهم ، وذلك للحطّ من منزلتهم الرفيعة .

وذات يوم قال قادة الجيش للسلطان محمود فيما يتعلق بلياقة اياز وفطنته : إنّ امتلاك اياز لمثل هذا الذكاء والخبرة هو من الله تعالى ، فضلاً عن تشجيعك المنقطع النظير له .

قال لهم السلطان : لقد ذهبتم بعيداً ، فرفعة الانسان أو ضعته مرهونتان بسعيه أو بخموله . والّا فلماذا قال آدم (ع)

في مقام توبته لتركه الأوْلىٰ : « رَبَّنَا إِنَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا » (الأعراف ـ ٢٣) .

ألم يكن بمقدوره القول بان : الحظ والجبر قد ارغمانا علىٰ ارتكاب الذنب بترك الاولىٰ ؟

أجل ، فقد أوكل الشيطان ذنبه إلىٰ القضاء والقدر ونسبه إلىٰ الله تعالىٰ فقال : « رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ... » (الاعراف ـ ١٦) .

تأملوا جيداً ، الم يكن ترددنا امام أحد طريقين ، خير شاهد علىٰ حريتنا واختيارنا .

إذن ، لا تنسبوا الذنب إلىٰ الآخرين ولا تتعللوا بالقضاء والقدر . ينبغي ان يلوم كل واحدٍ منا نفسه في حال ارتكابه للذنب ، وليعلم ان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، كما صرح القرآن الكريم بذلك .

١٨١ ـ « الطائر الضعيف والرجل المتلبس بالأعشاب » :

ذهب صياد إلىٰ البادية واخفىٰ نفسه بين الأعشاب ونصب فخاً ونثر بعض الحبوب منتظراً وقوع الطيور فيه .

فحلقت حمامة فوق تلك المنطقة المعشبة فشاهدت

ذلك الرجل قد ضاع بين الأعشاب .

فقال الصياد : اني رجل زاهد قد انقطعت عن الدنيا واتيت إلىٰ هنا لأتفرغ للعبادة .

فقالت الحمامة : لقد نهىٰ النبي (ص) عن الرهبانية وعدّها بدعة وقال : لا رهبانية في الاسلام ، واعتبر صلاة الجمعة والجماعة شرطاً لقبول بقيّة الطاعات وأوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمر بالانفاق والأخذ بيد الضعفاء كما أكد علىٰ أنَّ خير الناس أنفعهم للناس . فهذه كلها تدل علىٰ اجتماعية الدين الاسلامي ورفضه لحالة الرهبنة والانزواء .

فقال الصياد : ذلك الذي تفضلت به لا أساس له من الصحة ، فالعزلة أفضل من مجالسة رفاق السوء ، لانهم يُغوون الانسان السوي ويخرجونه عن الطريق السوي .

قالت الحمامة : الهدف من الجهاد الذي يحث عليه الاسلام هو ضمان التواجد الفعّال في المجتمع والحد من القبائح ومنع تسلل العدو .

قال الصياد : صحيح ، لكن الجهاد مرهون بالقدرة . عندما يفقد الانسان القوة ، ينبغي عليه الانسحاب والتفرغ

لتصفية النفس وتزكيتها .

وبينما هما يتحاوران ، وقع نظر الحمامة علىٰ حبات القمح التي تحيط بالمصيدة في حين أنَّ حرصها منعها من رؤية نفس المصيدة ، فسألت الصياد عن صاحب هذا القمح ؟

فأجابها الصياد قائلاً : إنّه أمانة ومُلك ليتيم لا وصي له ، ولا يجوز تناول شيء منه الّا للضرورة .

فدفعها هوىٰ النفس المتسلط عليها للتذرع بذريعة الضرورة والاضطرار وانهالت علىٰ حبات القمح تلتقطها حتىٰ سقطت علىٰ حين غرة في الفخ وارتفع أنينها وشكواها ، لكن ما جدوىٰ ذلك ، كان من الأحرىٰ بها التنبؤ بهذا قبل وقوعه .

فقالت الحمامة وقد قيدها الأسر : هذا جزاء الحريص الأحمق الذي ينخدع بكلام المتحلّين المحترفين لحالة الزهد .

فأجابها الصياد المتظاهر بالزهد : هذا جزاء من يأكل مال اليتيم بطريق غير شرعي !!

فانفجرت الحمامة بالبكاء لسماع كلام الصياد هذا وشرعت بالدعاء والمناجاة .

فاحذر يا أخي ! وإياك ان تغفل عن الفخ الذي يحيط بالشهوات وتلهيك زينة الحياة الدنيا وزخرفها . واستعد قبل الموت وفوات الأوان . والّا فلا جدوىٰ من الحسرة بعد خراب البصرة كما يقال .

ولو أنّ العناية الالهية احاطت بك لأيقظتك من غفوتك وغفلتك حتىٰ تصبح كالظمآن الذي يفتح فاه لمجرد سماعه خرير الماء عَلَّهُ يقطر في فمه .

١٨٢ ـ « الحريص البائس » : كان لرجل خروفٌ قوي وقد وضع في عنقه حبل وأمسك بطرفه وأخذ يجره خلفه .

فجاء لصّ وقطع الحبل وأخذ الخروف . وعندما التفت الرجل إلىٰ ذلك أخذ بالبحث عن اللص هنا وهناك حتىٰ وصل إلىٰ بئر فاذا به يجد اللص هناك . فتوجه إليه لينتزع منه خروفه .

فلما رآه اللص شرع بالصياح والنياح وبادره وهو بعد لم يتفوه بكلمة واحدة وقال : لقد سقطت محفظة نقودي

الحاوية علىٰ مبلغ خمسمائة درهم ذهباً في البئر . فلو نزلت إلىٰ البئر واعدتها الي لوهبتك خُمس ذلك المبلغ (مائة درهم) .

ففكر صاحب الخروف مع نفسه واخذ يضرب الأخماس بالأسداس وقال : إنَّ قيمة الخروف لا تتجاوز العشرة دراهم ، في حين انني سأحصل علىٰ مائة درهم لو جئت بالمحفظة .

فصرفه حرصه عن الخروف ، فخلع ملابسه ونزل إلىٰ البئر للبحث عن المحفظة . وفي هذه الأثناء أخذ اللص ملابسه بصحبة خروفه وهرب .

بعد ذلك خرج من البئر بخفي حنين وقد انهكه البحث والتنقيب ، فلم يجد ملابسه وعلم أنَّ اللص قد أخذها معه .

وهنا وقف علىٰ الحقيقة عارياً حائراً وأدرك الوبال الذي يجره الحرص والطمع علىٰ صاحبه حتىٰ يذهب به بعيداً ويغرقه في الأوهام ويشوّه سيرته الحميدة بصفته الشنيعة تلك .

نعم ، هذه هي نتيجة الشح والطمع التى تسلب الانسان القدرة علىٰ التشخيص وتوقعهُ في التهلكة .

١٨٣ ـ «سارق بضاعة العمر»: حلّت احدىٰ القوافل بعد سفر شاق في مكان ما للمبيت فيه بعد حلول الظلام علىٰ امل مواصلة الطريق في الصباح الباكر.

وبعد تناول العشاء ذهب أهل القافلة للنوم تاركين أحدهم لحراسة البضاعة والجمال، ولكن لسوء حظهم نام الحارس أيضاً. وحدث من باب الصدفة ان مر من هناك لص فاستغل الوضع وسرق ما بحوزتهم من بضاعة و جمال وهرب من دون أن يشعر به أحد، حتىٰ ايقظهم الحارس بصراخه المفتعل وضربه علىٰ الطبل صائحاً: اقبضوا علىٰ اللص قاطع الطريق، مع انه هو الذي شجع اللص بغفلته وغفوته تلك والّا لما وقع ما وقع.

فسأله اصحابه: أين البضاعة والجمال؟

فقال: لقد أخذها لصوص مقنعون وأنا أنظر اليهم.

فعاتبوه وقالوا له: لم بقيت كالجثة الهامدة ولم تحرك ساكناً، ولم تؤدِ واجبك ؟!

فقال لهم : لم يكن بوسعي مقاومتهم لوحدي لانهم كانوا مسلحين.

فقالوا له : عندما لم تتمكن من مقاومتهم ، ألم تتمكن من الصراخ أيضاً لتوقظنا ؟!

فقال لهم : لقد أردت أن أصرخ فهددوني بالقتل إن أنا فعلت ذلك !

فالحق يا أخي ! ان الشيطان هو ذلك اللص الذي يسرق عمرك .إذ لا معنىٰ لتوبتك وقراءتك الفاتحة والمعوذتين وقد انقضىٰ عمرك أو يكاد .

مع ذلك ، لا تيأس ولا تغفل ، بل استغل كل فرصة للتوجه إلىٰ الله تعالىٰ ، وتب واصلح نفسك وتفاءل بالخير فقد قال تعالىٰ : لكي لا تأسوا علىٰ ما فاتكم ....

* * *

١٨٤ ـ « قابلية العاشق » :

الهب نار الفرقة قلب أحد العشاق لفراق حبيبه سنين طويلة . حتىٰ رآه المعشوق ذات مرة وقال له: تعال الليلة إلىٰ الغرفة المعيّنة لنتناول معاً الغذاء الذي طبخته .

ففرح العاشق كثيراً لهذه البشرىٰ السارة وقدم قرباناً لله تعالىٰ ووزع الكثير من النقود علىٰ هذا وذاك .

وفي الليل ذهب إلىٰ تلك الغرفة واتكأ منتظراً قدوم معشوقه . لكن المعشوق تأخر بعض الشيء فاخذه النعاس ونام علىٰ تلك الحالة .

وبعد منتصف الليل جاء المعشوق فاذا بعاشقه غارقاً في النوم . فقص قليلاً من كم ثوبه ، ووضع عدداً من الجوز في جيبه وخرج ، كناية عن انك أيها العاشق لا زلت طفلاً صغيراً لا يناسبك الّا اللهو واللعب بدلاً من العشق والمعشوق .

وبعد ساعة استيقظ العاشق من النوم ورآىٰ كم ثوبه والجوز الذي في جيبه ، فعرف من خلالهما مراد معشوقه .

إنْ دلّ هذا علىٰ شيء فانما يدل علىٰ العشق المجازي يا أخي ، فلا تتوهم واعلم ان العاشق الحقيقي لله تعالىٰ ينبغي ألّا يلهيه الأكل والنوم عن العشق والارتباط به تعالىٰ . وهذا يحصل عندما يتخلىٰ عن الارتباط بالدنيا والركون اليها ويجسد عشقه لله تعالىٰ بشكل عملي بدل السعي وراء ملذات الدنيا الزائلة .

١٨٥ ـ « العاشق من أصحاب النبي (ص) » :

كان هلال الذي هو أحد اصحاب النبي (ص) مولعاً جداً بالسير والسلوك إلىٰ الله تعالىٰ ، وكان سيده يعهد إليه بالأعمال الوضيعة لأنه كان ينظر إلىٰ صورته غافلاً عن سيرته .

وذات مرة أقعده المرض عدة أيّام وعلم النبي (ص) بذلك عن طريق الوحي ، فذهب لعيادته وبينما هو (ص) في الطريق أخبروا سيد هلال بمجيء النبي (ص) إلىٰ المنزل . فطار فرحاً ظناً منه بان النبي (ص) قد قصده هو . لكن النبي (ص) أخبره بأنه لم يقصده بالخصوص .

فقال السيد بتواضع : ما دمت لم تأتِ لزيارتي يا رسول الله (ص) ، فأرجو اخباري بمستحق هذه الزيارة الميمونة لأتبرك بتراب قدميه .

وحينما وقف النبي (ص) علىٰ تواضع هذا السيد وشفقته تأمله وقال مبتسماً : لقد جئت للاستفسار عن صحة هلال .

فقال السيد : انه يهتم بالخيل والبغال في الحظيرة ، ولذلك لم أره منذ أيام ولا أعلم بحاله .

فتوجه النبي (ص) إلىٰ الحظيرة وبدأ البحث عن هلال الذي كان قد افترش زاوية ضيقة مظلمة من أرض الحظيرة . وما ان شم أنف هلال عبير النبي (ص) ، حتىٰ نهض نشيطاً كالأسد وكأن عطر يوسف (ع) المفعم بالحيويّة والنشاط الذي دبَّ في نفس يعقوب (ع) قد هب عليه .

فألقىٰ هلال بنفسه علىٰ قدمي النبي (ص) بينما وضع النبي (ص) خده علىٰ خد هلال وسأله عن احواله .

فقال هلال : حالي مثل حال الكلب الذي يستيقظ من النوم فيرىٰ نفسه وقد صار اسداً قوياً لا يهاب الأسنة والرماح . أنا مثل ذلك البصير العاجز الذي يزحف كالحية

وفجأة يرىٰ نفسه في بستان جميل وقد ارتد إليه بصره وكأن نسيم الربيع يداعبه.

لقد كان هلال كالبدر الزاهر الذي تغطيه السحب، ضائعاً خلف الحجب، لكنه لا يلبث ان يزيلها علىٰ ضوء تعاليم الاسلام تدريجياً.

أجل يا أخي، لابدّ من السعي لنيل المطلوب فانّ من جدّ وجد. ولابدّ أن يتدرج الانسان في بلوغ الكمال حتىٰ ينال ما يصبو إليه. أمّا الذين يطلبون الكمال بين عشية وضحاها، فانهم يخالفون ناموس الطبيعة بتهور.

١٨٦ـ «الحكم الجائر للقاضي، وجزاؤه»:

ذهب مريض إلىٰ طبيب وشكا إليه علته. وبعد اجراء الفحوصات اللّازمة عليه وقياس نبضه، استبعد الطبيب احتمال تحسن صحته من مرض السل الذي ألم به، فقال له: افعل ما يحلو لك لتستعيد صحتك وسعادتك، ولا تجهد نفسك بالصبر والتحمل لانهما يزيدان من حدة مرضك.

بعد ذلك خرج المريض إلىٰ الصحراء ، فمر بجدول علىٰ حافته صوفي يغسل وجهه ويديه واشعة الشمس تنعكس من رقبته الملساء . فتمنىٰ ان يصفع ذلك الصوفي علىٰ رقبته ، وطبقاً لتوصية الطبيب بضرورة اداء ما يرغب فيه : فقد اقترب منه وصفعه علىٰ رقبته صفعة قوية .

نهض الصوفي غاضباً وأراد الرد عليه بلكمة قوية . لكنه وجده ضعيفاً لا يقوىٰ علىٰ تحمل ولو ضربةً واحدةً بسبب مرض السل الذي فتك به فتكاً . فقال في نفسه مخاطباً المريض : يا من تصفع الناس لا تستبعد اليوم الذي تُصفع فيه . ثم صمم علىٰ رفع شكواه إلىٰ المحكمة . فذهب به إلىٰ القاضي وقص عليه الحكاية وطالب بالاقتصاص منه .

وعندما لاحظ القاضي ضعف ذلك المريض قال للصوفي : إنّ احكام الاسلام شُرعت لبث الحياة لا نزعها ، والاقتصاص من هذا المريض يعني قتله . اذهب واشكر الله علىٰ أنَّ الذي ضربك لم يكن ضارباً حقيقياً والّا لما كانت العاقبة محمودة ، لأنها تكون ضربة الهية .

فقال الصوفي : وهل انصراف هذا المريض الوقح من دون قصاص ولا غرامة جائز وصحيح بنظرك ؟

القـاضي : لا تـطل الجـدال اكـثر مـن اللازم مـع هـذا المريض ، انصرف بسرعة فان ضـربته لا تسـتحق كـل هـذا الاهتمام . لكن قل لي قبل أن تنصرف كم معك من النقود ؟

الصوفي : كل رأسمالي هو ستة دراهم فقط .

القاضي : إذن احتفظ لنفسك بثلاثة دراهم منها واعـط الثلاثة المتبقّية لهذا المريض لضعفه وقلة حيلته .

وحينما أدرك المريض من خلال الجدال الدائـر بـين الصوفي وبين القاضي ان عليه دفع ثلاث دراهم له أمعن النظر في رقبة القاضي ليضمن لنفسه ثلاثة دراهـم أُخـرىٰ بضربه علىٰ رقبته .

وفجأة قفز خلف القاضي وضـربه ضـربة قـوية عـلىٰ رقبته وقال : اعطني ستة دراهم بسرعة لأنصرف من هنا .

فاحمرت وجنتا القاضي لشدة غضبه واستيائه من هذا العمل اللّامسؤول فاستغل الصوفي هذه الفرصة وقال : أيها القاضي العادل ، لا شك ان حكمك بحقي قائم عـلىٰ أسس العدالة . فلِمَ تجيز للآخرين ما لا تجيزه لنفسك ؟! ألا تعلم ان من حفر بئراً لأخيه وقع فيه ؟! لقد دفعت ثمن حكمك الجائر هذا بحقي في هذه اللحظة لكن لك الويل كل الويل من سائر

أحكامك الأُخرىٰ .

انَّ عطفك علىٰ الظالم ودفعي له ثلاثة دراهم بأمر منك زاد من وقاحته وتهوره ، وعدالتك المرفوضة هذه تشبه تصرف العنزة الحمقاء عندما ارضعت وليد الذئب .

١٨٧ ـ « موعظة العارف » :

سأل رجل عارف قسيساً : هل أنت اكبر سناً أم لحيتك ؟

أجاب القسيس : لقد ولدت قبل لحيتي ودخلت إلىٰ الدنيا قبل ان تنبت بمدة طويلة .

فقال العارف : لقد تخلت لحيتك عن السواد وغزاها الشيب وسلكت طريق الكمال ، وأنت بعد لم تتخل عن طبعك السيء ولم تحدثك نفسك ولو مرة لسلوك الكمال لأنك كالنبتة الضعيفة التي لا أصل لها ، يهزك هوىٰ النفس وغرائزها يميناً وشمالا .

إذن يا أخي لا تغفل عن تقدم قطار العمر ، أخطُ نحو الامام إلىٰ متىٰ الركود والتراجع يا ترىٰ ؟

١٨٨ ـ « المسلم الحقيقي الشاطر » :

خرج ثلاثة اشخاص مسلم ومسيحي ويهودي معاً في سفر حتىٰ نزلوا ضيوفاً علىٰ رب منزل في الطريق . فجاءهم صاحب البيت ببعض الحلوىٰ . وبينما هم يتناولون العشاء قال المسلم الذي كان صائماً : لنأكل الحلوىٰ الآن .

وقال المسيحي واليهودي : لقد شبعنا الآنَ ، دع الحلوىٰ للغد .

المسلم : بل لنأكلها الآن ولندع الصبر للغد .

اليهودي والمسيحي : يبدو انك تنوي أكل الحلوىٰ الليلة لوحدك .

المسلم : نحن ثلاثة ، ولكل منا برنامجه الخاص به . فلنقتسم الحلوىٰ فمن شاء فليأكل حصته ومن شاء فليتركها للغد .... وهكذا دار النقاش بينهم حتىٰ استقر الرأي لصالح اليهودي والمسيحي اللذين عزما علىٰ منع المسلم من أكلها في الليل .

فناموا تلك الليلة ، وفي الصباح استيقظوا وغسلوا وجوههم وايديهم ثم جلس كل واحد منهم في زاوية من الغرفة وشرع بالعبادة حسب طريقته الخاصة .

وبعد الدعاء والمناجاة جلسوا يتحدثون مع بعض .

فقال أحدهم : ليقص كل واحد منا حلمه الذي رآه بالأمس ، ولتكن حصة الأسد من الحلوىٰ لصاحب أفضل حلم ، لأنه لا يحكي الّا عن أفضلية صاحبه علىٰ الآخرين.

فقال اليهودي : لقد رأيت بالأمس في الحلم وكأني ذاهب مع موسىٰ (ع) إلىٰ جبل طور وانشغلنا معاً في العبادة والعشق الالهي .

وقال المسيحي : لقد رأيت في الحلم اني أعرج مع عيسىٰ (ع) إلىٰ السماء الرابعة فدخلناها باستقبال وتقدير خاصين.

فقال المسلم : رأيت في الليلة الماضية سيد المرسلين محمد المصطفىٰ (ص) وقال لي : لقد ذهب أحد رفيقيك مع موسىٰ (ع) إلىٰ جبل طور ، وذهب الآخر مع عيسىٰ (ع) ليعرج إلىٰ السماء الرابعة .

لقد أصبحا بين صفوف الملائكة ، ولم يبق في الدار

غيرك أيها المغفل الضعيف، فانهض وتناول الحلوىٰ بسرعة لأنك قد تأخرت عن الجميع.

فقال اليهودي والمسيحي للمسلم: علىٰ أي أساس أكلت الحلوىٰ المتعلقة بالجميع؟

قال المسلم: أمرني نبيي وواجب عليّ الطاعة! ومن أكون أنا لأخالف أمره؟! وهل تخالف أمر موسىٰ (ع) لو أمرك بشيء أيها اليهودي؟ أم انك أيها المسيحي، هل يمكنك التمرد علىٰ أمر عيسىٰ (ع)؟ فكيف يمكنني أنا أنْ اعصي امر سيد المرسلين (ص)؟ أجل، لقد تناولت الحلوىٰ طبقاً لأمره، وأنا مسرور لامتثالي لأمره ذاك.

فقال اليهودي والمسيحي: قسماً بالله لحلمك الصادق هذا أفضل من أحلامنا مائة مرة.

إذن يا أخي، كن عبداً صادقاً لله تعالىٰ لتجني الثمرة الواقعية المحمودة بدلاً من أن تسعىٰ وراء نسج الخيال والقيل والقال وتعتمد علىٰ حلو الحديث فتسقط في الهاوية.

* * *

١٨٩ ـ« فوز البعير »:

كان هناك بعير وثور وكبش يمشون في الصحراء فاحسوا بالجوع ، وبعد فترة عثروا علىٰ بعض العشب ، فدار الحديث بينهم حوله .

قال الكبش : لو قسمنا هذا العشب بيننا لما وفىٰ بالغرض لأن أياً منا سوف لن يشبع ، ومن الأفضل أن نقنع باعطائه للأكبر منّا سناً ، لأن السنّة المطهرة تحث علىٰ تقديم المسنّ علىٰ غيره .

فوافق الجميع علىٰ هذا الاقتراح ، وبدأ الحديث حينئذ يدور حول عمر كل واحد منهم .

قال الكبش : كنت ارعىٰ مع الكبش الذي جيء به فديةً عن اسماعيل (ع) (في قضية القربان) .

وقال الثور : أنا اكبر منك سناً ، لأني أحد الثورين اللذين كان آدم (ع) يحرث بهما الأرض .

وعندما سمع البعير كلام الكبش والثور التافه هذا ،

تناول العشب وقال : يا صديقيَّ ! لا حاجة للتعرض لتأريخ ولادتي وسوابقي ، فمع جسمي الضخم وعنقي الطويل هذا . فالكل يقرُّ بأني لست أقل منكما سناً .

انَّ فوز البعير يكمن في استناده علىٰ وجوده الفعلي لا علىٰ ماضيه ومستقبله القابلين للاحتمال .

١٩٠ ـ « عاقبة مجالسة رفاق السوء والغرباء » :

تعرف فأر وضفدعة علىٰ بعضهما بالقرب من جدول ماء . فكانا يلتقيان كل صباح في ساعة معينة ويتحدثان طويلاً . وهكذا ألِف كل واحد منهما صاحبه كثيراً واشتدت عُرىٰ صداقتهما شيئاً فشيئاً حتىٰ اخذا يلتقيان في خاتمة المطاف في اغلب الأوقات يأخذان في سرد القصص والحكايات .

وفي أحد الأيام جاء الفأر وكالمعتاد للقاء الضفدعة ، ولكنه لم يرها ولم يتمكن من الغوص في الماء للبحث عنها ، فأحس بالوحدة ، وفي الصباح حينما التقاها عبر عن حبه وتعلقه بها .

بعد ذلك اقترح علىٰ الضفدعة قائلاً : يا صديقتي العزيزة ! أنا حيوان بري وأنت مائي . فمن الأفضل البحث عن طريقة تبقي علىٰ اتصالنا علىٰ الدوام ليطّلع أحدنا علىٰ أوضاع الآخر باستمرار .

وبعد الأخذ والرد والحوار الطويل اتفقا علىٰ تهيئة حبل رفيع طويل يشدان أحد طرفيه بساق الفأرة والطرف الآخر بساق الضفدعة ليتمكن كل منهما من الالتقاء بصاحبه متىٰ ما شاء ، وذلك بمجرد تحريك ذلك الحبل قليلاً .

وذات مرة ، بينما كان الفأر يمشي لوحده شاهده غراب فالتقطه بمنقاره وحلّق به عالياً ، فحلقت الضفدعة أيضاً وراءه بسبب الحبل الذي يشكل حلقة الوصل بينهما .

تعجب الناس من هذا الموقف العجيب وقالوا : كيف اصطاد هذا الغراب الماكر الضفدعة من وسط الماء ؟! فنحن لم نر أبداً غراباً يصطاد ضفدعاً !

فأجابتهم الضفدعة : هذا جزاء من يجالس غير جنسه وقومه .

إذن يا أخي ، تمعن جيداً ، واعلم ان البدن بمثابة الفأرة وان الروح بمثابة الضفدعة . وقد ربطت حبال القوانين

بقدميهما ، وان البدن لفي سعي دائم لجر الروح إلىٰ اليابسة ومنعها من الغوص في بحر الحقائق . ولو افلح الجسد في ذلك لا سمح الله تعالىٰ ، لدمر روح الانسان والحق بها الكثير من الأضرار .

١٩١ ـ « هز لحية السلطان » : خرج السلطان محمود الغزنوي (ثالث سلطان مقتدر من سلاطين السلالة الغزنوية الذي توفي سنة ٤٢١ هـ) في احدىٰ الليالي متنكراً ليطلع بنفسه علىٰ أوضاع المدينة الأمنية . وفجأة شاهد عن بعد في أحد الأزقة خمسة أشخاص يتهامسون في الظلام (لقد كانوا لصوصاً يرسمون خطة للسرقة في تلك الليلة) ، وما إنْ اتجه نحوهم حتىٰ صاحوا بِهِ : من أنت ؟ فقال : أنا مثلكم ايضاً (فوافقوا علىٰ انضمامه اليهم ليساعدهم ، ظناً منهم بأنه لص مثلهم) ، بعد ذلك عادوا لحديثهم السابق حول كيفية تنفيذ خطة السرقة تلك ، فاقترح أحدهم بأن يستخدم كل منهم فنه الذي يجيده لضمان نجاح الخطة مِائة بالمِائة .

فقال أحدهم : فني يكمن في سمعي ، فعندما ينبحُ الكلب ، أفهم ما يقصده .

قال الآخر : فني يكمن في بصري ، فلو رأيت احداً في الليل ، لشخصته في النهار .

قال الثالث : فني يكمن في قوة ساعديّ ، إذ يمكنني شق الجدران وقلع الابواب من اصولها بكل سهولة .

قال الرابع : فني يكمن في قبضة يديّ ، إذ يمكنني رمي الحبل فوق الجدران للتسلق إلىٰ السطح بسهولة .

قال الخامس : فني يكمن في أنفي ، بحيث يمكنني الحكم بان التراب الذي اشمه يعود لمنزل رجل غني أو فقير ! أجل فحاسة الشم عندي قوية مثل حاسة مجنون ليلىٰ الذي كان يبحث عن منزلها بشم التراب .

بعد ذلك قال اللصوص لصديقهم الجديد (السلطان محمود) : وأنت ، ماذا تجيد ؟

قال السلطان : فني يكمن في لحيتي ، إذ يمكنني بهزّ لحيتي تخليص الذي يلقىٰ عليه القبض من قبضة الجلاد .

فقال اللصوص : أحسنت ، فنّك أفضل من كل فنوننا ، لأنك ستنقذنا عند الشدائد .

عند ذاك انطلقت العصابة المؤلفة من خمسة لصوص بالاضافة إلىٰ الرجل المجهول (أي السلطان محمود) لتنفيذ خطة السرقة المعدة من أجل الدخول إلىٰ خزانة السلطان القريبة من منزله واخذ ما فيها من مجوهرات واشياء ثمينة .

وعندما اقتربوا من القصر نبح الكلب الذي كان هناك . فقال صاحب فن السمع إنَّ الكلب يتمنىٰ لنا الموفقية والسلامة . بينما جمع صاحب فن الشم بعضاً من ذلك التراب وبدأ بشمه فقال : هذا بيت أرملة ، لنذهب من هنا . ثم ألقىٰ صاحب القبضة الحديدية الحبل علىٰ الجدار الشاهق حتىٰ تسلقه الجميع . بعد ذلك عاد صاحب الأنف الحساس بشم تراب ذلك الجدار وقال : هنا توجد خزانة السلطان . فتقدم صاحب السواعد القوية وحطم الجدار فدخل اللصوص بكل راحة إلىٰ الخزانة واخذوا كل ما يمكنهم حمله من الأشياء الثمينة وخرجوا ليخفوه في مكان معين. ثم تفرقوا بعد ذلك علىٰ أمل أن يقتسموا تلك الثروات في الليلة القادمة ، في أول فرصة ممكنة .

فانفصل السلطان محمود أيضاً عنهم بعد أنْ تعرف عليهم جميعاً وحفظ أسماءهم وعناوينهم ومحل دفن تلك

الأموال .

وفي صباح اليوم التالي عرض السلطان محمود المسألة على المحكمة العليا ، فتوجهت على الفور قوى الشرطة إلى اللصوص وألقت القبض عليهم واقتادتهم إلى المحكمة موثوقي الأيدي .

وقف اللصوص أمام كرسي السلطان مذعورين . فقال صاحب البصر الحاد : هذا الشخص كان معنا الليلة البارحة (مشيراً إلى السلطان) ، وأخبرنا بأن فنّه يكمن في لحيته وانه يمكنه تخليصنا من قبضة الجلاد بمجرد تحريك لحيته ، إنَّ تحقيقه وتفتيشه الليلي السري هو الذي أوقعنا في هذا المأزق ، لقد شاهد عملنا واطلع على سرنا .

فالتفت بعد ذلك أحد اللصوص إلى السلطان وقال : كل واحد منا قد ادى دوره وطبق فنه . وقد حان دورك الآن لاظهار فنك ومهارتك .

فوفى السلطان بوعده لهم وذلك بتخليصهم عند الشدائد بمجرد تحريك لحيته ، إذ حينما حرك لحيته وهز برأسه أصدر حكم اطلاق سراحهم .

أجل ، لقد أصبحت عين السلطان العارف طريقاً للنجاة

في نهاية الأمر.

البعض من العرفاء يستنتج قائلاً: لقد ادىٰ كل واحد منا دوره في مواجهة المشاكل، والآن قد جاء دورك يا امام العصر وسيد الكائنات لتهز لحيتك بالتوجه إلىٰ الله تعالىٰ وتداوي آلامنا وتحل مشاكلنا.

أو اننا نقول لله تعالىٰ: ها نحن الآن قد تبنا من ذنوبنا واستغلالنا لفنوننا في غير مواضعها وتوجهنا اليك وكلنا أمل. فتفضل بالعفو عنا وعرّفنا بذلك لأنه منتهىٰ حاجتنا لنيل السعادة الأبدية.

١٩٢ ـ « الجوهرة داخل الطين »:

استخرج ثور بحري في احدىٰ الليالي جوهرة من البحر واستضاء بنورها الساطع منها للرعي في مرعىٰ خصب قريب من الساحل.

وصدفة، مر من هناك تاجر ورأىٰ تلك الجوهرة البراقة. فاستغل انشغال الثور بالرعي وابتعاده عن الجوهرة

وغطاها بالطين حتىٰ انقطع ضياؤها ثم تسلق احدىٰ الأشجار واخفىٰ نفسه بين اغصانها .

ففوجىء الثور بالظلام الدامس الذي يلفه فاضطرب وهجم علىٰ العدو لكنه لم يفلح في معرفته أو الظفر به فقصد الجوهرة فلم يجد سوىٰ الطين فولّىٰ هارباً .

اعلم يا أخي ان الشيطان الذي يرىٰ نفسه افضل من آدم ويكن له العداوة والبغضاء ، هو كمثل ذلك الثور الذي شاهد الطين فقط دون الجوهرة .

خطاب « اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ... » (البقرة /٣٦ و ٣٨) ، قد وضع جوهرة النفس الآدمية في البدن الطيني ، وانزل درة الجنة تلك الىٰ الأرض .

إنّ تاجر المجوهرات هو الذي يعرف الجوهرة لا الثور و لا الشيطان .

فاعلم يا أخي ان وجودك وافضليتك يكونان بسبب تلك الجوهرة لا الطين، فاسع لتكاملها ولا يقعدك الطين عنها فتفقدها . مزق حجاب الطين وانتفع بنور تلك الجوهرة !

* * *

١٩٣ ـ « الفارس الذي يعادل شعباً جسوراً بأكمله » :

هجم جعفر الطيار (ع) ـ أخو الامام علي (ع) ـ في احدىٰ المعارك الاسلامية علىٰ قلعة محصنة للعدو ليفتحها وحده . فاقفل أهل القلعة العاجزون عن مواجهته الباب بوجهه .

فقال أمير القلعة لوزيره ومستشاره : ماذا ينبغي علينا أنْ نفعل حيال هذا الفارس ؟

الوزير : لا سبيل أمامنا سوىٰ الاستسلام ، من الأفضل أنْ نرفع السيوف والأكفان ونستسلم له .

الأمير : كيف يعقل أن يستسلم جمع هائل مثلنا لشخص واحد ؟

الوزير : لا تستصغره ، تأمل القلعة التي أخذت ترتج كالزئبق أمام صولاته وجولاته .

وفي هذه الأثناء حمل بعض جنود القلعة علىٰ جعفر الطيار ، لكنه لم يُنزل بكل واحد منهم اكثر من ضربة واحدة حتىٰ يرديه قتيلاً .

أجل ، لو هجم الأسد علىٰ آلاف مؤلفة من الحمير الوحشية في الصحراء للاذت كلها بالفرار ، في حين انه لو أخذ كل واحد منهم بجزء صغير من بدن الأسد باسنانه لمزقوه ارباً اربا . لكن من أين لهم مثل تلك الجرأة ياترىٰ ؟ انهم يرونه وكأنه شعب صامد بأكمله ، فيهابونه ويولون الأدبار .

فاعلم يا أخي ، انّ السرّ وراء الانتصار علىٰ العدو يكمن في الوحدة والاتحاد .

١٩٤ ـ « بدر الدين والغريب المدين » :

كان رئيس الحرس أو ما يسمىٰ حالياً بمدير الشرطة في مدينة تبريز رجل يدعىٰ بدر الدين ، وكان علىٰ جانب لا نظير له في الكرم والسخاء .

وكان في اطراف تبريز رجل غريب قد اقترض الكثير من الأموال من هذا وذاك حتىٰ بلغت تسعة آلاف دينار . وكان كثير التردد علىٰ منزل بدر الدين ، لأنه ادىٰ عنه ديوناً سابقة .

فجاء ذلك الغريب في أحد الأيام إلىٰ منزل بدر الدين في تبريز ليعينه علىٰ أداء ديونه الجديدة. فاخبروه بوفاة بدر الدين قبل عدة أيام.

فترك هذا الخبر المفجع أثراً في نفس الغريب حتىٰ أُغمي عليه ولم يفق حتىٰ نضحوا وجهه بماء الورد بعد حلول الليل.

وحينما أفاق توجه إلىٰ الله تعالىٰ واستغفره وقال:

الهي! اني مذنب، فقد جعلت الناس كل أملي، صحيح ان بدر الدين كان سخياً، لكنه لا يقاس بسخائك أبداً. كان يهب العمائم والقلنسوات، أما أنت فقد وهبت العقل المدبر.

لقد وهب هو الثوب، وأنت وهبت البدن وقامته. لقد اعطاني الذهب، وأنت اعطيتني اليد التي تَعدُّ ذلك الذهب وتحسبه. لقد اعطاني الخيول والجياد، وأنت اعطيتني فكرة ركوبها وامتطائها. بل حتىٰ سخاؤه وجوده ذاك قد وهبته أنت اياه.

وهكذا كان يتمشىٰ في ازقة تبريز والحسرة تأكله لفراق بدر الدين وهو يقص علىٰ المارّة حكاية ديونه وعطايا

بدر الدين المستمرة له حتىٰ جمع من الناس مِائة دينار . واخيراً جلس بالقرب من قبر بدر الدين يشكره علىٰ هباته التي لا مثيل لها لأن الله تعالىٰ قال : من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق . فانقضىٰ وقت طويل وهو لا يزال يبكي وينوح علىٰ قبره ويكرر ذكر الطافه له ، حتىٰ استضافه أحد خدمة بدر الدين في منزله . وفي تلك الليلة رآىٰ ذلك الخادم سيده بدر الدين في الحلم ، فقال له : كنت اسمع كل كلام ضيفك لكنني عجزت عن اجابته . لقد حصلنا هنا علىٰ كل ما اعطيناه في الدنيا .

دنياكم ليست سوىٰ دمية جوفاء في مهب الريح ، في حين ان العالم الحقيقي والحياة الواقعية يكمنان هنا . لقد أدركنا الآن اين كنا وإلىٰ اين اتينا .

أيها الخادم ! لقد كان ضيفك في ذاكرتي . لذا عزلت له بعضاً من قطع الذهب ، وهي موجودة في الكيس الفلاني ومكتوب عليه اسمه . اعطه قطع الذهب تلك ليفي بها دينه البالغ تسعة آلاف دينار ويأخذ الباقي له . لقد اردت ان اعطيه اياه بنفسي ، لكن الأجل لم يمهلني . أوصِهِ بأن يكون حذراً لئلا يُغبن في بيع ذلك الذهب وقل له ألّا ينساني بدعائه .

وقل لورثتي نيابة عني : أعطوا قطع الذهب تلك للغريب المغرم بدون تردد. لا تخدعهم قيمته الباهضة ، لأني قد وهبتها له ، وقد قال النبي (ص) : « مثل الذي يرجع في هبته كمثل الكلب الذي يسترجع قيأه » .

قل لورثتي أن يلقوا ذلك الذهب في النهر والّا يعودوا به إلىٰ البيت فلو أبىٰ الغريب أخذه ولو أرادوا أخذ شيء من ذلك الذهب فسيدفعون الثمن عشرين ضعفاً مما أخذوه . ولو لم يلتزموا بنصائحي هذه وعذبوا روحي فسيفتح عليهم مِائةُ باب من المشقة والعذاب .

بعد ذلك استيقظ الخادم من نومهِ تغمرهُ الفرحةُ وهو يشعر بالنشاط .

فاستفسر الضيف الغريب عن السبب وراء فرحه ذلك .

فقص عليه الحكاية من الفها إلىٰ يائها . لقد تحدث وتحدث حتىٰ اغمي عليه لفرطِ شوقهِ ولهفته وسروره . فجاء الناس لعيادته . وحينما أفاق من اغمائه شرع بالمناجاة والدعاء والشكر علىٰ شمول الطافه تعالىٰ الدائمة جميع البؤساء والضعفاء .

* * *

١٩٥ ـ « شفقة موسىٰ (ع) علىٰ الشاة الهاربة » :

كان موسىٰ (ع) راعياً لشعيب (ع) مدة من الزمن. وفي أحد الأيام انفصلت احدىٰ الشياه عن القطيع واتجهت نحو الصحراء . فذهب موسىٰ (ع) وراءها فاخذت تجري وهو (ع) خلفها حتىٰ ابتعدا عن القطيع كثيراً فحل الليل وتوقفت عن الجري لشدة تعبها فامسك بها موسىٰ (ع) ومسح عنها الغبار ودللها كدلال الأم لولدها ، وقال لها بكل شفقة وعطف : لنفترض انك لم ترأفي بحالي فَلِمَ ظلمت نفسك ؟!

وعندما رأىٰ الله تعالىٰ صبر موسىٰ (ع) هذا وتحمله قال للملائكة : « ان موسىٰ يليق بمقام النبوة » .

قال نبي الاسلام (ص) : لقد جعل الله تعالىٰ كل الأنبياء (ع) رعاةً لمدة ما ، ولم يجعلهم قادة لشعوبهم قبل اختبارهم في مهنة الرعي . والهدف من ذلك هو تعليمهم الصبر والوقار بشكل عملي حتىٰ يتقدموا لقيادة البشر معتمدين علىٰ التجربة السابقة .

فسأله (ص) شخص : وهل عملت أنت راعياً أيضاً ؟

قال (ص) : أجل أنا أيضاً عملت راعياً لكن منذ فترة طويلة .

١٩٦ ـ « خوارزمشاه وفرس القائد » :

يُحكىٰ أنَّ لأحد قادة جيش خوارزمشاه فرساً جميلاً لا نظير له حتىٰ في قطيع خيول الشاه نفسه وذات مرة صادف أنْ وقع بصر خوارزمشاه علىٰ ذلك الفرس حين كان خارجاً للنزهة ، فتعلق به قلبه واخذ يتأمله من قمة رأسه حتىٰ حوافره لساعات طويلة ، فادرك من خلال روعته عظمة الخالق تعالىٰ واخذ يردد « لا حول ولا قوة الا بالله » بحيرة ودهشة .

وحينما اجتمع بقادة الجيش بعد رجوعه تعرض خلال حديثه لذلك الفرس وامر باحضاره .

فذهب عدة افراد إلىٰ بيت مالك ذلك الفرس لجلبه إلىٰ الشاه .

فوقع صاحب الفرس بين أمرين لا ثالث لهما فهو لا يجرؤ علىٰ الخروج علىٰ امر السلطان هذا من جهة ولا يرضىٰ

بالتنازل عن فرسه مهما كلفه الثمن من جهة أُخرىٰ .

فقرر في خاتمة المطاف عرض المسألة علىٰ عماد الملك الذي يعد من رجال الدولة المعتمدين المتمتعين بمنزلة رفيعة بين الخاصة والعامة والذي يستعين به كبار المسؤولين ويطلبون وساطته وشفاعته .

فعرض عليه المسألة وطلب منه ان يقول للشاه : بان حياة ذلك القائد مرهونة بذلك الفرس ولو اخذه السلطان لعرض حياته للخطر ، وانه مستعد للتنازل عن كل ما يرغب فيه السلطان من النساء والأموال و ... باستثناء ذلك الفرس . فتأثر عماد الملك كثيراً لحال القائد وتوجه فوراً إلىٰ مجلس خوارزمشاه واطبق ساكتاً داعياً في قلبه من الله تعالىٰ أن يعينه علىٰ هذه المسألة .

وفي هذه الأثناء جاؤوا بالفرس وعرضوه علىٰ الشاه .

حقاً أي فرس هذا ؟ أي جواد جميل هذا ؟

تأمل الشاه في ذلك الفرس والتفت إلىٰ عماد الملك وقال بدهشة وحيرة : انظر يا أخي ! يا له من فرس رائع ، أظنه من الجنة لا من الأرض .

فبادره عماد الملك بضربة نفسية علىٰ الفور حين قال :

مولاي ! انه يرتبط بذوقك ، فذوقك يجعل الملاك عفريتاً . كل ما يبدو جميلاً في نظرك يعود جميلاً ، وهذا الفرس مع جماله وروعته له رأس كرأس الثور .

فترك هذا الكلام أثراً في قلب الشاه بحيث أصبح الفرس وخلال لحظة واحدة قبيحاً في نظره .

وبهذا صرف عماد الملك ذو النظر الثاقب وبجملة واحدة نظر الشاه عن ذلك الفرس ، بل انه قد أسدل في حقيقة الأمر حجاباً علىٰ بصر الشاه ، لو اسدل علىٰ بصر الانسان لبدا له القمر بعظمته تلك مجرد صخرة مهملة .

لقد خرج الفرس من قلب خوارزمشاه لمجرد اطلاعه علىٰ أحد عيوبه ، فانتبه من غفوته تلك ورجح كلام عماد الملك .

صحيح ان السلطان أراد الاستحواذ علىٰ ذلك الفرس بالمكر والخديعة . لكن قلب الانسان انما هو بين اصبعين من أصابع الرحمان . إذ بامكانه تعالىٰ ان يقلب قلبه إلىٰ نقيض ما أحب في لحظة واحدة .

* * *

١٩٧ ـ « جـزاء الصـدّيق يوسف(ع) » :

عــندما تـحرر أحـد رفاق يوسف(ع) الذين كانوا معه في السجن بمصر قال له يوسف (ع) عند خروجه : اذكـرني عــند الســلطان .

ونـظراً لأن يـوسف (ع) تـرك الأُولىٰ قـليلاً واسـتعان بالمخلوق فقد أبقاه الله تعالىٰ بضع سنين في السجن ليـدفع ثمن إتكاله علىٰ الغير وذلك بأن أنسىٰ الشيطان صاحبه ذكره عند السلطان . (سورة يوسف / ٤٢) .

أجل ، لقد أدب الله تعالىٰ يوسفاً فأحسن تأديبه حين أوقفه علىٰ ضرورة عدم الاعتماد علىٰ من هو زائل لا محالة . كما ان يوسف (ع) قد نسي الوحدة وظلمة السـجن لأُنسـه بذكر الله تعالىٰ ، وبذلك فقد اعاد المياه إلىٰ مجاريها بالتوكل علىٰ الله تعالىٰ وحده ومناجاته اياه بعد زلّته تلك .

* * *

١٩٨ـ«سخاء وعطايا العالم»: كـان هـناك شـخص سخي جداً يـدعىٰ «صـدر جهان» (أي صدر العالـم) ، يعيش فـي مـدينة بـخارىٰ «التـي كـانت فـي السـابق جزءاً من ايران وهي الآن جزء من ازبكستان » . وكان منزل هذا الرجل بمثابة القبلة للمعوزين والمضطرين ، ومنبعاً خـصباً لعطاياه الوفيرة للناس .

وفي كل صباح يتوجه إليه فريق من الناس ليغترفوا من جوده وكرمه . وكان من عادته اعطاء الساكت الذي لا يسأل دون غيره (ربما كان يبغي من عمله هذا تعويد الناس علىٰ ضرورة تجنب ذل السؤال) .

لكن أحد الأشخاص تمكن من نيل عطاياه بالرغم مـن سؤاله له ، والسر في ذلك يكمن فيما يلي :

ذات يوم سألهُ شيخ قائلاً : يا صدر العالم ! اني جائع ، فاعطني شيئاً . فلم يلتفت إليه صدر العالم .

فكرر الشيخ سؤاله بجدية . فقال له صدر العالم : يا لقلة

حيائك أيها الشيخ !

فأجاب الشيخ : أنت أقل مني حياءاً . لأنك نلت من هذه الدنيا وتريد أن تجمع بينها وبين الآخرة بجشعك وطمعك هذا .

فضحك صدر العالم من كلامه هذا وحباه الكثير من العطايا .

وهناك قصة أُخرىٰ تروىٰ عنه بهذا الشكل :

سعىٰ أحد الأشخاص الأذكياء لانتزاع الكثير من الأموال من صدر العالم ، سالكاً مختلف السبل والحيل والخدع لكنه لم يحصل علىٰ شيء اطلاقاً ، وذهبت كل مساعيه أدراج الرياح .

واخيراً قرر الذهاب إلىٰ غاسل الموتىٰ ومعه كفن وقال له : لفني بالكفن واللبّاد ، والقني في طريق صدر العالم ليظنني ميتاً .

فلبىٰ الغاسل طلبه . وبينما كان صدر العالم يسير من هناك شاهد ذلك الميت علىٰ قارعة الطريق ، فوضع البعض من دنانير الذهب علىٰ لبادته لينصرف . وفي هذه الأثناء وبينما كان ذلك الرجل يمد يده من تحت الكفن ببطىء لأخذ

تلك الدنانير لئلّا يأخذها الغاسل ، قال لصدر العالم : أرأيت كيف تمكنت من انتزاع الذهب منك .

فقال صدر العالم : أجل ، أيها الأحمق لكنك لم تأخذ الذهب مني الّا وأنت ميت .

نعم يا أخي ، فهذا هو كلام النبي (ص) إذ يقول : موتوا قبل أن تموتوا . أي يجب عليكم قتل غرائزكم الحيوانية قبل أن يطرق الموت أبوابكم .

١٩٩ ـ « نمرود وحنان عزرائيل » :

قال الله تعالىٰ لعزرائيل : لِمَ رق قلبك عندما قبضت روحه ؟

قال عزرائيل : قلبي يرق لجميع البشر حين أقبض أرواحهم ، لكن امرك مطاع لا محالة .

قال الله تعالىٰ : علىٰ مَن يحترق قلبك اكثر حين تقبض روحه .

قال عزرائيل : لقد حطمت في احدىٰ الأيام سفينة وسط امواج البحر المتلاطمة بأمر منك ، فتلاشت أجزاء

السفينة ، ثم أمرتني بقبض أرواح جميع ركابها باستثناء امرأةٍ تحتضن طفلاً رضيعاً ، ففعلت ذلك ، وتشبثت الأم مع طفلها بخشبة واخذتهما الأمواج لتلقي بهما إلىٰ الساحل فسررت لنجاتهما كثيراً ، لكنك أوحيت اليّ بعد ذلك مباشرة بقبض روح الأم وترك الطفل لوحده . فصعب عليّ كثيراً الفصل بين الأم وفلذة كبدها . لقد شهدت الكثير من مآتم الناس ، لكن مرارة ترك ذلك الطفل لوحده لا تغيب عن بالي أبداً .

(هل تعلم عزيزي القاريء ان ذلك الطفل هو نمرود الذي وقف بوجه ابراهيم (ع) بعد أن شب وترعرع والآن لنتابع القصة) .

قال الله تعالىٰ : لقد أمرت الأمواج بان تلقي ذلك الطفل في وسط الادغال الكثيفة رأفة به ، إذ أمرت انثىٰ نمر كانت قد ولدت أولاداً لتوها هناك بان ترضعه مع أطفالها . فارضعته هي وتعهدت أنا بتعليمه الكلام . وهكذا ترعرع وشب وظن باني قد أشرفت علىٰ تربيته بنفسي بدون أية وساطة . لكنه وبدل أن يشكرني لنعمي الكثيرة عليه ، غدا نمروداً الذي يلقي بخليلي ابراهيم (ع) وسط ألسنة النار ليحرقه . بل قد ادعىٰ الربوبية بعد ذلك ، فقال له المنجمون سيولد في هذه

السنة مولود يهدد بقاء عرشك ودوامه. فانتزع آلاف الأطفال الرضع من أحضان أمهاتهم وقتلهم عسىٰ أن يكون ابراهيم (ع) من بينهم فيظفر به.

لكن ابراهيم (ع) جاء إلىٰ الدنيا بعيداً عن أنظار جلادي نمرود بالرغم من أنوف الأعداء، وترعرع شيئاً فشيئاً.

فأخذ نمرود يقاوم ابراهيم (ع) بكلّ ما أُوتي من قوة وبقي يكن له العداوة والبغضاء. بل قد بلغ به الحقد إلىٰ حد القاء ابراهيم (ع) في النار.

(لا يخفىٰ ان ترحم عزرائيل انما كان علىٰ « شدّاد » طبقاً لبعض الروايات ـ البحار، الطبعه القديمة، ج ٥، ص ١٠١).

٢٠٠ ـ « وصية الأم لولدها الصغير »:

قالت أم لطفلها الصغير: لو تراءىٰ لك شيء في الظلام وسط مقبرة أو أي مكان مفزع آخر. فاصمد في وجه ذلك الشيء واهجم عليه لأنه سيلوذ بالفرار بهذه الحالة.

قال الطفل لأمه : لو أنَّ أم ذلك الشيء الذي بدا لي أوصته أيضاً بضرورة الصمود فصمد ولم يهرب مني ، حينذاك ماذا يكون رد فعلي ؟ إذ لابدّ أنَّ أمه توصيه بالصمود مثلما انك توصيني به .

٢٠١ ـ « وصية الأب الفطن وحكم القاضي » :

كان لرجل حكيم ثلاثة ابناء قد جهد في تربيتهم تربية حسنة ، وبالمقابل كانوا يكنّون له احتراماً خاصاً ويسعون لإرضائه دائماً .

وحينما أشرف الأب على الموت أوصاهم بهذه الوصية : كل ما املك واموالي تعود لا ضعف اولادي واقلهم حيلة ونشاطاً !

وبعد موته ذهب ورثته الثلاثة إلى القاضي واطلعوه عليها لتطبيق الوصية بالكامل .

فقال لهم القاضي : ليخبرني كل واحد منكم بسبب كسله كما هو يعتقد . لأتمكن من تشخيص الأكثر منكم كسلاً

وأحكم بانتقال الارث إليه .

(لا يخفىٰ أنَّ اللسان هو بمثابة مفتاح القلب ، إذ إنّ الانسان يزيل بكلامه ذلك الحجاب المسدول علىٰ القلب ويطلع الآخرين علىٰ سريرته . ولذلك قيل : المرء مخبوء تحت طيّ لسانه . فمثلاً حينما ينوي أحدنا شراء كوز يضرب بيده علىٰ ذلك الكوز ليحكم من خلال الصوت الصادر منه بانه سليم أو لا . سألوا حكيماً : ما هي علامتك لتعرف الانسان؟ أجاب : بأول كلمة تصدر منه ، ولو لم يتكلم فسأبقىٰ الحّ عليه حتىٰ أسحب منه الحقيقة من حيث لايدري) .

وبعد أنْ تكلم كل واحد بعض الوقت حكم القاضي لصالح الثالث علىٰ أنّه أكسلهم وأجدرهم بالارث .

لقد استنتج القاضي من خلال حواره معهم أنهم كُسالىٰ جميعاً في أمور الدنيا وعدم لياقتهم وجدارتهم لأُمور الآخرة ، وكون ثالثهم أضعفهم دنيوياً وأقواهم أخروياً وان أبوه قد أوصىٰ له لا محالة ، باعتبار أنَّ العرفاء في الدارين يسلّمون أمورهم لخالقهم ، أي بالرغم من سعيهم ونشاطهم الدؤوب ، فانهم لا يرون للاستقلال أي معنىٰ أبداً . بل

يعتقدون بان ارادة الله تعالىٰ ومشيئته حاكمتان علىٰ كل شيء في كل زمان ومكان.

واخيراً أحمد الله تعالىٰ وأشكره بعدد أنفاس الخلائق علىٰ أن وفقني لاتمام هذه المجموعة، راجياً أن تسهم بعض الشيء في بناء شخصية القاريء العزيز وتطويرها.

* * *

فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الثاني



دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت - لبنان ص ب ١١/٥٤٧٩